من هم الموحدون الدروز؟!

نشأتهم التاريخية - توضعهم الجغرافي - عقيدتهم الدينية
عاداتهم وتقاليدهم - نضالهم الوطني والقومي
أشهر أعلامهم

تأليف

جميل أبو ترابي

راجعه وقدم له

العلّامة الدكتور أسعد علي



مَنْ هُمُ المُوَحِّدونَ "الدُّرُوز" ؟

نشأتهم التاريخية _توضعهم الجغرافي _عقيدتهم الدينية
عاداتهم وتقاليدهم _نضالهم الوطني والقومي
أشهر أعلامهم

مَنْ هُمُ المُوَحِّدُونَ "الدُّرُوزُ" ؟

نشأتهم التاريخية _توضعهم الجغرافي _عقيدتهم الدينية
عاداتهم وتقاليدهم _نضالهم الوطني والقومي
أشهر أعلامهم

تأليف

جميل أبو ترابي

راجعه وقدَّم له

العلاّمة الدكتور أسعد علي

طبعة أولى ١٠٠٠ نسخة
دمشق ١٩٩٨

التنضيد الضوئي : دار علاء الدين

يطلب هذا الكتاب على العنوان التالي :
دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق : ص.ب ٣٠٥٩٨
هاتف : ٥٦١٧٠٧١
فاكس : ٥٦١٣٢٤١ - تلكس : ٤١٢٥٤٥

الإهداء :

إلى أرواح شهدائنا الأبرار ،
وإلى كل المناضلين الأبطال الذين رفعوا راية وطنهم عالية خفّاقة ،
إلى السالكين طريق المحبة والإخلاص لمعرفة البعد الإنساني في الإنسان ، والوصول إلى التحقق العرفاني ،
أهدي هذا الكتاب !
" المؤلف "

حلب ١٢/١٢/ ١٩٩٧
١٢/٨/ ١٤١٨

بسمه تعالى

الأخ الأستاذ جميل أبو ترابي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كتابكم "متى هم الموحدون"؟: موسمُ غيثٍ جديد.. يمشي به بحرُ التوحيد شبكتُك ذات الحُبُك(١)..

وابتداءً.. كتابك لا يُراجَع.. إنما يُستمرأ حَدْوُه ويُطالَع... ومع ذلك: تلزم عباراتُك على الورقة الأولى: بثمانية فصول الشكر.. (٢)

(٦) وفصول كتابك، مع بواباتها: ترامقني بالرقم المجنّح، ذي الشجرة الطيّبة، المفتحة بكلمات لغةٍ لها طيوبٌ طيّبات.. والسلام على أجيال البشر والأجيال..

شاركتُ مع أوفياء من المشارق والمغارب: في إحياء ندوة أبي العلاء المعري، بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لقيام الحركة التصحيحية في بلادنا السعيدة.. وكانت حصتي بين أوفياء البحث العلمي لإحياء التراث العربي: "عقيدة المعري لعالم آدم".. وترى الخلاصة في صحيفة الضحى [ع ٧/٤، ص]

وكأننا نرى أبا العلاء يمد داعويه [أنهم لا يستفهمون مكنون الأشياء، ولا يحسنون تحديد كلمة التجلي].. بلا في عباراتك المتوهجة بالثقة والأسمة.. (ص/٩)..

عقيدة الموحدين المؤمنين المسلمين المحسنين: على عقيدة المسلمين، على الإطلاق.. مبدئياً.. لكن مرتبة الصعود في معارج النفس: متدرجة.. فمسلمون على الدرجة الأولى، المأمورة بالقول {قولوا أسلمنا}، كما في النص الموحى، بسورة الحجرات.. ومسلمون على الدرجة المجاهدة: ليدخل {الإيمان في قلوبكم}.. (٤)

ومسلمون على الدرجة الثالثة، درجة من يعبدون الله عبادة "الرائي والمرئي".. كما في عبارة الحديث النبوي الشريف.. [أن تعبد الله: كأنك تراه.. فإن لم تكن تراه.. فإنه يراك].. والتفاصيل في باب الإيمان من الصحاح، [مسلم.. والبخاري] مثلاً..

ودرجات الإسلام الإحساني: مفصّلة بآيات كثيرة.. وترشيحها وتدبرها: يفرز ألوان المقامات النفسية المتدرجة في التلوين بوعي الإسلام، الذي هو الدين المبارك عند الله..

مذهب الموحدين.. وعقيدته: على الدرجة الرابعة، وفق نظرية التوحيد الأصولية..

والصحائف التي حبّرتها: تجتهد في تحبيب من يشاء بالتوحيد المستوعب في مقام المطمئنة البيضاء الرابعة والتوسط الذي لهذا المقام: توحيدي بين ألوان الدرجات الثلاث الأولى [زرقاء الأمارة، صفراء اللوامة، حمراء الملهمة] في سيرها [إلى الله.. وله.. وعليه].. وبين ألوان الدرجات الثلاث العليا [خضراء الراضية، سوداء المرضية، شفافية الكاملة]... (٥)

قد لا يجد قراء كتابك وضوح نظرية المذهب وعقيدته التوحيدية، على هذه الصورة التي يستطيع فقراء الله، الراضون لأنفسهم سيرها [بحب الله.. وعنه.. وبه].. سبحانه.. أحد.. صمد.. ذو الأسماء الحسنى.. لأن العبارة الترائية "ذات الحبك": تتشعب طرق عالم الغيب والشهادة، في مسالك [اللاهوتية الناسوتية].. كما تجدها في الإيضاح.. (ص٩-١٤).. وأحسنت اقترابا في تأديبه [أركان العقيدة التوحيدية وآدابها].. (ص١٤-١٧).. وأولو الألباب المسلمون: موحدون، دون استثناء، وفق هذه الأركان.. والتطرق: مُتّجِبٌ عن ألوان

المطابقات بين الأقوال والأفعال.. نسأل الله عون الجميع: ليكونوا في التوحيد المطابق بين نظرية الآداب وممارساتها.. فمن لا يؤمن بنظرية العبارة السموية الشريفة، "أدبني ربي فأحسن تأديبي".. ومن لا يؤمن بأن صاحبها على خلق عظيم. كما تفصل آيات الكتاب المبين؟.. لكن كم هم المجاهدون جهاد النفس: ليوحدوا بين نظرية التأديب والأخلاق الإسلامية، هذه.. وبين مسالكهم في الحياة العملية؟

تلك هي المشكلة المتموجة بين ما ندعوه "الظاهر والباطن".. وأحيانا "أهل الظاهر وأهل الباطن"...

أحسنت التفاصيل .. وتقديم أعلام الجهاد
الموحّدين ، في سياق الجهاد الأصغر لتحرير الوطن
الأرضي .. وفي سياق الجهاد الأكبر(٦) لبلوغ الخير
الأسمى في حياة المصير الوطني الأعلى
والذي يبقى ، لأنهم رجال السعداء بجنتي ذي
الجلال والإكرام ، الباقي ...

قلت لك .. أيها الأخ الرائع : كتابك
عندي للاستفادة التأملية في عبارات حب ؟..
لعل المحبة يرجى أهلها مجاورة وأعماق من
عالم يحبهم ويحبونه في التوحيدي ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
ولنفسي أني ألتمس الدعاء
لأفقر الفقراء والقراء
أسعد علي
خادم الحق بالخلق

هوامش المُقدّمة

(١) الشبكة ذات الحُبُك : إشارة إلى الآية القرانية الكريمة رقم (٧) من سورة الذاريات . وذات الحُبُك : أي ذات الطرق التي تسير فيها الكواكب ، وهي من بدائع صُنع الله ، ودلالة ذلك أنّ التوحيد طريقة من الطرق العرفانية للعبادة .

(٢) ثمانية فصول الشكر : هي فصول الكتاب الثمانية .

(٣) الرقم المجنح المعبَّر عنه بالرقم (٨) يشير إلى حملة العرش الثمانية ، لقوله تعالى : ويحمل عرش ربك يومئذٍ ثمانية . الحاقة (١٧)

(٤) في سورة الحجرات (آية ١٤) " قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمانُ في قلوبكم ." و الحديث النبوي الشريف المسند بأنّ الإسلام باب الإيمان و الإيمان باب الإحسان (التوحيد) .

(٥) مقامات النفس أو مراتبها من خلال فرز الألوان :

١- الأمارة ، ولونها الأزرق ←———— إلى الله
٢- اللوّامة ، ولونها الأصفر ←———— ... له
٣- الملهَمة ، لونها الأحمر ←———— عليه
٤- المطمئنة = الأبيض
٥- الراضية = الأخضر ←———— في الله
٦- المَرضية = الأسود ←———— عن الله
٧- الشاقة = التامة ←———— بالله

(٦) الجهاد الأصغر و الجهاد الأكبر : إشارة إلى الحديث النبوي الشريف : " عدنا من الجهاد الأصغر (وهو نشر الرسالة النبوية وجهاد العدو إلى الجهاد الأكبر (وهو جهاد النفس).

تقديم

بقلم الأستاذ يوسف الدبيسي

تعددت المؤلفات الصادرة مؤخرا في موضوع هذا الكتاب، ولعل الهدف الأسمى للمهتمين به هو المشاركة في صياغة مجتمع عربي حديث تنتفي منه النزعات الطائفية، والخلافات الدينية والمذهبية، التي عاشتها أجيالنا الماضية، وشجعت على ترسيخها عصور التخلف وأزمنة تسلط الأعاجم، ومن بعدهم الدول الغربية المستعمرة.

حاول المؤلف التعبير عن آرائه فيه من خلال الخبرة التي اكتسبها في مجتمعه، ومن المراجع التي توافرت لديه، واستخلص منها ما يغني هذه الخبرة ويضاعف من المعلومات التي أدخلها في مختلف فصول كتابه.

ولاشك أن اهتمامه بتسليط الأضواء مجددا على تلك الموضوعات نابع من الأصول التي انحدرت منها أسرته، فهو ينتمي إلى فرع من فروع آل أبي تراب الذين كانت لهم في زمن انتشار الدعوة التوحيدية، مشيخة الجزء الشمالي من فلسطين، الممتدة بين طبرية شرقا وساحل عكة غربا، ونابع أيضا من شخصيته التي كان لي خبرة بجديتها في الدراسة الثانوية، وبرفيع مستواها الأدبي والأخلاقي، وتوجهاتها الروحية المتميزة.

ومن الأثر الإيجابي الذي تركته في نفسه تلك الصفات والمؤهلات، المشاعر الوطنية والقومية الوثابة التي قدم براهينه عليها أثناء خدمته المخلصة لعلم بلاده في معارك تشرين عام ١٩٧٣ ، لتحرير الجولان من الاحتلال الإسرائيلي، غير أن مؤهلاته، كمؤرخ، لم تكن على درجة كافية تمكنه من تطبيق منهج البحث التاريخي حسب قواعده المطلوبة، وعذره في ذلك أنه مجاز في علوم اللغة العربية، لا في التاريخ.

ومع ذلك فقد بذل جهدا مشكورا لتلبية رغبة المتشوقين للإطلاع، ، على أنساب الموحدين (الدروز)، وتعاليم مذهبهم الدينية الأساسية، ونماذج من عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، وبطولاتهم في المعارك الحربية التي خاضوا غمارها دفاعا عن وطنهم وأمتهم العربية، بدءا من الحروب الصليبية، ومساهمتهم الفعالة في مواجهة الغزو الصهيوني لفلسطين، قبل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وبعده، مستندا في ذلك كله إلى الحقائق التاريخية الثابتة، التي حاول المغرضون إغفالها، بدافع من الحقد الطائفي، والتعصب المذهبي، اللذين توارثتهما العناصر الرجعية عبر الأجيال الماضية، وتعريفا بأبطال الجهاد، وبأعلام الفكر وفحول الشعراء، وأتقياء رجال الدين في المجتمع التوحيدي، فقد أفسح المؤلف لهم المجال لذكرهم في كتابه، تقديرا لمواقفهم الوطنية، وتضحياتهم الجسيمة في مختلف ديارهم، ولمشاركتهم المتواصلة في سبيل النهوض بمجتمعهم وتطوير مؤسساته التعليمية والثقافية، وسائر أوجه شؤونه الاقتصادية والعمرانية .

هذا وللمؤلف نشاط علمي متميز في مجال الدراسات الاجتماعية والروحية ، وله فيها مخطوطات متعددة ، عسى أن ترى طريقها إلى النور يوما ، لتضاف إلى ما أنتجه الباحثون من قبل في مختلف ميادين العلم والمعرفة ، لإفادة الأجيال ، والله ولي التوفيق .

السويداء في ١٩٩٧/٤/٧

يوسف سليم الدبيسي

تمهيد

هذا الكتاب ليس كتابا في الطائفية كما يتبادر لذهن القارئ من عنوانه، ولا هو تكريسا لها، ولا تأريخا لطائفة معينة في معزل عن إطارها الوطني، وإنما هو عرض وتأكيد وتوضيح لحقائق تاريخية ثابتة، حاول المغرضون أن يطمسوا معالمها على مر الزمن، وتعريف بطائفة تفرعت من الدوحة الإسلامية زمن الدولة الفاطمية، كما تفرع منها غيرها، ولا تزال إلى يومنا هذا، رغم جهل الكثيرين بها في العالم، تحافظ على هويتها القومية، ونقاء دمها، وتتمسك بمذهبها الإسلامي الإيماني التوحيدي، وتعتز بأمجادها الوطنية، وتمارس عاداتها وتقاليدها الاجتماعية المتميزة، ألا وهي طائفة المسلمين الموحدين "الدروز".

أما الغاية من هذه الدراسة المتواضعة فهي :

أولا، تعريف الأجيال الصاعدة من أبناء مذهب التوحيد بوجه خاص، وتعريف الآخرين في كل مكان بوجه عام، بنشأة طائفة المسلمين الموحدين الدروز التاريخية، ومرتكزات معتقدها الديني الأساسية، والتي بات الكثير من أبنائها يجهلونها، ثم إلقاء الضوء على أبرز عاداتها وتقاليدها التي تمارسها يوميا تقريبا، ثم تسجيل موجز عن نضالها الوطني والقومي عبر التاريخ، وهو الذي احتل الجزء الأكبر من هذا الكتاب، يضاف إلى ذلك ترجمة لعدد من أشهر أعلامها القدماء والمحدثين في الفصل الأخير منه.

ثانيا: تصحيح ما خلطه الخالطون من المستشرقين والمؤرخين العرب منهم والأجانب على حد سواء، وما نسجوه في دراساتهم التاريخية عن هذه الطائفة، وإثبات ما تجاهلوه وأهملوه من الحقائق التاريخية الناصعة، عن قصد أو عن غير قصد، خاصة وأن أكثر

دراساتهم قامت في أساسها إما على تعصب ديني أو عرقي يرفضهما العلم والمنطق السليم، وذلك تحقيقا لأهداف مشبوهة، أدت بهم في النهاية إلى تزوير الحقائق وتشويه التاريخ، وظلم من لا يستحق الظلم.

وعلى أية حال، مهما حرص هؤلاء وغيرهم على دقة معلوماتهم، فلن تكون أدق ولا أوثق من معلومات أي باحث من أبناء مذهب التوحيد أنفسهم، لأن صاحب البيت أدرى بالذي فيه كما يقال.

والثالثة: أن ليس بجرة قلم، أو بمعرض الرد على أسئلة بعض السائلين أينما كانوا، أو بفتوى جائرة مغرضة، لا تخدم إلا أعداء أمتنا العربية المتربصين بها، يمكن لأحد أن يخرج أبناء مذهب التوحيد "الدروز" خارج حدود التاريخ، ويجردهم من عروبتهم وإسلامهم، أو يهمش دورهم الوطني والقومي، وينتقص من كرامتهم، ويسيء سمعتهم في بحث أو مقال، نسجه على مزاجه وهواه، أو أن ينوب عن الله من جانب آخر في مقاضاتهم على معتقداتهم الدينية، فالتاريخ ليس حكرا على شعب دون شعب، ولا صنعته طائفة دون أخرى، ومهما حاول دعاة الفرقة والتشتت أن ينالوا من صمود شعبنا العربي المناضل في وجه التحديات والمحن والضغوط التي يتعرض لها في هذا الزمن العصيب، وأن يضعفوا من وحدته وتماسكه، ويحاولوا العبث بأمنه وأمانيه، ويبثوا في أوساطه سموم الحقد والكراهية، فلن يفلحوا في ذلك.

والمسلمون الموحدون "الدروز" هم يد على من ظلمهم، وتتكافل دماؤهم مع أبناء وطنهم العربي الكبير في التصدي لكل المؤامرات التي تحاك ضد هذا الوطن، وقد شهد لهم التاريخ المدون بأقلام نزيهة، وضمائر نقية، بصحة إسلامهم، وأصالة انتمائهم إلى قوميتهم العربية، وصدق نضالهم الوطني، كما شهد لهم أيضا بتجردهم وترفعهم عن العصبية والعشائرية والطائفية الضيقة، وكل

ما يتقوله المتقولون ما هو إلا سحابة صيف عابرة، وتبقى الحقيقة حقيقة.

وبالتالي، لا أدعي أنني في دراستي هذه، قد أحطت بكل الدقائق والحقائق التاريخية المتعلقة بأبناء هذه الطائفة المجاهدة، أو أتيت على ذكر كل الأوجه المتعددة لنشاطاتهم في جميع الميادين، وإنما هي نبذة مختصرة، أو غيض من فيض مما تطرق إليه العديد من الباحثين، بشكل أو بآخر، ومن ذاق كفا من الماء عرف طعم الماء كله.

ولكن لا بد للباحث في كل دراسة أو بحث، من إعطاء شيء جديد في بحثه، حتى لا يكون كلامه تكرارا لا مسوغ له، فعسى أن أكون قد وفقت إلى هذا الجديد على قلته، ليضاف إلى ما نقب عليه الباحثون من قبل، وقدموه للأجيال ثمرة يانعة من ثمار جهودهم العلمية، وقد أفدت الكثير مما دونوه.

ولا بد لي في الختام من توجيه الشكر إلى كل من ساهم في إغناء هذا البحث بما قدمه من مصادر أو معلومات مفيدة، أو شجع على إخراجه إلى حيز الوجود، أو أدلى في سبيله برأي سديد على الأقل، وأخص بشكري العلامة الدكتور أسعد علي لاهتمامه الكبير الذي أبداه في مراجعة هذا الكتاب والتقديم له بتلك المقدمة الفائضة عن نفس شفافة ، وأشكر كذلك الباحث المؤرخ الأستاذ يوسف الدبيسي الذي راجع هذا الكتاب أيضا، وقدم له، وأبدى ملاحظاته المفيدة، من خلال خبرته الواسعة في مجال البحث العلمي والتأليف، اللذين قضى شطرا كبيرا من عمره في سبيلهما، فعسى أن يحقق هذا الكتاب على إيجازه الفائدة المرجوة منه، والله الموفق لكل خير.

جميل أبو ترابي

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل الدروز

كثر حديث المؤرخين، القدامى منهم والمحدثين، العرب والأجانب، عن أصل الدروز ونشأتهم ومعتقداتهم الدينية، وتضاربت أقوالهم في ذلك، وتواتر الخطأ بينهم، ولم يجمعوا حتى الآن على رأي موحَّد، وقناعة ثابتة، وجل ما قالوه في هذا الصدد قائم في أكثره على مصادر غير موثوقة، وعلى ما خلطه الخالطون من المستشرقين، وقد لخص أحد المؤرخين من أبناء الطائفة نفسها في كتاب له كل ما قيل في أصل الدروز على مر الزمن في مجموعات خمس[1]:

" _المجموعة الأولى: الدروز مزيج من شعوب قديمة، أو خليط من عناصر عربية وفارسية وهندية وأرمنية وكردية.

_المجموعة الثانية: تُرجِعُ نسبهم إلى المغول، أو التركمان، أو الخوارزميين، أو الميديين، أو الحثيين.

_المجموعة الثالثة: أصلهم من الفينيقيين، أو الآراميين، أو اليهود.

_المجموعة الرابعة: أصلهم من الغالبين (Gaulois) أو من عناصر أوربية فرنسية، أو إنكليزية، تخلفت في الشرق وتوطنت بعض جباله إثر الحروب الصليبية.

_المجموعة الخامسة: ينتسبون إلى قبائل عربية هاجرت من شبه الجزيرة العربية، واستقرت في العراق ثم نزحت إلى البلاد الشامية.

وقد فنَّد المؤرخ المذكور آراء كل مجموعة على حدة وردَّ عليها في كتابه الأول من نوعه، وانتهى إلى الأخذ برأي المجموعة الخامسة

---

[1] أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية _ يوسف الدبيسي ج٤

قائلا "إن الرأي الذي تضمنته هو الذي نميل إلى الأخذ به.. وإنما دراستنا الشاملة لهذا الموضوع قد أظهرت لنا أن الغالبية العظمى من عشائرهم وأسرهم ترجع في أصولها إلى قبائل عربية كانت حريصة على صفاء أنسابها من الهجنة قدر طاقتها، وظلت تعتز بتقاليدها العربية الأصيلة، على الرغم مما سببه لها ذلك من متاعب في حياتها السياسية والاقتصادية.."[١]

والحقيقة أن الدروز ينحدرون من أصل عدد كبير من القبائل العربية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية وتوطنت سوريا ولبنان، كبني ربيعه، وبني تيم الله بن ثعلبة، وبني هلال بن عامر بن صعصعة، وقبيلة تنوخ والمناذرة، وبني تميم، وقبيلة طي، وقريش، وكندة، وغيرها من القبائل العربية الأصيلة...

فقبيلة ربيعه مثلا نزحت إلى لبنان قبل دعوة التوحيد الدرزية بمائتي سنة تقريبا، أي بداية القرن الثالث للهجرة، ثم انتشرت حتى بلغت سفوح جبال طوروس، وبعد الدعوة توطن الموحدون الدروز في قمم لبنان وسفوحه، لاسيما في قضاءي الشوف والمتن، فكانت بسكنتا أولى عواصمهم، ومن مواطنهم بكفيا والبترون ودير القمر[٢].

ونزل آخرون في أقضية حاصبيا وراشيا المعروفة باسم وادي التيم، وفي البقاع ووادي العجم وغوطة دمشق، وجبل العرب في سوريا، والجبل الأعلى في حلب، وفي صفد وجبل الكرمل من أعمال فلسطين.

وتوطن بنو تيم الله بن ثعلبة في الوادي المعروف باسمهم اليوم (وادي التيم) الجامع لقضائي راشيا وحاصبيا، ونزل بنو كلب في البقاع الممتد بين بعلبك وحمص[٣].

---

[١] المصدر نفسه .

[٢] خطط الشام ج١ ص٧٢

[٣] دواني القطوف ص١٠٣

واتخذ بنو هلال بن عامر بن صعصعة جبل العرب موطنا لهم، وكان يعرف سابقا بجبل بني هلال نسبة لساكنيه[1].

ولم يزل بنو عامر يسكنون القسم الشمالي منه إلى يومنا هذا وعاصمتهم شهبا المدينة التاريخية القديمة التي أنجبت الإمبراطور الروماني المعروف باسم "فيليب العربي". أما التنوخيون فقد اتخذوا من "عين دارة" قاعدة لهم، ثم نزح قسم منهم إلى "عبيه" وهم آل أمين الدين، والبعض الآخر سكن قرية كفرمتى، وهم آل ناصر الدين الذين نبغ منهم في هذا العصر الشاعر المرحوم أمين ناصر الدين، وتوطن إخوانهم بنو القاضي في قرية "بيصور" من قضاء "عاليه" ولا يزالون فيها[2].

ومن بني لخم مناذرة العراق قدم أميران لمقاومة الروم على شاطئ البحر المتوسط، وهما الأميران عون وعامر اللذان سجلا نسبهما لدى قاضي معرة النعمان قبل أن يخوضا غمار الحرب، كما أرسل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الأميرين منذر وأرسلان إلى لبنان ليقفا في وجه ملوك الروم ويقطعا الطريق عليهم حتى لا يتمكنوا من التسلل إلى الجنوب وأحيانا إلى فلسطين، وقد قال آنذاك:"لو لا هذه التنوخية لما كان للإسلام دولة."

ويقول الأديب الكبير مارون عبود الذي عاش بين الموحدين الدروز، وتعمق في دراسة تاريخهم وأحوالهم: "الدروز عرب أقحاح ، تحدروا من سلالات عربية عريقة، ومنهم من كانوا أنصارا للنبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقد حافظوا على عروبتهم بفضل ما تحلوا به من مكارم الأخلاق، والتمسك بتقاليد السلف الصالح، والاحتفاظ بالعصبية القبلية بكل ما يرافقها من عادات وقواعد المروءة والنخوة والشرف وآداب الحديث

---

[1] ابن خلدون مجلد٦ ص١٢٠٠٠١٤٠٠

[2] مجلة أوراق لبنانية ــ السنة الثانية ج١٠

والمجاملة واللفظ العربي الصحيح الخالي من اللكنة والزيف، ولم تزل بعض الأسر الدرزية تسمى إلى الآن بأسماء القبائل والبطون والأفخاذ التي انحدرت منها كبني سليم وبني عامر وبني قيس وبني الأحمد والصائغ وحرب وحمدان.."[1].

السمات العرقية المميزة للموحدين الدروز:

يقول العلامة الأمير شكيب أرسلان: "الدروز في النسب عرب أقحاح، لا يوجد في العرب الجالين عن جزيرة العرب أصح عروبة منهم[2]، نستدل على ذلك:

"**أولا:** من سحنتهم العربية الصرفة، وتشابه بعضهم لبعض، إذ لا يوجد قبيل يشبه بعضه بعضا مثل الدروز، وكان أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله كثيرا ما يفضي إلي بعجبه من شدة هذا التشابه فيقول لي: إذا رأيت الرجل المعروفي فكأنك رأيتهم جميعا.

"**ثانيا:** في نقاوة لغتهم العربية وإخراجهم الحروف من مخارجها الصحيحة، فلا تجد في الخارج عن جزيرة العرب من يتكلم بالعربية مثل الدروز، ولا من يتلفظ بالعربية مثل الدروز.. والفصاحة التي اشتهر بها الدروز رجالا ونساء آتية من كونهم عربا.

"**ثالثا:** التواريخ التي عند الدروز والتي عند الطوائف الأخرى المساكنة لهم في
جبل لبنان متفقة على كونهم أبناء اثنتي عشرة قبيلة عربية هاجروا من ديار حلب إلى لبنان في أوائل عهد العباسيين، ولا تزال بقية منهم في الجبل الأعلى بجهات حلب.

---

[1] أصل الموحدين الدروز ص٢٢ ــ أمين طليع

[2] من مقال له بعنوان "الدروز أو بنو معروف بأجمعهم عرب صراح" القاهرة ١٣٤٤هـ ــ وقد وردت في كتاب بعنوان "أهل العروبة والإسلام"اعداد وتقديم د.سعود المولى ص٧١ .

"**رابعا:** أنهم كانوا من الشيعة السبعية، أي القائلين بالأئمة السبعة، وهم فرقة من الشيعة.."ومن الدلالات التي تثبت عروبة الموحدين الدروز وصحة نسبهم، إضافة لما ذكره الأمير شكيب أرسلان:

١- في الموحدين الدروز أنفسهم بطون وأفخاذ معروفة الأنساب إلى قبائل العرب، هذا إلى لخم، وذاك إلى طي، وأناس إلى تميم، وآخرون إلى كلب، ومنهم من درست صلاتهم بأقاربهم في القبائل، ومنهم من لا تزال معروفة مثل بني عزام الذين لهم أقارب في الشرارات، ومثل بني قعيق وبني ركين وبني خميس..[1].

٢- التواريخ: كتاريخ الأسر الأرسلانية، وتاريخ ابن سباط، وتقويم الأنساب والأحساب المعروف بتاريخ النسبة، وما أشار إليه الدويهي، وتاريخ الأمير حيدر الشهابي، وتاريخ لبنان للشدياق، ودائرة المعارف للبستاني، وتاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس[2].

أصل تسمية المسلمين الموحدين بـ "الدروز":

هذا الاسم الذي اشتهر به المسلمون الموحدون لا يرد في مخطوطاتهم الدينية على الإطلاق، إذ أن أئمتهم أطلقوا على مذهبهم اسم "مذهب التوحيد" وخاطبوهم بالموحدين، والمسلمين، وكنوهم "بالأعراف وبنو معروف" ووصفوهم "بالأشراف"، أما الاسم "الدروز" فقد غلب عليهم نسبة إلى داع من دعاة مذهبهم هو"نشتكين الدرزي" بفتح الدال المشددة والراء، الذي نسب إليه الموحدون خطأ[3]، وقد قتل هذا الداعي في سنة (٤١٠هـ)_(١٠١٩م) في القاهرة لانحرافه عن تعاليم دولتهم التوحيدية وانقلابه عليها، وقد

---

[1] شكيب أرسلان ــ المصدر السابق ص٧١

[2] مجلة الضحى اللبنانية ج١٠ كانون أول ١٩٥٧

[3] الأشرفاني ــ عمدة العارفين ــ مخطوط.ص٧٤٩ ــ ٧٥٠

ناقش الدكتور محمد كامل حسين هذا الموضوع في كتابه"طائفة الدروز"وقال: "اسم الدروز كان ولا يزال مثار مناقشات عديدة بين الكتاب والمؤرخين، فالمعروف أنهم لا يحبون أن يلقبوا بهذا اللقب، ويستنكرون أن ينسبهم أحد إلى الداعي "نشتكين الدرزي" الذي يرمونه بالإلحاد والخروج عن دعوتهم وعقيدتهم، ويطلقون على أنفسهم اسم "الموحدين" وتسميتهم بالدروز تسمية خاطئة، ولكن ما حيلتنا بعد أن أصبح اسم "الدروز" اسم شهرة لهم، وبهذا الاسم عرفوا في التاريخ قديما وحديثا، بحيث أصبح الباحث مضطرا إلى أن يطلق عليهم هذا الاسم الخطأ."[١]

والحقيقة أن هذا اللقب "الدروز"لازم أتباع الداعي المذكور الذين انقلبوا معه ، وخانوا تعاليم الدعوة التوحيدية مثله، وهذا اللقب لا يقبله "المسلمون الموحدون" ولا يرتاحون إليه، لأن اسمهم الحقيقي كما ورد في مخطوطاتهم الدينية هو "المسلمون والموحدون" و"بنو معروف" ولم يحمل لقب "الدروز" إلا سكان بلاد الشام سوريا ولبنان وفلسطين حصرا، أما الذين استجابوا لدعوة التوحيد من غير سكان بلاد الشام، فلم يحملوا هذا اللقب، وإذا ما ذكر أمامهم حملته عرفوا أن المقصود بهم جماعة "نشتكين الدرزي" الذي تبرأ منه المسلمون الموحدون ولعنوه على مر الزمن.

تحقيق تاريخي حول كلمة "دروز"

أورد الأستاذ الدكتور محمد علي الزعبي تحقيقا تاريخيا حول أصل هذا الاسم "الدروز" في كتابه: "الدروز ظاهرهم وباطنهم" كما يلي[٢]

"المصادر التي بين أيدينا، المدونة في القرنين الرابع والخامس للهجرة، اللذين عاش طرفا منهما الإمام الحاكم، لاسيما التي اعتنت

---

[١] محمد كامل حسين: طائفة الدروز ص٨

[٢] محمد علي الزعبي ــ الدروز ظاهرهم وباطنهم ص٨

بحوادثه، كخطط مصر للمقريزي مثلا، تلك المصادر لم تذكر كلمة "دروز" والمؤلفون الذين حدثونا عن الفرق الإسلامية، كعبد الرزاق الراسعني المتوفى عام/٦٨٩هـ/ والشهرستاني/٥٤٨هـ/ والبغدادي/٤٢٩هـ/ والإسفراييني/٤٧١هـ/ وابن حزم/٤٥٦هـ/ وابن تيمية/٧٢٨هـ/ وسواهم وسواهم من الذين كتبوا حتى عن فرق الهند كأبي الريحان البيروني، ومن الذين حدثونا عن ابن كلس وابن إلياس وجوامع الإمام الحاكم ومدارسه وأوقافه ومواكبه وتنظيمه. كل هؤلاء لم يشيروا لكلمة "دروز"، بل إن صالح بن يحيى، صاحب تاريخ بيروت الذي أطال الوقوف تجاه منطقة الشوف، وحدثنا عن الأمير السيد المتوفى عام/٨٨٤هـ/ لم يشر لكلمة "دروز" . وهكذا نرى جميع المؤلفين الذين عاشوا بالفترة الممتدة من عصر الحاكم (القرن الخامس) إلى عصر السلطان سليم التركي (القرن العاشر) لم يشيروا لكلمة "دروز".

إذن، لا دروز في التاريخ، بل "درزي" (بفتح الدال والراء)، واحد فارق الجماعة فطرد من مصر، أو غادرها خائفا، ولقي مصرعه هنا، ولم يزل اسمه مثبتا ، حتى مقدمة أفول نجم الدولة التركية، إذ عدم أو كاد الذين يستطيعون الفرق بين ما جاء على أصله متدفقا عن سطور السجل المعلق، ورسالة تحريم الخمر وكتاب الدعائم وبين الروافد الطارئة.

بعصر التخلف هذا، اختفت من هذه الديار مدارسها الفقهية، وعلماؤها ومحققوها، وأطلق المغرضون على العشائر التنوخية ـالأرسلانيةـ البحترية المسلمة المرابطة المجاهدة، التي حلت هذه الديار فعمرت جبالها وحرست سواحلها، أطلقوا عليها كلمة "دروز" متجاهلين قوافل حجاجها المترددة بين مكة والشوف، ومعابدها التي لا تزال للآن تتمتع بكلمة مساجد.

"لا دروز، ولا ده روز"، بل قبائل عربية أمدتنا بأعلام أمثال السيد عبد الله التنوخي، وحمزة بن أحمد الفقيه العاليهي، وحمزة بن أسد

التميمي، والشيخ أبي هلال المشهور بالشيخ الفاضل، والشيخ يوسف الكفرقوقي..

من هو نشتكين الدرزي ؟

من هو نشتكين الدرزي، هذا الذي غلب لقبه على "المسلمين الموحدين" ولاحقهم إلى يومنا هذا، وهم يتبرأون منه ومن أتباعه، ولا يقبلون إلا لقبهم الأساسي وهو "الموحدون أو الأعراف أو بنو معروف"، فهو إذن "محمد بن إسماعيل" الملقب بـ"نشتكين الدرزي" والدرزي، تعني خياط، وهو من أصل تركي، لا كما ذكر بعض المؤرخين المحدثين أنه من أصل فارسي، وقد قدم إلى القاهرة قبل قيام الدعوة التوحيدية، فنال حظوة كبيرة بادىء الأمر في بلاط الحاكم، ثم تولى دار الضرب حيث جمع ثروة كبيرة غدا على إثرها مقصد القواد والدعاة وكبار رجال الدولة[1].

وقد دفعه طموحه إلى المجاهرة بالدعوة الجديدة في الجامع الأزهر قبل أن يحين موعد إعلانها، ولعله كان يركز نشاطه داخل معسكر الأتراك ليجذبهم إليه، ويشد أزره بهم في معركة "الإمامة"القائمة يومذاك، ولكنهم خذلوه.

كان الدرزي قد أقر بإمامة حمزة بن علي، وتظاهر بشدة ولائه له، فكتب على نفسه ميثاق الاستجابة على يد المأذون علي بن أحمد الحبال، ولكنه ما لبث أن كشف عن دخيلة نفسه بنزعة التكبر والاستعلاء التي أخذت تظهر في بعض أعماله وتصرفاته.

فانقلب فيما بعد وادعى أنه سيد الهادين، وتلقب بسيف الإيمان، ولما كان الدرزي يحاول فرض المذهب بالقوة حذره حمزة قائلا له: "ليس الإيمان بحاجة إلى سيف يعينه" وأوصى باتباع الإقناع والروية، ويأخذ حمزة على الدرزي أنه أقام البناء بغير أساس، والأساس هو العلم الحقيقي، والدرزي صفر منه، ثم جاهر الدرزي

---

[1] ابن الجوزي ج٨ ص١٧٨

بخروجه على إمامة حمزة، فحاصره مع أتباعه في مسجد ريـــدان قرب قصر الخليفة الحاكم بأمر الله في آخر يوم من سنة/٤٠٩هـــ _١٠١٨م/ ولم يكن مع حمزة داخل المسجد سوى اثني عشر نفـوا، ولم يفلح المحاصرون في اقتحام المسجد طيلة النهار.

ولما ظهر الحاكم عصر ذلك اليوم على شرفة قصره المطل علـــى المسجد صعق المحاصرون لهيبته وتفرقوا، وفي اليوم التالي مستهل سنة/٤١٠هــ _ ١٠١٩م/ قتل الدرزي وقبض على جميع أعوانه.

وقد تكون الضجة التي أثارها في بدء الدعوة السبب فـــي إطــلاق اسمه على أتباعها[1]، أما الذين علق بهم اسم "الدروز" خطـــأ فــهم ليسوا من أتباعه، ويدعون أنفسهم "موحدين" وهو الاسم الذي تسموا به منذ قيام الدعوة.

مذهب الموحدين "الدروز"

هذا العنوان الذي يحتاج البحث فيه إلى العديد من المصنفات ينبثق عنه عناوين ثلاثة تشكل العمود الفقري لمذهـــب المسـلمين الموحدين "الدروز" وهي:

_نشأة المذهب،

_العقيدة الدينية لدى الموحدين،

_أركان هذه العقيدة الأساسية، أو ما يعرف بدعائم الإيمان،

١. **نشأة مذهب التوحيد:**

نشأ المذهب في أحضـــان العقيـدة الشـيعية الإسـماعيلية الفاطمية، وعنها تفرع، ولم يكشف عنه قبل عـــام/٤٠٨هـــ _ ١٠١٧م/ لما أعلن عنه في عهد الخليفة الفاطمي الحـــاكم بـأمر الله، حيث قرء سجل عام من الإمام الحاكم عام/٤٠٨هــ/ يدعـو الناس إلى إعلانه في ذلك الوقت بدون خوف أو تستر، وانتشـر في جميع المناطق التابعة للدولة الفاطمية من شمال إفريقيا حتـى

---

[1] الدروز في التاريخ ــ د.نجلاء أبو عز الدين ص١٣١/١٣٢

الهند، وكانت مصر موطن ظهوره، وكان قبل الكشف عنه في التاريخ المذكور مستبطنا في الشرائع السماوية.

ولكن عدم تقبل أي معتنق جديد بعد إغلاق الدعوة إليه عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م والارتداد عنه، وسنوات المحنة في عهد الخليفة الفاطمي علي الظاهر، وقيام الدولة الأيوبية التي أعادت سيطرة المذهب السني إلى بلاد مصر والشام، وتشدد دولة المماليك مع أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، كل هذا قلص عدد المؤمنين به، حتى أن مصر التي هي مصدر الدعوة خلت منهم، واقتصر أتباعه الذين يعرفون باسم "الدروز" على بلاد الشام فقط[1].

وقد كان لبلاد الشام النصيب الوافر والنشاط المتميز لانتشار هذا المذهب في ربوعها، بدليل كثرة الدعاة المرسلين إليها آنذاك، وكثرة الرسائل الواردة إلى أمرائها ومشايخها، ومنها الرسائل الواردة إلى الأمراء التنوخيين حكام المنطقة المطلة على بيروت، وأمراء آل برغشة في وادي التيم، وأمراء دمشق والغوطة وسكانهما، وأهل جبل السماق غربي حلب، وشيوخ فلسطين، وإقليم البلان، وبلاد البثنية في جبل حوران المعروف اليوم بجبل العرب.

وقد تميز الموحدون الدروز منذ بداية دعوتهم عن سائر المسلمين بمفاهيم خاصة لبعض آيات القرآن الكريم، ولبثوا فرقة إسلامية زادت خصوصيتها وضوحا وتكريسا مع الزمن ومع اتساع نطاق حرية المعتقد والتعبير عنه، وإقامة الشعائر لاسيما في المناطق الجبلية الحصينة التي سكنوها، ومن الأمور الأساسية التي ميزتهم اتباعهم لرئاسة روحية تضطلع بمهام الإمامة، واستقلال قضائهم المذهبي فعليا، ثم استقلاله رسميا

---

[1] د.حسن البعيني: دروز سوريا ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ص٣١

حين اعترفت الدولة العثمانية بهم طائفة إسلامية مستقلة بشؤونها المذهبية وأحوالها الشخصية، وحصرت أمور القضاء بقضاتهم، وحظرت على قاضي الشرع الإسلامي النظر فيها، بموجب كتابي والي دمشق عام ١٨٨٩ وعام ١٨٩٠ وكتاب شيخ الإسلام عام ١٨٩٠ إلى نائب الشرع في حاصبيا[1].

وعندما تعرض أية قضية في الأحوال الشخصية للموحدين خارج محافظة السويداء، كان القاضي الشرعي السني ينظر في تلك القضايا مع تقيده بأحكام المادة (٣٠٧) من قانون الأحوال الشخصية السوري التي خصت أبناء الطائفة الدرزية بأحكام خاصة متطورة عن بقية المذاهب الإسلامية مثل منع تعدد الزوجات، ومنع عودة المطلقة إلى عصمة زوجها، والإيصاء بالثلث وبأكثر منه للوارث ولغيره كما سيأتي بحثه.

أما حجب تعاليم الدعوة لدى الموحدين فهو من باب التقية، وقد فرضتها ظروف الاضطهاد والخوف اللذين كثيرا ما عانوا منهما، مما أدى إلى تخرصات مغرضة حول مذهبهم، وتفسيره تفسيرات خاطئة ومعادية.

والذين يدعون بأن الموحدين الدروز غير مسلمين فادعاؤهم مشفوع بإنكار عروبتهم، وهذا يعني في نظر هؤلاء أن الدروز أصحاب دين خاص بهم، بينما يعد الدروز أنفسهم فرقة إسلامية دينها الإسلام، ونبيها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، والأدلة التالية التي نسوقها كافية لدحض ادعاءات المفترين الجاهلين.

١. اشتقاق مذهب الموحدين الدروز من الإسلام نتيجة لتفسيره بعض آيات القرآن الكريم تفسيرا خاصا.

---

[1] المصدر نفسه ص٣٢-٣٣.

٢. إطلاق اسم "المذهب" على مسلكهم وإطلاق اسم القضاء المذهبي على قضائهم.
٣. أكثر أسمائهم هي محمد وأحمد وعلي وحسن وحسين وفاطمة، وتسجيل قيودهم في دوائر الأحوال المدنية محسوبة على الطوائف الإسلامية ودوائرها الانتخابية.
٤. إتمام معاملاتهم وفق الشرع الإسلامي.
٥. إيمانهم بعقائد الإسلام، ومباركتهم عقود الزواج بالآيات القرآنية الكريمة، وصلاتهم على الميت صلاة إسلامية محضة مشفوعة بكثير من الآيات القرآنية، وتلقينهم الميت العبارات الآتية: "إذا جاءك منكر ونكير وسألاك ما دينُك، ومن نبيك، وما كتابك، ومن إخوانك، وما قبلتك ؟ فقل لهما: الإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي، والقرآن كتابي، والمسلمون والمسلمات أخوتي وأخواتي، والكعبة قبلتي، والصلاة فريضتي."
٦. تميز تاريخ إماراتهم الإسلامية بإنشاء الجوامع الكثيرة في أماكن سكناهم.
٧. مخاطبة إمامهم لهم بالمسلمين.
٨. إشهارهم لإسلامهم، وإقرارهم بالشهادتين، شهادة "لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" واعترافهم بوجوب بقية الفرائض الدينية كالصوم والصلاة والزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلا، وتصريح شيوخ عقل الطائفة بقولهم: "اعلموا أن طائفتنا هي بعض الأمة المحمدية وفرع الأرومة الإسلامية"[١] و "الدروز مسلمون تقبلوا الإسلام ديناً، واتخذوا الفاطمية مذهباً."[٢]
٩. اعتراف شيخ الجامع الأزهر محمد شلتوت بإسلامهم بقوله: "إن الدروز موحدون مسلمون مؤمنون" واعتراف رئيس لجنة

---

[١] من وثائق الدكتور منير اسماعيل.

[٢] "الضحى" عدد تشرين أول ١٩٧١ ص١٨

الفتوى بالأزهر محمد عبد اللطيف السبكي بإسلامهم وإصداره فتوى تؤكد ذلك، وبأنه "لا يجوز لأحد أن يتهمهم بعدم الإسلام."[1]

فالدروز إذن هم إحدى الفرق الإسلامية، ودينهم هو الإسلام، وهم يعودون إلى القرآن فيما يتعلق بالعبادة، وإلى الشرع الإسلامي فيما يتعلق بالقضاء، وإلى الحظيرة الواحدة التي تجمع المسلمين عند حصول الفرز على أساس ديني[2].

٢_ عقيدة المسلمين المؤمنين الموحدين "الدروز"

تتلخص عقيدة المسلمين الموحدين بنقاط أساسية هي:

١. الإيمان بقدم العالم وعراقته ومعاده إلى أدوار سالفة قبل (آدم أبو البشر).

٢. الإيمان بخلود الروح والعودة إلى التجسد وأن أرواح العباد هي جواهر خالدة لا تبيد ولا تفنى، تنتقل من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر بعد همود الجسد السابق، ويقوم على مقاضاتها يوم الحساب الأخير العقل المهيمن بذاته، كما أنه هو الراعي الصالح في الحياة الدنيا لكل المخلوقات.

٣. الإيمان بيوم الحساب المعروف بيوم البعث، وهناك تحاسب الخليقة على ما اكتسبت من أعمال خير وشر، وبعد ذلك إما إلى جنة وإما إلى نار كما ورد في القرآن الكريم: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[3].

٤. الإيمان بإله واحد أحد، منزه عن الازدواجية والعدد، يتجلى لعباده من دور إلى دور تذكرة وتأنيسا لهم.. يلقي مهمة تدبير

---

[1] صورة الفتوى صدرت في ١٠ كانون أول ١٩٦٨ عن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، ونشرت في مجلة الضحى اللبنانية عدد كانون أول ١٩٦٨ ص٣٠

[2] د.حسن البعيني ــ دروز سوريا ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ص٣٣..

[3] الزلزلة (٨).

الخلق ورعايتهم ومحاسبتهم على أعمالهم إلى وليــــه وصفيــه "العقل المهيمن".
ومما يؤخذ على معتنقي عقيدة التوحيد إيمانهم بتجلـــي الله ســبحانه وتعالى، حتى دعا الذين لا يتفهمون مكنون الأشياء، ولا يحســـنون تحديد كلمة "التجلي" بالمعنى الذي يحدده به الموحدون دعوا ذلــــك كفرا بالدين الحنيف.
ولو تفحص كل واحد منهم بتجرد عميق صميم ديانتـــــه لوجــد أن التجلي ظاهرة غير مستغربة، وأنها رافقت الأديان منذ بدئــها، وأن لها مسببات هامة اقتضت ظهورها كما اقتضت إلزامية ذلك الكشف مع العصور، وما هي إلا تذكرة لأولي الألباب.
وفيما نسوقه من شواهد وأدلة متنوعة لتأكيد ظاهرة التجلي، ليســت الغاية منه إقناع من لا يقتنع، أو تحويله عن عقيدته المتمسك بــــها، وهذا ما لا طاقة لنا به، ولا سبيل لأحد إليه، وإنما هو إيضاح لأبناء مذهب التوحيد عما أوشكوا أن يجهلوه، ولغيرهم ممن آمن بذلــــك، كما نوهنا عنه في مقدمة هذا الكتاب. "ولو شاء ربك لآمن من فـــي الأرض كلهم جميعا"[1] "وإنما أمره تخبير ونهيه تحذير" ولا إكراه في الدين.
فالله سبحانه وتعالى موجود غير محدود، ومنزه غير معدوم، ظاهر في خلقه فلا يخفى، وباطن في ظهوره فلا يدرك، عجزت العقـــول عن إدراك ذاته، وكلت الألسن عن الإحاطة بكنه صفاتــــه. "ليــس بمحصور في الناسوت فيغيب عنه علم الملكوت" كما تقول حكمــــة العرفان.
والمسلمون الموحدون يعتقدون أن لاهوت الله سبحانه وتعالى تعجز العقول عن إدراك ذاته، ولا يمكنها الإحاطة بكنه صفاتـــه، ولـــهذا أوجبت حكمته تعالى أن يتجلى لخلقه بصورة ناسوتية مـــن جنـــس

---

[1] يونس (٩٩)

صورهم، فخاطبتهم الصورة بالمألوف من أسمائهم، فأنست العقول إلى ظاهر صورته، واستدرجهم إلى معرفته بلطيف حكمته.

والناسوت، صورة مجازية لا حقيقية، أظهرها المولى رفقا بعباده، وتأنيسا لهم، وتطمينا لقلوبهم، لأن ليس في طاقتهم مقابلة اللاهوت، إذ لو انكشفت معرفة الخالق للخليقة من غير تأنيس ولا تدريج لصعقت لقدرته وخرت.

ومثل الصورة الناسوتية الظاهرة كالسراب الذي تعاينه ماء، فإذا جئته بحد العيان لم تجده ماء، كذلك صورة الناسوت، تراها بعين الطبيعة، فتظنها صورة كصورتك، فإذا دنوت منها بعين العلم، لم تجدها صورة، ووجدت الله عندها "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.."[1]

ورؤيته تعالى رؤية عقل، لا رؤية حس، يمكن معرفة الخالق عقلا، ولا يمكن الإحاطة به حسا، وكيف يحيط الصغير بالكبير؟! هو نور تدركه الأبصار الصحيحة، وحق تعرفه العقول الزكية الرجيحة.

والناسوت حجاب اللاهوت، ووجه اللاهوت، ونور إشراق اللاهوت، كنور الشمس من الشمس، والناسوت من نور اللاهوت ظهر، وحجبته وغيبته في لاهوته لا في سواه، إن احتجب فهو منزه، وإن تجلى فهو موجود، وبتجلي اللاهوت في الناسوت أثبت وجوده، وبحجبة الناسوت في اللاهوت أثبت تنزيهه، وبتعبير آخر، إذا احتجب اللاهوت في الناسوت ظهر للعيون الشحمانية صورة ناسوتية، وإذا احتجب الناسوت في اللاهوت تنزه به وغاب عن الأنظار .

ونسبة الناسوت إلى اللاهوت كنسبة الخط إلى المعنى، فالخط مثل الناسوت لأنه مبصور، والمعنى مثل اللاهوت لأنه غير منظور.

---

[1] النور (٣٩)

الناسوت يبدو للعيان، ويرى أنه في مكان، واللاهوت لا يرى بالعيان، ولا في مكان، وكما أنه لا يمكن انفصال الخط عن المعنى، كذلك لا سبيل لانفصال الناسوت عن اللاهوت، وفي معنى آخر، كما أن الروح محتجب في الجسم، كذلك يحتجب اللاهوت في الناسوت، وكما أن الروح لا تدرك إلا بالجسم كذلك اللاهوت لا يدرك إلا بالناسوت. وكما أن الروح تنطق من الجسم، كذلك اللاهوت ينطق من الناسوت.

والله تعالى منزه عن الإدراك، ومنزه أيضا عن العدم، ومنزه عن التعطيل والتشبيه. يقول سقراط: "النطق والعقل قاصران عن اكتناه وصفه وتحققه، وتسميته وإدراكه لأن قدرته وجوده، وحكمته بلا نهاية، ولا يبلغ العقل أن يصفها، ولو وصفها لكانت متناهية، والإنسان المحدود المتناهي لا يدرك ولا يحيط بالله اللامحدود اللامتناهي إلا ضمن المعقول والحس، وضمن الزمان والمكان، إدراكا جزئيا لا كليا. "

والله سبحانه وتعالى منزه عن التحديد والبشرية، لا تلحقه صفة ولا له صفة، ولا يمكن الوصول إليه إلا بأسمائه وصفاته المجازية، إنه تعالى، لا يدخل تحت اسم ولا صفة ولا لغة، لأن الاسم لمسمى، والصفة لموصوف، واللغة تشير إلى معروف. فبظاهر ناسوته عرفنا بلاهوته، وإلا فما عرفناه ولا أدركناه.

وصورة الناسوت التي تراها الأعين، لا تحس ولا تلمس، ولا جسم لها، ولا تخاطيط، ولا تأكل ولا تشرب، ولا تنام ولا تتعب، ولا لها لحم ولا دم، هي صورة روحية كالمرآة، يرى الناظر فيها شبيه صورته بغير لمس ولا إدراك كيفية. "كالناظر إلى وجهه في المرآة"

قال أحد العارفين: "لا أعبد ربا لا أراه"[1] وإله لا تراه ولا يؤانسك، يبقى كالأسطورة، وفي حكم العدم، ولما كان لاهوت المعبود لا يدرك بالعيان، وكانت العبادة لا تكمل ولاتصح إلا لموجود ظاهر مرئي، ولا يثبت عدل ولا ثواب ولا عقاب، كان لابد من حجاب يوصل الخلق إلى المحجوب، أظهر المولى حجابه بالناسوت إقامة لعدله في الأنام، فرأته العيون، وسمعت كلامه الآذان، وخاطبنا من صورنا، ومن حيث نحن، وبالمألوف من أسمائنا، وشافهنا بالوعية، وجانسنا بأفعالنا ـ وهو منزه عنها ـ لتقبله أفهامنا، فصحت العبادة، وثبت العدل، وثبت الثواب والعقاب لأن الخلق لا يعون إلا ما شاكلهم، ولا يفهمون إلا ما جانسهم، ولأن "الصورة البشرية لا تفهم ولا تقبل إلا من صورة بشرية مثلها" كما تقول حكمة العرفان.
والخلاصة أن مذهب التوحيد دعا إلى موجود ظاهر منزه، أثبت وجوده وتنزيهه بتجليه وغيبته، لا يشوبه في تنزيهه تعطيل، ولا يلحقه في وجوده تشبيه.."
والذي ترفضه عقيدة التوحيد رفضا قاطعا "الحلول والتجسد".
يقول أحد العارفين: "أما الحلول والتجسد، فلا يمكن للأحد السرمدي القائم الثابت أن يحل أو أن يتجسد في المتنوع الذي من طبيعته وإبداعه التبدل والتغير والزوال، هذا من منطق المحال"
ثم يقول: "إن الموحدين يؤثرون فكرة التنزل أو التجلي، ويحصل ذلك عندما المتحقق الحكيم يتخلص من تلك الأدمية، فتفيض عليه الصفات الربانية وتتجلى فيه الأنوار الإلهية.. وهذا لا يتم إلا عندما تموت هذه الأنانية الفردية في الإنسان"

---

[1] وهذا مصداق قول رسول الله عليه الصلاة والسلام "اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك"

وهذا ما يؤكده الحديث الشريف: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" أي إذا امحت هذه النفس الأنانية الفردية وماتت قبل الموت."[1]

ويؤكد الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي إمكانية معرفة الله الناجمة من ظهوره الإلهي في الصورة البشرية بأربعة، قائلا: "والشواهد على المشافهة بهذه الأربعة، الهيئة، والأسماء، والمخاطبة والأفعال، فكما أن تجليه أعظم الرحمة، فإنكاره وجحده أعظم السخط."[2]

وفيما يلي شواهد عديدة توردها الكتب السماوية المقدسة والحكماء والفلاسفة لإثبات ظاهرة التجلي، نكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

<u>في القرآن الكريم :</u>

"وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" **الزخرف (٨)**

"وجاء ربك والملك صفا صفا" **الفجر (٢٢)**

"ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" **ق(١٥)**

"ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال: ربي أرني أنظر إليك، قال لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني.." **الأعراف (١٢٢)**

"تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله.." **البقرة (٢٥٣)**

"وكلم الله موسى تكليما" **النساء (١٦٤)**

"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا: بلى..." **الأعراف (١٧١)**

---

[1] كمال جنبلاط ــ مقدمة أضواء على مسلك التوحيد للدكتور سامي مكارم ص٣٣.

[2] من بعض تفاسير الأمير السيد وشروحاته.

في التوراة :

_ سفر التكوين _ الإصحاح ٧٢١/١٧ "ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر لأبرام وقال له: أنا الله القدير، فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم"

_ سفر الخروج _ الإصحاح ١٠/١٩ - ١١ "...لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء."

_ سفر الخروج _ الإصحاح ١١/٣٣ "ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه."

_ سفر الملوك الأول _ الإصحاح ١/٩-٣ "وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب، وبيت الملك، أن الرب تراءى لسليمان ثانية، كما تراءى له في جبعون. وقال له الرب: قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعت به أمامي."

في الأحاديث النبوية الشريفة:

١. قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "إذا دخل أهل الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار. قال فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل."(رواه مسلم والترمذي _ وأورده الشيخ ناصيف في كتابه: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، ج٥ ص٤٤٨)

٢. قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر وليس دونه سحاب، قالوا لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة" (رواه مسلم، في صحيح البخاري مج٣ _ ج٨ _ ص١١٨)

وهذا ما يفسر قوله تعالى"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" القيامة(٣٢)

٣. "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقتُ الخلق فبي عرفوني"

من الأحاديث القدسية

والتوحيد يحدد مفهوم التجلي بآيات كثيرة منه، نورد بعضها على سبيل المثال:

"إن الله لايحتجب عن خلقه، ولكن حجبته عنهم أعمالهم"

"ثمرة الكمال مشاهدة الباري"

"لا حجة لكم على الله لأنه عرفكم ذاته."

"لا يخلو منه زمان ولا من نوره مكان."

"ليس له مكان معروف فيكون محصورا فيه، ولا يخلو منه مكان فيكون عاجز القدرة."

"أظهر لنا حجابه (الناسوت) الذي هو محتجب فيه، ومقامه الذي ينطق منه، ليعبد موجودا ظاهرا، رحمة منه لهم ورأفة عليهم.."

وفي أقوال العلماء ما يثبت ظاهرة التجلي، ومنهم من كان له في ذلك تجربة شخصية: فهذا الشيخ نديم الجسر، العالم السني المعاصر، لم ينف ظاهرة التجلي، التي يعبر عنها بكلمة "مشاهدة" نفيا قاطعا، بل يقول على لسان العارف بالله الشيخ أبي النور الموزون السمرقندي:

"وليس بمستحيل أن ينعم الله على بعض عباده بهذه (المشاهدة) ولكن هذا يكون من باب الشذوذ"[١]

ويقول الدكتور أحمد كمال أبو المجد في مقال له بعنوان: "مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر":[٢]

"ليس للإسلام باطن يستأثر به أقوام دون أقوام، إلا أن تكون تجربة روحية ذاتية، من حق أصحابها أن يخوضوها، وأن يذوقوا ثمارها في صمت وتواضع.."

---

[١] قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، ص١٣٣

[٢] مجلة العربي الكويتية عدد ٢٢٢ أيار (مايو) ١٩٧٧ ص ١٨

ويبدو أن هذه التجربة الروحية قد قام بها الدكتور أسعد علي، خلال دراسته لآثار المكزون السنجاري، وتمثله فيها لكيفية "تطهير صورة النفس من المحسوسات التي تغلق عليها منافذ الصفاء، فقال:

"كنت في صيف ١٩٧١، في صنين (من جبال السلسلة الغربية في لبنان) معتزلا المدينة، لأعطي بحثي صورته الأخيرة.. فتح الله علي، فضلا منه، من دون أن أتعمد، ولكن ما انفتح خصوصا يلزم الصمت على العموم.."

"ويقول أيضا في تعريفه لعبارة "حق اليقين" التي أوردها المكزون في بعض رسائله: "فهو علم المرء بالمباشرة .. ونوعه المشاهدة في الشريعة، ودرجة صاحبه درجة المستبصر المكاشف"[1]

ويقول المفكر مصطفى محمود: "كل شيء في الأديان يكتسب مع الوقت قداسة خاصة، فينسى الناس الجوهر ويتمسكون بالمظهر، ويبتعدون عن الخالق، لأنه بعيد عن حواسهم القاصرة، ويتعلقون بما هو قريب من حواسهم المادية وأفهامهم من صور ورموز وأشياء يعلقون عليها أهمية كبرى في عباداتهم وطقوسهم"[2].

هذه العبارات وكل الشواهد التي أوردناها، توضح السبب الذي من أجله حدث التجلي، حدث لكي يتذكر الناس أن لهم إلها مراقبا محاسبا، وليفهم المشككون أن العبادة والتوحيد ليسا بالرموز والأوهام، فكان التجلي إطلالة بارقة من الحواس الروحية العميقة في النفس إلى الحواس الظاهرة التي تقبل الخداع والتمويه، وبهذا

---

[1] مقدمته لكتاب "معرفة الله والمكزون السنجاري" مج١ ص٢٢ ، ثم ما جاء في المتن ص٧١

[2] الله ، دار العودة، بيروت ط١ ١٩٧٢ ص٥٤ .

يغدو الخالق قريبا من حواسهم الظاهرة القـــاصرة، ويبطــل كــل تضليل وتنتفي عبادة العدم إلى الأبد".

وفي التجليات التي حدثت بأدوار متباينة كان المبدع سبحانه يتراءى للناس بعد أن يكون قد استحكم الظلم والفساد، وطغت "الأنا" المدمرة على نفوس العباد، يتجلى فتخبو براكين الأذى والشرور، وتـــورق خمائل الفضيلة في النفوس المهدية، فلا تعصف بها رياح النســيان، بل تذكر وتوحد وترى.[1]

وحصيلة القول: إذا كانت بقية الديانات تقر بأن الله سبحانه وتعــالى سيتجلى لعباده في اليوم الآخر، فهل يعجز عن التجلي قبل ذلك فــي الدنيا ؟!

يقول الفيلسوف تالس"Thales" إن للعالم مبدعا لا تـــدرك العقــول صفته من جهة جوهريته، وإنما يدرك من جهة آثاره، وأيضا فـــإن العالم كلهم ما اختلفوا في أن الله قادر، فأين قدرته لو غاب الدهـــر كله لا يظهر، أليس يكون قد عجز عن الظهور، أيضا فلـــو ظـــهر الدهر كله ثم لم يغب لقلنا إنه عاجز عن الغيبة، فأي إله لمن يدعــي أن له إلها غائبا عاجزا عن الظهور، وليـــس مـــن صفـــة القـــادر العجز؟! وفي ذلك يقول الشاعر:

ظهر الإلهُ لخلقه بالصورة المرئية   عـــدلا ومنّا ليس فيـــه خفيَّة

وقال الحلاج رضي الله عنه:

سبحان من أظـــهر ناســـوته   ســـر ســـنا لاهوتـــه الثـــاقب
ثـــم بـــدا لخلقـــه ظـــاهـــــرا   في صـــــورة الآكل الشارب

وقال آخر:

بشـــر في العين إلا أنـــه   من طريق العقل نور وهدى
جـــــل أن تدركه أعيننا   وتعالى أن تـــراه جســــدا

---

[1] مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ ـــ سامي أبو شقرا ص١٤

"مولاي سبحانك، لك الحمدُ على آلائِك أن تسمَّيْت بأسمائنا، وظهرت بأشباحنا وأفعالنا، ثم تجرَّدت عن جميع صفاتنا، ودعوتنا إلى الحقيقة والمعرفة والوجود والتنزيه... مولاي سبحانك في تجلّيك هذا ! ظهرت لنا فرأيناك بأعيننا وبقلوبنا وبأفكارنا، وتوجَّهنا إليك، فخاطبناك، واطمأنَّت بك حالاتنا .."[1]

"تجلّى ربك للذين آمنوا، فرأوه في أنفسهم، وخاطبوه في ألسنتهم وقلوبهم، وجالسوه، وكنَّا لمجلسهم شاهدين، واحتجب عن أعين الذين كفروا."[2]

<u>أركان العقيدة التوحيدية وآدابها:</u>

هذه الأركان التي ترتكز إليها عقيدة التوحيد هي الوجه الثاني لهذه العقيدة، والتي تمثل المسلك العملي والتطبيق الفعلي للآداب التوحيدية التي لا تستقيم العقيدة بدونها وهي:

١ _ صدق اللسان:

وهو أعظم فريضة توحيدية، إنه بمثابة الرأس من الجسد، فإذا صلح الرأس صلح الجسد، وهو حجر الزاوية في قيمة الإنسان الشخصية، وهو في الوقت نفسه رأس الإيمان لأنه يمثل العقل، والكذب رأس الشرك والكفر، لأنه يمثل الشيطان، والكذاب لا دين له، وهذا ما يؤكده الحديث النبوي الشريف:

"إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدُقُ حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابا."

ومن فضائل الصدق أنه ينهى عن الشرور والآثام، كالسرقة والقتل والزنا وشهادة الزور والكذب وغيرها من الموبقات،

---

[1] مناجاة لأحد الحكماء المتحققين في الكتاب المنفرد بذاته ص١١٧

[2] المنفرد بذاته، ص٦٩-٧٠

فمرتكب إحدى هذه الكبائر ضال لا يسمح لـــه بـالصلاة مـع الجماعة الأتقياء، إلا أن يتوب توبة خالصة، ومـن مستلزمات الصدق الوفاء بالوعد والمحافظة على العهد، فإذا ما وعد رجـل الدين وعدا فهو عنده أثبت وأقوى من وثيقة مسجلة، ومتى قـال أحدهم: قلت، فهذا يعني أنه أعطى بقوله عهدا، ولا بد لـه من البر به مهما كانت النتائج، فهو مؤمن بعهده إذا عاهد، وهو بذلك من المتقين.

وفي الحديث النبوي الشريف تأكيد لذلك حيث جاء فيه: "المؤمن إذا وعد وفى" وفي باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان".

والصدق صدقان، صدق باللسان، وصدق بالجنان، والصدق مع النفس أعلى درجات الصدق، ومن لم يكن صادقا بلسانه فهو بالقلب أكذب وأكثر نفاقا.

ومن موجبات الصدق صدق الإقرار والإيمان بالله وملائكته وأنبيائه وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومن لا إيمان له بذلك، فهو كاذب ومدعي الإيمان.

٢ _*التعاون المتبادل أو ما يعرف بحفظ الإخوان:*

تأتي هذه الفريضة بعد فريضة الصدق مباشرة لأن الإيمان لا يكمل إلا بها، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى يُحِب لأخيه ما يحب لنفسه" وحفظ الإخوان يقتضي منهم التعاون والتعاضد والتناصر، ويستدعي المحبة والمساواة، لأن المؤمن أخو المؤمن كما يقول التوحيد، وليس أقوى من الروابط الروحية تربط بين المؤمنين ولا أدوم ولا أثبت، فلا أهمية للرابط الدموي لأنه يزول بزوال الجسد، ولا يعني هذا أن الموحد "الدرزي" متعصب دينيا، ومحبته مقتصرة

على إخوته في العقيدة والإيمان، بـل يحـترم جميـع الأديـان السماوية ويقدس جميع الأنبياء والرسل.
والتاريخ يشهد أن للمسلمين الموحدين "الدروز" نضالات مريـرة إلى جانب أخوتهم من بقية المذاهب الإسلامية الأخـرى ضـد الموجات الاستعمارية التي تعاقبت على أوطانهم، وقد قدموا فـي سبيل ذلك آلاف الضحايا والشهداء، وهم ينطلقون مـن المبـدأ القائل "في الاتحاد قوة، وفي التفرق ضعـف" أو مـن الحديـث النبوي الشريف "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا".
ويوصي التوحيد بالتكافل فيما بين الموحدين لأنه من الواجبـات الأساسية، والموحدون أخوة وأخوات، ومن صلة الأخوة هذه ينبع الالتزام بالعون المتبادل، فمن واجبات الأغنياء إعالة المحتاجين، لكنه حرم على الموحد في الوقت نفسه أن يغتنم بعـد الوجـود الكافي أخاه، كما أنه حرم على أخيه المؤمن إذا تحقق عدمـه أن يحوجه إلى سواه.
ولا يقتصر التكافل بين الموحدين على الجانب المادي فقط، وإنما يتم التعاون من جانب آخر بالإرشاد الروحي والتعليـم الدينـي، فالتعليم الديني صدقة فرض، وحرم على المؤمنيـن أن يـأخذوا أجرا على ذلك، وتجدر الإشارة إلى قول المعز لدين الله عليـه السلام: "لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يقيم مؤمنا مثله"
٣ _التبرؤ من عبادة العدم والبهتان:
وفي ذلك نهي عن عبادة الأوثان والسـجود للأصنـام، والنصب والتماثيل، ولهذا كانت معـابد المسـلمين الموحديـن "الدروز" خالية من الزخرفة والرياش، بعيـدة عـن المظـاهر الخلابة، مقتصرة على أبسط المفروشات للجلـوس، لأن كـثرة الرياش والزخارف ملهاة للإنسان عن صلاتـه والتعمـق فـي تأملاته.

٤_البراءة من الأبالسة والطغيان:

وهم المرتدون الذين تنكروا للدعوة التوحيدية وخانوها وانقلبوا عليها بعد أن آمنوا بها وعملوا لها فترة من الزمن، أمثال "نشتكين الدرزي" والبرذعي والحبال، وسكين.."

وقد حذر مذهب التوحيد أتباعه الموحدين من اتباع أساليب هؤلاء والسير على خطاهم، لأنهم أصحاب كفر وضلال، والموحدون الدروز كما ذكرنا يحترمون جميع الأديان ويقدسون جميع الأنبياء والرسل انطلاقا من إيمانهم بالتقمص في أن هؤلاء الأنبياء ينتقلون من دور إلى دور، وقد أوضح الشيخ الإسماعيلي المحامي خضر حموي عندما أشار إلى ذلك قائلا: "في عقيدة التوحيد ليس من حق أي دين أن يظهر بمظهر المحتكر للحقيقة، بل إن الأديان متممة لبعضها البعض، وإذا ما ظهرت مختلفة عن بعضها البعض فإن ذلك راجع لاختلاف الظروف ولمكان نزول الشرائع"[١].

٥_توحيد الخالق في كل عصر وزمان:

وقد اكتسبوا اسمهم من هذه الفريضة، لأنهم يوحدون الخالق ولا يؤمنون إلا بالله وحده، ويتبرأون من عبادة الأوثان والأصنام.

٦و٧_الرضا والتسليم:

وهما في الحقيقة فريضة واحدة، لأن التسليم ثمرة الرضا كالشجرة تكون قبل الثمرة، والرضا في اللغة قبول، وهو خلاف السخط، والتسليم فعل، ولولا الرضا ما كان التسليم، كما أنه لولا الشجرة ما كانت الثمرة، ولا يقدر العبد على التسليم إلا بالرضا، ومعنى الرضا أن يرضى بجميع أفعال الباري ساءته أم سرته، دون اعتراض لأنها صادرة عن الإرادة الإلهية، والرضا

---

[١] الإسماعيليون عبر التاريخ ص١٦ ــ بيروت ١٩٦٩ــ سليم هشي.

والتسليم كما يقول مذهب التوحيد "نهاية العلم والتعليم" وهما من أكبر علامات المحبة لله تعالى.

وآداب الموحدين الدينية منبثقة من هذه الخصال التوحيدية السبعة، لأن أدب الدين عندهم قبل الدين، ولا يسمى الموحد موحدا إذا أخل بفريضة من هذه الفرائض أو الخصال، والموحد الصادق لا يكذب ولو كان في الصدق المشقة، إذ الكذاب كما قلنا لا دين له، ولا قيمة اجتماعية، والصدق إلى جانب أنه من أعلى الخصال التوحيدية، فهو ضرب من ضروب الجمال، والكذب قبح وشين لصاحبه.

والمسلم الموحد – إلى جانب ما ذكر – لا يتعاطى شيئا من المشروبات الروحية، ولا التدخين، ولا يجتمع عنده شيء من ذلك مع الإيمان، لأنه يناقض أركان عقيدته التوحيدية كل التناقض، والسبب في ذلك أن كل ما يضر الجسد فتعاطيه محرَّم تحريما قاطعا، حيث يجب إكرام الجسد والعناية به إكراما للروح المقدسة الساكنة فيه، وهذا ما أوصى به الحديث النبوي الشريف "إن لبدنك عليك حقا" والموحد لا ينطق بهُجر القول[1] أبدا في حياته، ولا سبيل للكلام الفاحش والبذيء إلى لسانه، والمدخنون وشاربو الخمور والناطقون بهجر القول ومرتكبوا الموبقات لا تقبل لهم صلاة ولا يصح لهم صيام، إذ المؤمن الموحد الحقيقي لا يجمع في مسلكه بين نقيضين، ولا يفعل ما يضادد مبادئ معتقده ويتنافى مع تعاليم الدين الحنيف.

ومن جملة الآداب الدينية عند الموحدين، أن الموحد يكتفي بزوجة واحدة عملا بالآية القرآنية الكريمة: ".. **فإن خفتم ألا تعدلوا**

---

[1] هجر القول: الكلام الفاحش والبذيء

فواحدة، ولن تعدلوا في النساء ولو حرصتم"[١] وفي ذلك ما فيه من عدل وإنصاف وانسجام.[٢]

والمطلقة في آداب الزواج لا تعاد أبدا إلى عصمة زوجها، وحرم ذلك على الموحد أن يعيد مطلقته، أو أن يجتمع بها تحت سقف واحد، حتى لا تكون الحياة الزوجية عبثية، كما أن الطلاق لا يقع إلا من القاضي وبقرار منه.

ومن الفرائض التوحيدية المعمول بها لدى الموحدين "الدروز" الوصية، وتكون لوارث ولغير وارث، وبكل التركة أو بعضها، فابتعدوا بذلك عن قاعدة "لا وصية لوارث" وليس خروجا عن النص القرآني القائل:

"كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين"[٣].

وهذا غيض من فيض من آداب وفرائض المسلم الموحد الدينية، ولعل الشعار القرآني: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[٤] يلخص كل الآداب الدينية التوحيدية، والفضائل العفية التي يتحلى بها المسلمون الموحدون "الدروز".

المرأة الدرزية:

لا بد لنا ونحن في صدد ذكر الخصال والآداب الدينية التوحيدية، من وقفة قصيرة عند المرأة المسلمة الموحدة، لنرى موقف

---

[١] سورة النساء (٣)

(٢) قال أحد الشعراء وقد تزوج زوجتين واصفا حاله معهما:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... وقد حاز البلا زوجُ اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا ... أنعّمُ بين أكرم نعجتين
فجاء الحال بعكس الحال دوما ... عذابٌ دائمٌ ببليتين
رضى هذي يحرك سخط هذي ... فلا أخلو من إحدى السخطتين

[٣] البقرة (١٨٠)

[٤] الحجرات (١٣)

التوحيد منها، وهل ساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات؟! ولنتعرف أيضا إلى موقعها الطبيعي في كافة ميادين الحياة، الدينية والاجتماعية والسياسية..

ويمكن أن نجمل موقف التوحيد من المرأة المسلمة الموحدة "الدرزية" بما يلي:

للمرأة المسلمة الموحدة مكانة خاصة في مذهب التوحيد، وقد كرمها المذهب بعدة نصوص خاطبها فيها وحدها، على أنها ند الرجل وقرينه، ولم يميزه عنها في شيء من لباب الحياة وخاصة فيما يتعلق بتحصيل العلوم الروحانية وفتح السبيل إليها، وقد اقترن ذكر الإخوان الموحدين مع الأخوات الموحدات في كثير من المكاتبات والمخاطبات التوحيدية، وخصت المرأة "الدرزية" بكثير من القضايا الفقهية والتشريعية التي عالجت قضاياها الشخصية، ورفعت من شأنها، وساوتها بالرجل في الحقوق والواجبات، وشرعت لها حقوق الزواج على قدم المساواة معه، وأوجبت شروط الديانة على الزوج الموحد أن يساوي زوجته بنفسه وينصفها من جميع ما في يده، وأول درجات الإنصاف تعليمها وإرشادها إلى الخير.

إن النساء اللواتي يخاطبهن مذهب التوحيد سبق أن تفقهن في المذهب الاسماعيلي الفاطمي، وحضرن مجالس الحكمة، وقرأن كتاب دعائم الإسلام وغيرها من الكتب التي ألفها القاضي النعمان[١]

وقد شدد إمام الموحدين الأمير السيد عبد الله التنوخي /١٣٩٢ - ١٤٧٩م/ في تعاليمه على مساواة المرأة بالرجل قائلا: "إن الزوج والزوجة مرتبطان معا بحقوق وواجبات متبادلة، وأن

---

[١] الدروز في التاريخ: د.نجلاء أبو عز الدين ص٣١٥

المرأة هي أخت الرجل في الدين، وعونه في أمور الدنيا، وأن حياتهما معا هي شركة فيما يعود عليهما بالخير دنيا ودين"
وحث أيضا على تعليم المرأة بقوله: "والزوجة التي لها همة في الدين، ورغبة صادقة في تحصيل العلم الشريف ينبغي أن تتوفر[1] من كثرة الأولاد لتحصل من الدين ما يقربها إلى رب العالمين، فيكسب الرجل منها أجرا عظيما إذا أراحها من كثرة الأولاد، ويكون ذلك سلما لها إلى نيل المعاني وتحصيل الحقائق .."
وإذ يؤكد السيد الأمير على تعليم المرأة يشير إلى أنها قد شاركت في الاستجابة للدعوة التوحيدية ونشرها مشاركة كاملة، وكانت الرسائل التي تبعث إلى الدعاة تقرأ في تجمعات من النساء مثلما تقرأ للرجال، كما أمر الدعاة بأن يعلموا النساء أسوة بالرجال، ويولوا اهتمامهم بتربية البنات الدينية وحثهن على تعلم الحكمة.
وكما فرض على الرجل أن يساوي المرأة بنفسه في جميع مناحي الحياة، كذلك يجب على المرأة أن تساويه بنفسها في الدنيا والدين، إن كانت أغنى وأعلم منه ليقع بذلك النصفة والعدل بينهما.
وطاعة الرجل واجبة على المرأة، والطاعة ثمرة حسن المعاملة، يقول الأمير السيد: "على قدر المحبة تكون الطاعة" ويصف السيد المرأة الخيّرة الديّنة العالمة العاملة بالمرأة الرئيسة، فإذا ظفر الرجل الصالح الديّن العاقل العالم العامل بمثل هذه المرأة الرئيسة فلتكن عنده عديل نفسه.."
"وإذا وقع النفور بين الزوجين يجب أن يعلم الثقات ليسعوا بالوفاق بينهما، وإذا كان لا بد من الفراق فللمرأة، أسوةً بالرجل، الحق في طلب الفرقة، وأيّهما كان المعتدي فللآخر الحق في

---

[1] تتوفر : تعفى

نصف ما يملكه، وتكون الأحكام في أمر الطلاق بشهادة الثقات.."

هذا ويحرم مذهب التوحيد تعدد الزوجات، وزواج المتعة والتسري تحريما قاطعا، وفي هذا الإطار يتقيد الموحدون بنصيحة أسداها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عليه السلام، إلى رؤساء قبيلة كتامة بأن يكتفي الواحد منهم بزوجة واحدة[1].

ومن الجدير بالذكر أن الزواج بين أخوة الرضاعة محرّم أيضا تحريماً قاطعاً تمشيا مع الشريعة الإسلامية السمحاء.

وفيما يتعلق بحق التملك فللمرأة المسلمة الموحدة التمتع بهذا الحق والتصرف بحرية فيما تملك، أما الميراث، فإن لم يكن للمورِّث وصيةٌ تقسم التركة بمقتضى الشريعة الإسلامية "للذكر مثل حظ الأنثيين" فتقسم التركة بينها وبين الذكور بمعرفة الثقات وأولي الأمر، ويخصص لها مسكن ودخل من الأملاك.

وللنساء حق شرعي وأخلاقي على أقرب الذكور إليهن لإعالتهن، خاصة إذا انقطعن من بيت الزوجية، وللزوجة حق الوصاية على الأولاد القاصرين[2].

ولم يقتصر الأمر في المساواة بين المرأة المسلمة الموحدة على الزواج والطلاق وحدهما، بل كرس ذلك عمليا على الواقع في المهمات الدينية لدعوة التوحيد، كما في المجالات الحياتية الأخرى السياسية والاجتماعية والعسكرية والأدبية، كما فرضت نفسها واحترامها على الجميع.[3]

ففي المجال الديني، برزت "الست سارة" التي أنيطت بها مهمة دينية صعبة من مصر إلى سوريا، وتحملت مخاطر السفر

---

[1] المقريزي ــ الخطط ج٢ ص١٦٤

[2] الدروز في التاريخ. د.نجلاء أبو عز الدين ص٣١٦

[3] تاريخ المسلمين الموحدين الدروز. د.صالح زهر الدين ص٢١٧

لتنفيذها في الوقت الذي كانت المنطقة التي أرسلت إليها في وادي التيم ــ لبنان ــ تعيث فسادا، وتهدد دعوة التوحيد بكثير من المخاطر.

وفي المجال السياسي، برز عدد كبير نذكر منهن السيدة نايفة ابنة الشيخ بشير جنبلاط التي قال عنها الدكتور (حريز): "كانت السيدة نايفة جنبلاط على جانب عظيم من الذكاء والحصانة والرصانة، وأنها تقية جدا عملت على درء المخاطر والنوازل عن أهل حاصبيا، وخففت الكثير من الويلات والمصاعب".

وقال عنها أحد معاصريها وهو الشيخ جمال الدين شجاع: "لقد فتحت منزلها أثناء محنة ١٨٦٠ في حاصبيا نفسها وقدمت كل ما في وسعها من عون وغذاء للمشردين المنكوبين من إخوانها المسيحيين، ثم إنها لما حوصرت قلعة آل شهاب، اندفعت بشجاعة فائقة تحت زخات الرصاص، فوصلت إلى القلعة وأنقذت كل ما فيها من نساء وأطفال، وحضنتهم بحنان الأمهات حتى انقشع الأفق وزال القتال[١].

وفي المعارك الحربية التي دارت رحاها بين المقاتلين الدروز وبين العثمانيين ثم الفرنسيين فيما بعد، برز عدد كبير من النسوة خلّد التاريخ ذكرهنَّ وسطّر لهنَّ أروع صفحات الصمود في قلب المعارك الدائرة وهن يحثثن الرجال على الاستبسال والاستماتة في الدفاع عن العرض والأرض.

من هؤلاء المجاهدات على سبيل المثال: "سعدى ملاعب" التي كانت تتعقب الثوار في المعركة التي حصلت بين العثمانيين والدروز عام ١٨٩٥ في قرية "عيون" في جبل العرب، حيث التقى بجماعة من الدروز زُهاء أربعة آلاف جندي تركي بآفتك المعدات، وليس بين أيدي الجماعة غير الخناجر والسيوف،

---

[١] تاريخ المسلمين الموحدين الدروز. صالح زهر الدين ص٢١٧

وبعض البنادق البدائية، فطال أمد القتال، وأوشكت الشمس على المغيب، والطعن والذبح على أشده، فكلت سواعد الدروز وتفللت مضارب السيوف، فارتدوا متقهقرين، وإذا بشبح يخترق الجموع المبعثرة ويصرخ فيهم: إلى أين؟ رملوا نساءكم ويتموا الأطفال.. ولا تتراجعوا فتهتك أعراضنا ؟؟ قالتها باللهجة العامية.. وما زالت تصرخ بهم وتستقبل نار العدو، حتى ارتد المقاتلون مستميتين، وتواثبوا وصمدوا، وتلاحموا تلاحما أخرس البارود، فانكفأ الجند، وتبعثروا، وعاد المناضلون بالهتافات:

على شانك (سعدى ملاعب) نفني كل الكتايب
وما بيرجع لقرابو السيف حتى يسوي العجايب.."[1]

وفي معركة المزرعة الشهيرة عام ١٩٢٥ التي تناقلت أخبارها وملاحمها صحف العالم أجمع، برز سرب من الفتيات وخضن غمار المعركة وبأيديهن بعض الخناجر وهن صارخات: "إلى أين تتراجعون.. الموت ولا العار.. النشاما واحفظوا أعراضنا، نحن أمامكم حتى الموت، سيوف الحق فوقكم تلمع، ومعكم نقاتل.. إلى الأمام أيها الأبطال.." وما تفجرت هذه الصيحات حتى ارتد المقاتلون بعنف الصواريخ يغيرون ويحسنون الطعن وضرب السيوف، ويتقدمون على جثث الضحايا، نذكر من هؤلاء النسوة على سبيل المثال لا الحصر: "بستان شلغين، وشما أبو عاصي، وعبلة حاطوم، وترفة المحيثاوي، وعمشة القنطار، وفي البقاع لا زال الدروز إلى اليوم يرددون هتافات تلك المعركة:

لعْيونِكْ عبلة وشمّا مِنحطم الدبابات
والمدفع ما منسدو إلا بيض الشاشيات[2]

---

[1] مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ ــ سامي أبو شقرا ص٢٦٥ - ٢٦٦

[2] المصدر السابق ص٢٦٧

وقد أحسن تصوير هذه الملحمة الشاعر القروي رشيد سليم الخوري حيث قال:

متهافتين على الردى وشعارهم اليوم أفضل من غد يا فان
ونساؤهم.. لو تشهدون نساءهم في الحرب حاملة على الشجعان
كالماء أعذب ما يكونُ، وإنه لأشدُّ ما يسطو على النيران
ينفُخن في أشبالهن حماسة تثبُ الصدورُ لها من الغليان[1]

وعلى الصعيد الاجتماعي لعبت المرأة "الدرزية" دوراً مهماً في تأسيس الجمعيات والمساهمة في إنشاء الحركات الاجتماعية، فقد ساهمت السيدة أنيسة النجار في تأسيس "جمعية المرأة الدرزية" كما انتُخِبت السيدة زاهية سلمان رئيسة "لجمعية رعاية الطفل في لبنان" والتي كان لجمعيتها هذه مدارس ابتدائية، وروضات للأطفال في القرى النائية، كما انتخبت السيدة نجلا صعب رئيسة "للمجلس النسائي اللبناني" الذي يضم ستاً وتسعين جمعية في أنحاء البلاد[2]

ويركز الموحدون "الدروز" تركيزا أساسيا على "العرض" ويولونه أكبر اهتمامهم، ومن خلال المحافظة على أعراضهم ينطلقون في الحفاظ على أعراض غيرهم من بقية الطوائف، يؤكد ذلك جميع المعارك التي خاضها الدروز مع أعدائهم.. إن دفاع الدروز عن الشرف يثبته بما لا يقبل الشك الأعداء قبل الأصدقاء[3]

وقد قال عنهم الكابتان الفرنسي "بورون": "إن للدروز عادة شريفة أيضا هي احترام النساء وعدم التعدي على الأعراض، وقد حافظوا على هذا المبدأ أجيالا طويلة حتى الآن"[4].

---

[1] لبنان في التاريخ لفيليب حتي ص٤٥٥

[2] صالح زهر الدين-تاريخ المسلمين الموحدين الدروزص٢٢٠

[3] المصدر نفسه ص٢٢٠

[4] بورون، الدروز، ترجمة عادل تقي الدين ص٢٤٢

ولا بد من الإشارة إلى شرف القتال الذي كان يتحلى بـه الـدروز بشخص قائد الثورة السورية.سـلطان باشـا الأطـرش، عندمـا حوصرت قلعة السويداء، وحين بـدأ السـعي لإخـراج النسـاء الفرنسيات من القلعة، قال سلطان باشا الأطرش كلمته المشـهورة يومها: "نحن لا نحارب الفرنسيين ومعـهم نسـاؤهم، أخرجوهـن لنريهم كيف يكون شرف القتال، فهم لم يعفوا عن قتال نسائنا"[1]
وعن الحرب الأهلية سنة ١٨٦٠ قال "دانيال بلس" رئيس الجامعـة الأمريكية في بيروت: "إن المرأة من خصوم الدروز كانت تمر فـي معسكراتهم آمنة لا يرفع إليها طرف، ولا يقع في أذنها كلام، وهـذا ما لا تستطيع أن تدعيه أمم غربية تتبجح بمدينتها، ثم تتنكـر فـي الحروب لحضارتها، إن الشهامة العربية في ذروتـها عنـد بنـي معروف"[2]
وبالتالي يمكن تلخيص ما كتب عن فضائل المسـلمين الموحديـن الدروز بما قاله المؤرخ اللبناني حنا أبو راشـد: "إذا جئـت تعـدد فضائل الدروز فهي تنحصر في ثلاثة أمور: أولا: الدرزي يحـافظ على عرضه كمحافظته على دمه، ثانيا، ويحافظ على استقلاله كمـا يحافظ على ضيفه، ثالثا، والدرزي سلام وحرب فـي آن واحـد، فالسلام يعطونه لمن يرغب في السلام، والحرب يندفعون إليه ولـو ماتوا عن آخرهم تجاه من يدفعهم إلى الحرب."[3]
هذا عن دور المرأة في المجالات الآنفة الذكر، ولم يقتصر دورهـا على ذلك، فقد برهنت المرأة الدرزية عن جدارة فائقة في إمكاناتـها الشخصية وقدراتها العلمية، إذ خاضت معـترك الحيـاة العلميـة وتخصصت في جميع مناحيها فكان منهن الطبيبـات والمحاميـات

[1] عبد الله النجار ــ مذهب الموحدين الدروز، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ص١٥١/١٥٢
[2] المصدر نفسه ص١٥٢
[3] حنا أبي راشد: جبل الدروز ط٣ ــ بيروت ١٩٦١ ص١٦٤_١٦٥

والأديبات، والأستاذات الجامعيات، وسيدات المجتمع العاملات في مختلف الشؤون الصحية والاجتماعية، وحتى السياسية، إذ منهن من تبوأن مقعدهن في البرلمان ممثلات عن بنات جنسهن، وليس في ذلك عجب لأن المرأة الدرزية كانت أسبق بنات جنسها إلى تلقي العلم وارتياد المعاهد التي أنشأتها الإرساليات الأجنبية في سوريا ولبنان.

التقمص عند المسلمين الموحدين "الدروز"

التقمص في اللغة العربية هو مصدر تقمص، أي لبس القميص، وتقمص مطاوع قمص، لبس القميص، ويستعار هذا اللفظ للولاية والإمارة، ومن أحسن الاستعارات في هذا المعنى، ما رواه ابن الأعرابي عن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله سيقمصك قميصا، وإنك ستلاص على خلعه، فإياك وخلعه" قال أراد بالقميص الخلافة.

ويقال أيضا: تقمص الولاية والإمارة، وتقمص لباس العز أي لبس ذلك كما يلبس القميص، ومنه: تقمصت الروح، انتقلت من جسد آدمي إلى جسد آخر مثله، لأن الأجساد أقمصة للأرواح تنتقل من واحد إلى آخر منها.

واستعار الموحدون الدروز هذه اللفظة بعدئذ لتحديد نوع من أنواع التناسخ يؤمنون به، ويؤمن به ملايين من الناس في العالم، وهي تعني انتقال روح الإنسان بعد الموت إلى مولود بشري، وعنهم انتشرت هذه التسمية.

أما التناسخ بمعناه العام فله عدة مفاهيم تختلف باختلاف المذاهب التي تأخذ به، وقال بالتناسخ على مد الأجيال مذاهب كثيرة، واشتهر تقسيمه إلى نسخ ومسخ وفسخ ورسخ، فالنسخ هو انتقال روح الإنسان إلى جسد إنسان فلا تعود القهقرى، والمسخ هو

انتقالها ما بين الإنسان والحيوان، والفسخ هو انتقالها إلى النبات، والرسخ هو انتقالها إلى الجماد فترسخ فيه.[1]

أما الموحدون الدروز فقد أخذوا بالشكل الأول من النسخ، وأطلقوا عليه اسم التقمص لكي لا يلتبس مع أشكال التناسخ الأخرى، وهو ما يسمى أيضا بتناسخ التسامي المقتصر على الإنسان في جسم إنسان.

والتقمص عند الموحدين معتقد ثابت راسخ، وهو من الركائز الأساسية في معتقدهم الديني، لأنه يمثل قمة العدل الإلهي في الثواب والعقاب في محاسبة النفوس على ما اكتسبته من خير وشر خلال تقلبها في الأقمصة البشرية.

ومذهب التوحيد يؤكد أن "النفوس الناطقة دائمة الانتقال، ولا زوال لها، ولا غنى للنفس عن الجسم، ولا تنتقل منه إلا إليه."

والنفس جوهر لطيف خالد، لا يتجزأ أو لا يفنى، واللطيف عكس الكثيف، وأن اللطيف من بداية وليس له نهاية، ولا يستطيع اللطيف تحقيق وجوده إلا في الكثيف. كما أن التقمص يميز بين الجنسين، فالذكر يولد ذكرا، والأنثى تولد أنثى حكما، خلافا لبعض المعتقدات الواهية التي تقول بتبادل الأدوار بين الجنسين.

ووفقا لعقيدة التقمص هذه، فالبشر لا يتزايدون ولا يتناقصون، وأن الأرواح معدودة منذ بداية الخلق، وإنما تنتقل من جسد بلي إلى جسد ولد من جديد، وانتقالها من جسد إلى آخر لا يخضع للزمان، بل يتم في أقل من طرفة عين أي بين شهق الميت وزفير المولود، لأنها لا تستطيع البقاء خارج الجسد طرفة عين، ولا يمكنها تحقيق وجودها الفعلي إلا به، والجسد مقر لها ومستودع، وهو بمثابة الآلات تستخدمه في إرادتها كيفما تشاء.

---

[1] محمد خليل الباشا : التقمص وأسرار الحياة والموت ص٥ ــ ٦ . دار النهار بيروت ط١٩٨٢

وفي العصر الحديث، استقر رأي العلماء على عودة روح الإنسان إلى جسم إنسان فقط، لأن الحياة لا ترجع القهقرى، واتخذوا حجة لإثبات عودتها إلى جسد إنسان ما يلي:

١. وجود أدلة علمية صريحة أو مرموزة في كل دين تقريبا من قديم وحديث، وإجماع كبار العلماء والفلاسفة على إثباته بعد اختبارات ومباحث طويلة.
٢. إن فيه الحل لكثير من المشكلات الدينية الأساسية التي لا يمكن أن يقبلها العقل إلا به.
٣. إن جلسات التنويم المغناطيسي، والجلسات الروحية التي جرت في أكثر من بلد واحد، وعلى أيدي علماء كثر تغيروا بتغير المكان والزمان خلال قرن كامل، قد أثبتته.
٤. حوادث التذكر (النطق)، حيث جرت تحقيقات كثيرة مع أشخاص يتذكرون حيواتهم السابقة، وأعطوا معلومات أمكن التثبت منها.

إن تقمص الإنسان في جسم حيوان يتنافى وشريعة الترقي العامة، ويتنافى وشكل الجسد الروحي الفسيولوجي، ويتنافى مع وظائفه، ونحسب أن القول بتقمص روح الشخص الشرير في جسم حيوان ما هو إلا من قبيل التخويف والترهيب والتشبيه والتمثيل.[1] وإلا فلا يدخل في عدل الله عز وجل أن يعاقب من عصاه بأن يجعله في صورة قرد أو خنزير أو جماد أو نبات، لأن هذا الممسوخ لا يعقل ولا يعي ولا يذكر ما كان عليه قبل مسخه، وبالتالي لا يكون العقاب مفيدا، وإنما تكون الحكمة في عذاب من يفهم ويعرف العذاب، ويدرك السبب الذي من أجله سامه الله العذاب.

وإذا صح وجود المسخ والفسخ والرسخ فلا يكون هناك دينونة وحساب أخير، وإن القول بعدم وجود يوم حساب يخالف جميع

---

[1] محمد خليل الباشا : التقمص ص١٨٦ - ١٨٨

الشرائع السماوية التي تقول إن الإنسان لا يحاسب في دنياه، بل إن حسابه في اليوم الأخير، يوم تعاقب النفس على ما فعلت من شر، وتثاب على ما فعلت من خير.

والمسلمون الموحدون يستندون إلى القرآن الكريم في معتقدهم بالتقمص. ويذهبون في تفسير آياته الكريمة تفسيرا عقلانيا يؤول إلى القول بالتقمص، وإن وجد ثمة خلاف في تفسيرها فإنما هو بين المفسرين أنفسهم، والحقائق التي قالت بها الديانات القديمة، وأثبتها العلم التجريبي حديثا، لا يمكن أن يغفل عنها القرآن الكريم، وإن غفلت عنها أذهان بعض المفسرين.

وهنا نورد بعض الآيات الدالة على التقمص في القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر.

١."نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحنُ بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم وننشّئكم فيما لا تعلمون، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون"[١]

٢."إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقِسط، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون."[٢]

٣."كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم، ثم يميتكم ثم يحييكم، ثم إليه تُرْجعون".[٣]

٤."لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا."[٤]

---

[١] سورة المائدة (٦٠ -٦٢)

[٢] سورة يونس (٤)

[٣] البقرة(٢٨)

[٤] الأنعام (١٥٨)

٥."قالوا ربنا أمتنا اثنتين، وأحييتنا اثنتين، فاعترفنا بذنوبنا، فهل إلى خروج من سبيل."[١]

إن في هذه الآية إشارة إلى نوعين من الإماتة والإحياء، لا إلى مرتين في العدد، أي إنك أمتنا نوعين من الموت، وأحييتنا نوعين من الحياة، فيفهم من ذلك أن للإنسان حياتين، يموت في إحداهما ليحيا في الثانية، أي يموت هناك فيحيا على الأرض، ويموت على الأرض فيحيا في العالم الآخر، ويتكرر ذلك تكرارا حمل على السؤال في آخر الآية: "فهل إلى خروج من سبيل" ؟ والمقصود هو الخروج من دوامة التكرار، أي من دار العذاب والتحول إلى دار السعادة والبقاء، فيتوقف هذا التكرار المتتابع المؤلم، وقد جاء في القرآن الكريم عن المؤمنين: "لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى"[٢] وهذا دليل على أن ثمة أكثر من موتة واحدة.

٦."يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"[٣]

فرجوع النفس الواردة في الآية يدل دلالة واضحة على أنها من هناك أتت، لأن الرجوع يجب أن يسبقه مجيء، وإلا لقال لها اذهبي، وهذا الرجوع وارد كثيرا في القرآن الكريم. لكن هذا الرجوع مشروط بأن تكون راضية مرضية، ولكي تكون كذلك، يجب أن تكون مطمئنة، أي يكون ضميرها، الحسيب على أعمالها غير مثقل بالأوزار وإليها وحدها موجه النداء، وإلا، إذا لم تكن مطمئنة، فإنها لا تكون راضية ولا مرضيا عنها، وإذا لم تكن كذلك، فهي لا ترجع إلى ربها، ولا تدخل في عباده، ولا تدخل

[١] غافر (١١)

[٢] الدخان (٥٦)

[٣] الفجر (٢٧ - ٣٠)

جناته، بل تبقى على الأرض، تتقلب في مصاعب جهلها، وآلام زلاتها وخطاياها.
"كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا إليها"[1]
"وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها"[2]
إلى أن تصبح مطمئنة إلى صالح أعمالها، وتقدم مداركها، وصفاء جوهرها، عندئذ ترجع إلى ربها راضية مرضية.
وقد كنّى بالجلد في الآية الكريمة عن الجسد، كما يكنّى عنه بالقميص، وإنما أراد بجهنّم الأرض التي جاء في الحديث الشريف إنها جهنم المؤمن" وقال عنها السيد المسيح: "وادي الدموع."[3]
وإذا استعرضنا ما جاء في "البغفادجيتا" الكتاب المقدّس عند الهنود على لسان "كريشنا" يخاطب أرجونا، لوجدنا أن التقمص قد أثبتته كل الكتب السماوية، ولكن يبقى كما ذكرنا الاختلاف في التفسير والإيمان معا.
"ليس صحيحا أنه كان وقت لم أكن فيه موجودا، أنا أو أنت أو ملوك الناس هؤلاء، وليس صحيحا أيضا أن أيا منا سينقطع يوما عن أن يكون،
"كما أن النفس تمر جسديا في الطفولة والشباب والشيخوخة، فإنها تمر أيضا من جسد إلى جسد، وهذا لا يقلق ولا يذهل من يحقق الطمأنينة في ذاته،
"إن ما هو موجود حقيقة يستحيل أن ينقطع عن الوجود، وما كان غير موجود فلن يبدأ بالوجود.
"الروح المتقمصة تخلع الجسوم القديمة وتتخذ لها جسوما جديدة، كما يستبدل الإنسان بثيابه البالية ثيابا جديدة..[4]

---

[1] سورة السجدة (٢٠)

[2] سورة النساء (٥٥)

[3] محمد خليل الباشا: التقمص وأسرار الحياة والموت ص١٩٩-٢٠٥

[4] المصدر نفسه ص١٧٩-١٨٠

وبالتالي، إن الموحدين الدروز مسلمون، تعمق ائمتهم الأوائل في درس القرآن الكريم، بتنزيله وتأويله، وإله استندوا في اعتقاد مبدأ التقمص، فضلا عن أن، عددا كبيرا من أئمة الإسلام وفلاسفتهم ومفكريهم، في شتى الأعصار والأمصار، قالوا بمبدأ التقمص انطلاقا من الإيمان بخلود الروح التي يفرض أن يكون لها ماض وحاضر ومستقبل، وأن تكون لها مهمة تؤديها في شتى مراحل الحياة.

فالقول بالتقمص هو وحده يوضح هذه القضايا، ويكشف عن ماضي الروح وحاضرها ومستقبلها، ويظهر الغاية من تقلبها في كثافة المادة، والواجبات المطلوبة منها لكي تكون في الحياة على سنن قويم.

المهم في الأمر ألا نحاول تقليص المفاهيم القرآنية العظيمة لكي نجعلها على مقدار عقلنا، بل علينا أن نوسع عقلنا لكي يدرك أكبر مقدار من مفاهيم القرآن الكريم.[1]

وإن أمير الكلام علي كرم الله وجهه قد أوضح في نهج البلاغة على أن أمر رب العالمين ليس حتما ونهيه ليس جزما، إنما أمره تخيير ونهيه تحذير، ولا بد للروح البشرية أن تتعرض لنفحات الخير والشر وأن تمتحن في عدة أجيال أو تختار شرعتها ومنهاجها اللذين ترتضيهما حتى يكون الثواب والعقاب الأبدي من نسج العدل الإلهي المطلق.

الأخلاق والعادات والتقاليد

المرتكز الأساسي لأخلاق المسلمين الموحدين الدروز وعاداتهم وتقاليدهم هو مذهبهم التوحيدي، فمنه استمدوا نظامهم الاجتماعي وقواعد أخلاقهم وسلوكهم، ومن تعالمه نبعت شيمهم الرفيعة، ومن مبادئه أقاموا دعائم قيمهم ومثلهم الشريفة التي

---

[1] المصدر السابق ص٢٠٥-٢٠٦

يتحلون بها، فهو الرابطة الأساسية التي تربط بين أفراد مجتمعهم، لأنه مانح القوة التي دعمت بقاءهم.

وقد أشار الدكتور عمر فروخ في كتابه عبقرية العرب، بهذا النظام الأخلاقي الرفيع، وأبدى إعجابه بالجانب العملي منه فقال:

"كان للدروز في حركتهم الدينية عبقرية عملية تلفت الأنظار، لقد استطاع المذهب الدرزي أن يقر في نفوس أتباعه نظاما أخلاقيا عمليا يندر أن نجد مثله بمثل هذه القوة وذلك الاستمرار عشرة قرون متوالية، ويظن أن حسن الأخلاق في المذهب الدرزي جزء من الدين، والدرزي متصف بالعفاف والصدق وإتيان الفضائل، وليس مكان العبقرية أن يأمر المذهب الدرزي بهذه الأخلاق التي أمرت بها المذاهب كلها، وأتت بها الفلسفات جميعها، ولكن مكان العبقرية أن هذا الأمر لم يفقد سلطته إلى اليوم."[١]

وقد اكتسب المسلمون الموحدون من الدين صفات ميزتهم عن غيرهم من بقية الشعوب، منها على سبيل المثال: الشجاعة، والدين هو الذي يحض عليها، "من خشي من بشر مثله سلط عليه." ولهذا يقتحم المسلم الموحد غمار الحرب، ويخوض المعارك الطاحنة ولا يهاب الموت ولا يرهبه، لأنه يعتقد وفقا لمبدأ التقمص الذي يقوم عليه مذهب التوحيد أن عمر الإنسان محدد لا يزيد يوما ولا ينقص يوما، وإن النفس بعد مفارقتها الجسد تنتقل إلى جسد آخر مما يعزز الشجاعة في نفسه، ويبدد خوفه من الموت، فما الجسد إلا قميص للنفس، والموحدون لا يخشون تمزيق أقمصتهم، وفي هذا الصدد يقول الجنرال الفرنسي أندريا مشيرا إلى مقومات قوة الموحدين الدروز: "الوحدة التي تشد الدروز بعضهم إلى بعض فتجمع الألفة بينهم من أكبر شيخ حتى اصغر فلاح، فشجاعة الدرزي خارقة

---

[١] عمر فروخ، عبقرية العرب، ط٣ ص١٨٥

مذهلة، وإيمانه بالتقمص والعودة إلى الحياة مرة ثانية بعد المـــوت بوضع أفضل إذا مات دفاعا عن الوطن يجعلانه يحتقر الموت."
ومن الصفات الخلقية التي يتحلـــى بــها الموحـــدون الـــدروز أن المشروبات الروحية محرمة دينيا فلا يتناولها أحد منهم أبدا، إلا من خرج عن عاداتهم وتقاليدهم من الجهال، حيث لم يطلعوا بعد علـــى أسرار مذهبهم، وسرعان ما تجرفهم تيارات المدنية المضللة، وذلك لغلبة الجهل وطيش الشباب على طبائعـــهم، إلا أن الكثـــير منـــهم يستيقظ من سبات جهله ويرعوي عن غيه ويعود طائعـــا خاشـــعا للتقيد بآداب الدين ونبذ جميع المحرمات، وذلـــك إذا توافـــرت لـــه أسباب الهداية والإرشاد والتوعية الصحيحة. وهذا ما يؤكده الحديث النبوي الشريف "الشباب شعبة من الجنون." وقال الدكتور مصطفى غالب: "نستنتج من أقوال حدود دعاة الموحدين..بأن الديـــن لديـــهم نور وهدى، ينير ظلمات النفوس كما تنير الشمس في رابعة النـــهار للعالم، وأن ميزان كل إنسان عمله، فالدين ينهي عـــن المســـكرات وعن الميسر والتدخين على أنواعه حتى السعوط، وعدم الشـــراهة في كل شيء، تجنب البهرجة والخلاعة عند النساء، والاعتدال فـــي الملبس والتقشف أقرب إلى التقوى"[1]
وفضائل العقال فيهم بادية لأنهم مأمورون باجتناب الكذب والقتـــل والفسق والزنا والسرقة والكبرياء والرياء والغش والغضب والحقـد والنميمة والفساد والخبث والحســـد والغيبـــة وجميـــع الشـــهوات والمحرمات والشبهات، والتجافي عن الهزل والســـخرية والـــهزء وجميع المضحكات والامتناع عن الحلف بالله.
ويقول بطرس البستاني: "إنهم يمارسون ضبط النفس والعفة وصدق اللسان، ويتجنبون السفه والبذاءة ويرفضون المال الحرام."

---

[1] الحركات الباطنية في الإسلام ص٢٥٩-٢٦٠

وهم على جانب من التسامح حتى مع من يخالفهم بمعتقدهم ومعظم عاداتهم عربية إسلامية. ومن المزايا الخلقية الرفيعة التي يتمتع بها الموحدون الدروز الكرم وحسن الضيافة، وهي صفة عامة لدى الجميع، وعن هذه الصفة كتب فولني الرحالة الشهير: "إن كل من يقرع بابهم يكون واثقا من الحصول على المأوى والطعام بسخاء وأريحية."

وكتب العلامة محمد كرد علي في ذلك فقال:[1]

"ومأثرة أخرى للدروز هذه النوبة، فقد آووا في جبلهم نحوا من عشرين ألفا من اللاجئين العرب والترك على اختلاف مذاهبهم، وأطعموهم مدة الحرب بلا عوض، وكانت مضافات الرؤساء منهم أشبه بفنادق ومطاعم مجانية..خدامها أصحاب تلك البيوت من أعيان الجبل، فمثلوا بعملهم هذا القرى العربي والمروءة والشهامة."

والضيافة تشمل منح اللجوء لطالبي الحماية، وحماية المستجير التزام مقدس، فلا يمكن التخلي عنه، ولو عرض المجير حياته للخطر وأملاكه للدمار على يد مطاردي المستجير، لقد كان لهذه السمة وقع كبير في نفس بركهارت الرحالة الذي عرف بدقة ملاحظته حيث قال: "قمت بتحقيقات خاصة عن هذا الموضوع، وإنني مقتنع بأنه لا يمكن لأي اعتبار للمصلحة أو خوف من القوة أن يحمل الدرزي على تسليم شخص استجار به."[2]

وعن حسن الضيافة لدى الموحدين الدروز يقول الكاتب الإنكليزي (نمري) ما يلي:

"إن حسن الضيافة عندهم للغرباء، وضيافة بعضهم لبعض هي مضرب الأمثال في أرجاء الشرق، ومن يتاح له زيارتهم ولو لمرة واحدة لا يستطيع نكران أنسهم وشهامتهم ولطفهم."

---

[1] محمد كرد علي ــ خطط الشام ج٣ ص١٤٣

[2] بركهارت: رحلات في سوريا والأرض المقدسة ص٢٠٣

ومن صفاتهم البارزة أيضا الشعور بالكرامة، يشترك فيها الرفيع والوضيع، فهي صفة قوم أحرار لم يكن للقوى الخارجية سوى سيطرة ضئيلة عليهم، وللاحتشام واللياقة في المظهر والكلام والمظهر والسلوك أهمية كبيرة عندهم، كذلك الحال في حفظ اللسان عن التفوه بفاحش الكلام، وفي هذا الصدد يقول عنهم العلامة الأمريكي "فانديك" أثناء إقامته بينهم في لبنان:

"تعاشر الواحد منهم خمسين سنة فلا تسمع منه ولا مرة لفظ سوء، ولا قصة فيها شيء من الخلاعة"[1]

ومن أهم القيم الأخلاقية والمزايا الحميدة التي يتحلى بها المسلمون الموحدون الدروز صيانة العرض لهم ولغيرهم، وفي الحرب والسلم معا، ومن أمثلة ذلك ما حصل للحامية الفرنسية في مدينة السويداء قلب جبل العرب يوم/٢٩/ أيار عام/١٩٤٥/ إذ وقعت هذه الحامية في الأسر على أيدي أحرار كتيبة الخيالة الدرزية، وظن ممثل سلطة الانتداب الفرنسي بالجبل وغيره من ضباط الحامية الكبار أن الفرصة قد حانت للدروز يومئذ بأن يثأروا من الفرنسيين لما عانوه من حكمهم الغاشم في بعض فترات عهد الانتداب، وما لحق بهم على أيدي عملائهم في الداخل من إهانات، وما أصاب عائلاتهم الكريمة المجاهدة من تشرد تفتيشا عن لقمة العيش بذل ومهانة في لبنان والأردن وفلسطين، في أعقاب الثورة المذكورة، ولكن الدهشة علت وجوههم عندما أنزل ضباطهم ضيوفا على زعيم الجبل الأمير حسن الأطرش في داره بالسويداء، وحين صينت بيوتهم وفيها نساؤهم وأطفالهم من كل اعتداء، ووزعت عليهم المؤن ووجبات الطعام."[2]

---

[1] يوسف الدبيسي: أهل التوحيد وخصائص مذهبهم ج٤ ص١٣٥

[2] المصدر نفسه ص١٤١-١٤٢

ومما جاء في ذخائر لبنان للشدياق " أن شدة اعتقـــادهم بالقضـــاء والقدر مع انقيادهم لرؤسائهم وطاعتهم لكبرائهم مهَّد لهم في الغالب سبيل الفوز، واشتهروا بانتصاراتهم على من يفوقونهم عدداً، ومممـــا يذكر لهم أنهم في حروبهم لا يتعرضون أصلاً لما يمــــس الآداب، وما سُمع أنهم سطوا على العرض، ولا قتلوا النساء ولا الأطفـــال، وربما احتمى نساء أعدائهم ببيوتهم بعد قتل بعولتهن، ورائين منـــهم غاية الرفق والإنسانية، لأن الدروز شديدو التمسك بالناموس الأدبي فلا يسطون على أعراض غيرهم."

ومن أطرف ما ذكر عن حفاظ الدروز على العرض في الحـــرب والقتال ما ذكره الأستاذ يوسف أبو شقرا في كتابه "الحركات فـــي لبنان إلى عهد المتصرفية ص١٣١ في حادثة ديـــر القمـــر أثنـــاء الحرب الأهلية في لبنان عام/١٨٦٠/ فقال:

"أما النساء الديريات (نسبة إلى دير القمر) فقد تألّبن يومئذٍ بأولادهن في الفسحة الرحيبة الواقعة شرقي السرايا غير أنهن لـــم يُمسسْـــن بضرر، ولم تسمع ديرية من رجل درزي كلمة يرفضـــها الأدب أو تمجها أذن الإنسانية، بل رب درزي من قرية نائية عن الديـــر رأى ديرية مكشوفة الرأس فنزع عمامته ملقياً بها على رأسها ليســـترها متوهماً كون ذلك غير مباح للنصرانيات كالدرزيات."

ومن الصفات التي يشتهر بها المسلمون الموحدون الدروز الصداقة المخلصة، ويتفانون في الدفاع عن الصديق حتى لو كلفـــهم ذلـــك غالياً، ويعدون التهرب من نصرته غدراً وخيانة لمن وثـــق بـــهم، وشجاعتهم في هذا المضمار نابعة من مبادئهم التوحيدية، وتحثـــهم للدفاع عن كل حق مهما بلغ الثمن. [1]

والحرية والاستقلال لهما عند الموحدين الدروز قدسية مميزة، وقـــد أثبت تاريخهم الطويل صدق تمسكهم بهما رغـــم كـــل المصـــاعب

---

[1] صالح زهر الدين ــ تاريخ المسلمين الموحدين الدروز ص٣٧١

والتضحيات، فهم على حد قول "منس": جبليون نشيطون، محاربون، ذو بأس وشجاعة، ومن أمهر الرماة.[1]
ولم يخرج الموحدون الدروز بشكل عام عن أخلاقية الأسرة التنوخية العريقة بدرزيتها، والتي وصفها المؤرخ العلامة كرد علي في كتابه خطط الشام ج٦ ص٣٠٠ قائلا:
"لم يبرح الدروز يعدون من المحافظين على عاداتهم القديمة وأخلاقهم العربية من إباء ووفاء وحسن عشرة وكرم وحسن وفادة."
وقد أشار الجنرال الفرنسي (ويغان) الذي كان مفوضا ساميا على لبنان إلى مناقب الموحدين الدروز بجملة اختصرت كل ما قيل عنهم فقال: "بأن الدرزي يتحلى بفضائل ومحاسن تغبطه عليها أرقى الأمم."[2]
ومن المزايا التي يتحلى بها المسلمون الموحدون الدروز أنهم لا يعترفون بزواج الموحد أو الموحدة إلا من أبناء مذهبهم فقط، ويرفضون الزواج من أبناء الطوائف الأخرى حفاظا على نقاء دم الأسرة وسلامة أفرادها من الأمراض المعدية، وهذا ما أكده الكاتب الإنكليزي "تمري" حيث قال: "يحافظون على طهارة الأسرة وقدسية البيت، فلا يزوجون بناتهم إلى الأجانب مهما كان الدافع، وهذا ما يجعل الدرزي نقيا طاهرا.."
وهذا لا يعني في الوقت نفسه ـ رغم محافظة المسلمين الموحدين الشديدة على طهارة الأسرة وقدسية البيت ـ لا يعني أن بيوتهم وأوساطهم الاجتماعية لم تتأثر بمفاسد حضارة هذا العصر، وما تبثه من سموم في نفوس الأجيال، شأنها في ذلك شأن غيرها من مجتمعات الدنيا، إذ ألحقت هذه المفاسد بضعفاء النفوس من شبابهم ونسائهم بعض الانحدار الخلقي، وحملتهم على التخلي عن الكثير

[1] مجلة الضحى اللبنانية ـ عدد كانون ثاني ١٩٤٨
[2] مقدمة كتاب بورون ـ ترجمة عادل تقي الدين .

من أخلاق الأسرة المسلمة المحافظة، وعن الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية الشريفة التي يحافظ عليها المسلمون الموحدون في كل زمان ومكان.

وما تقليدهن للغربيين أيضا في أزيائهم واقتباس الكثير من عاداتهم وأنماط معيشتهم سوى مؤشر واضح على تردي أخلاقهن وأخلاق الكثير من أمثالهن في كل مكان في العالم، وعلى انتشار الفساد بصورة لا مثيل لها من قبل، وكيف لا، والغرب يجهد ويتكاتف عبر قنوات إعلامه المرئية ومحطاته الفضائية التي جندها لبث برامج موجهة للعالم كافة لإفساد الأخلاق واستئصال الفضائل العفية من النفوس.

ولا يحل عقد الزواج عند المسلمين الموحدين بالطلاق إلا بحكم قاضي المذهب، وفي ذلك يقول الشيخ حليم تقي الدين ـ أحد أبناء المذهب في القطر اللبناني الشقيق ـ : "إن الطلاق اللفظي عند الدروز لا يحل الزواج، إنما يتم ذلك عبر طريقتين: الفسخ بالتراضي، أو بناء لطلب من أحد الزوجين، ويتعين وجود شاهدين لمعرفة أسباب الطلاق وإتاحة الفرصة للتسوية إن أمكن، ومن ناحية ثانية يحرم المذهب الدرزي زواج الموحد من أكثر من امرأة واحدة، ولا يجيز تعدد الزوجات لاستحالة العدل، وفقا للآية القرآنية الكريمة "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم."[1]"

وجاء في ذخائر لبنان: "وشعائرهم في الزواج والصلاة على الجنائز والختان كشعائر المسلمين، وهم يكرهون عبادة الأصنام كراهية شديدة، ويؤمنون باليوم الآخر، وأن الله متصرف في ملكه يفعل ما يشاء ويحكم كما يريد، ويحثون على العدل والإحسان ومساعدة ذوي القربى والمساكين، ويحرصون على نيل المعارف وحسن

---

[1] سورة النساء (١٢٩)

السلوك والألفة، لأن الإيمان عندهم لا يكون إيمانا صحيحا إلا حين يرتبط بالعمل الصالح والخير للمجتمع."

هذا وقد لخص المؤرخ الفرنسي (بوجيه دي سان بيير/١٧٦٢م/) كل ما قيل عن مناقب الموحدين الدروز في أسطر معدودة تحت عنوان (مميزات الشعب الدرزي) فقال: "الدروز قوم طيبو السريرة، نيرو الفكر، ذوو مشاعر محببة، صبورون نشيطون، مستقيمون، أمناء، إنسانيون، يتمسكون بمثلهم حتى حدود الخرافة، لا يخلفون وعدا ولا يغدرون، ويقابلون إخلاص الناس لهم بإخلاص مماثل، إن إهانة درزي واحد تعتبر إهانة للوطن والشعب بأسره، وهذا الشعور الجماعي يبعد عنهم شبح الحرب مع جيرانهم، ويحفظ حياتهم في مستوى من الاحترام مرتفع.

"والدروز كذلك يستأؤون من توجيه الإهانة إلى الأجانب الذين يعيشون في كنفهم، معتبرين إهانة هؤلاء الأجانب صفعة موجهة إلى الدروز شخصيا، ومع ذلك لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا معتدين، مع أن أقل تحقير ينالهم يدفعهم إلى غضبة رهيبة فاجعة.."

ويتابع المؤرخ المذكور قوله: "لم يستعمل الدروز الصكوك الخطية في المعاهدات كي يأمنوا غدر أعدائهم وخيانتهم ونكوثهم بالعهد، مع أنهم لاقوا كثيراً من الكذب والخداع في كثير من المرات..وهم لا يلجأون إلى مثل تلك الأساليب الخطية لأنهم يعتبرونها غير خليقة بالأشراف من الناس..

"والدروز شجعان بواسل، ماهرون في استعمال الأسلحة.. محاربون بارعون.. يحسنون التصرف في المآزق الحرجة.. وهم أصحاب بشاشة وأنس، يلقى الأجانب بين ظهرانيهم معاملة حسنة، وأخلاقا رضية، واستقبالا مهذبا وديعا، تلك هي صفات هذا الشعب الغيور

على مبادئه وشهرته، العدو اللدود للغدر، المتمسك بالشرف حتى الموت.."[1]

وهذه شهادات عدد آخر من بعض مشاهير المفكرين والكتاب والسياسيين العالميين في صفات هذا الشعب الغيور والمتمسك بالشرف حتى الموت كما ذكر عنه، نوردها للمثال والتدليل على صفاته الرفيعة ومناقبيته الفريدة.

يقول فيهم الكاتب اللبناني مارون عبود الذي خبرهم وعاش بين ظهرانيهم في بلد واحد: "لقد عشت بين هؤلاء القوم الغطاريف أكثر من ثلث قرن، فما رأيت إلا رعاية ونبلا وكرم عنصر، وأشهد أنني في هذه المدة لم أسمع من أجاويدهم لفظة خشنة، ولا من الذين ليسوا من الأجاويد كلمة نابية، فهم أمراء الحديث وأرباب اللياقة.. فالدرزي كما يقول مثل بلاده: "للسيف وللضيف ولغدرات الزمان"[2]

ويقول فيهم الشاعر بشارة الخوري الملقب بالأخطل الصغير:

".. إن الطائفة الدرزية التي اشتهرت بالإباء والمروة والبسالة والعفة يجب أن يكون لها المقام الذي تستحقه فضائلها، إن الطائفة التي سبقت أشد الأمم تمدناً ففرض دينُها العلم على أبنائها ذكوراً وإناثاً وأمر بإبطال الاسترقاق وتساوي المرأة والرجل في الحقوق يجب أن يكون لها مقامٌ في الطوائف السورية، لاسيما أنها لا تعرف سوى سوريا وطناً، ولا تعبد غيره وطناً.

"إن المسلمين والنصارى واليهود هم أقل حباً لوطنهم من الدروز، إنهم وزعوا حبهم بين مكة والمدينة والقدس وسائر الأمكنة المقدسة، ثم وزعوه على الدول والبلدان الإسلامية والمسيحية الأجنبية عن سورية، بخلاف الدروز الذين حصروا حبهم بلبنان وسورية "عشقوا الحرية ولم يبيتوا على ضيم...".

---

[1] بوجيه دي سان بيير ـ الدولة الدرزية ـ ترجمة حافظ أبو مصلح ١٩٦٧ ص١١٠

[2] من مقدمة كتاب (أصل الموحدين الدروز) لأمين طليع ص١٠

ويقول فيهم الكابتان الفرنسي "بورون"[١]:

"..ولأتقياء الدروز في ممارسة الصدق عزائم صادقة وأحاديث طريفة، فلا ينقض "الجويد" قوله ولا ينكث عهده ولا يحنث بيمينه ولو تعرض للهلاك.. أما القسوة المعزوة إليهم فهي من أطباع البداوة، غير أنها مقرونة بأرق العواطف الإنسانية وأقصى غايات الشرف، وهو عدم التعرض لنساء العدو، لا بل المحافظة على كرامتهن وأعراضهن في السلم والحرب...

".. وإن الدرزي بشجاعته أو ببراعته في ساحة الحرب يوازي أحسن جندي أوربي، ولسنا نعمد إلى الثناء على فروسية الدروز لنبين فضلنا في الانتصار عليهم، بل إننا مرغمون على إعطائهم حقهم من المدح والإطناب لنكون من المنصفين، وبقطع النظر عن الشجاعة والفروسية فإن معدات الدروز وهجماتهم المتتابعة واستبسالهم في الدفاع وثباتهم في وجه عيارات البنادق وقنابل المدافع وقذائف الطيارات تجعل منهم خصما عنيدا جبارا ومقاوما لا تلين قناته..

"وإذا دعي غريب لوليمة أقامها له أحدهم، فترى جميع أفراد العائلة يجلون الضيف ويبتسمون له كما لو كان أعز أقربائهم."

ويقول فيهم الشاعر الفرنسي "لامارتين"[٢]

"إن كرم الضيافة عند "الدروز" أمر مقدس، فلا وعد ولا وعيد يحمل الدرزي على تسليم ضيف لاذ به ولو طلبه أميره، وحدث في زمن معركة "نافارين" أن الأوربيين الذين كانوا مقيمين في مدن سوريا، وخافوا انتقام الأتراك، لجأوا إلى جبل الدروز، ومكثوا عندهم عدة أشهر آمنين مطمئنين كل الطمأنينة، وشعارهم الأدبي أن

---

[١] بورون "الدروز" ــ ترجمة عادل تقي الدين ــ

[٢] سعيد فرنسيس ــ "بنو معروف في ساحات المجد" ص١٠١

كل الناس أخوة، وهذا ما يقوله الإنجيل لنا، غير أن القوم يحفظونه أكثر منا."

وقال فيهم الجنرال ديغول لما سئل عن رأيه بالعشيرة المعروفية أثناء زيارته للبرازيل: "إن العشيرة المعروفية من أشرف العرب وأكرمهم، بيوتها ومضافاتها فنادق مجانية، إنها تحب الحق وتموت في سبيله، لا تتعدى على أحد، ولا تنام على ضيم، تحمي الضيف والدخيل بالدم، وتبذل الغالي والرخيص فداء كرامته، وحمايته واجب مقدس عندها، عاداتها وتقاليدها من أشرف العادات، حاربناها لكنها هزمتنا، ولم يذل الجيش الفرنسي إلا أمام العشيرة المعروفية فقط، رغم كل الانتصارات التي حققها في أكبر المعارك المصيرية."[١]

والآن، وإذ قد ذكرنا نبذة مختصرة من صفات المسلمين الموحدين "الدروز" وجانبا من عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، فلأن الحديث عنها واسع ومتشعب لا تتسع له هذه الصفحات القليلة، خاصة وأن كثيرا من المستشرقين والرحالة والباحثين قد تحدثوا عنها من قبل، وأدلوا بشهاداتهم الموثقة، ودونوا مشاهداتهم العيانية في كتبهم للأجيال.. وذكروا إلى جانب ذلك المزايا الأدبية والخلقية التي اتصف بها الموحدون الدروز في حياتهم الاجتماعية من كرم وشجاعة ومروءة ووفاء بالعهد وحفاظ على العرض وتواضع ولين جانب وحسن معشر واحتشام متميز في لباسهم وجلوسهم وأحاديثهم.

وحتى لا يبقى الحديث في هذه المزايا والتقاليد في إطار الوصف العام، ومقتصرا على شهادات الأغيار، لا بد لنا من بسط القول في أبرزها وأكثرها أهمية وإثارة للإعجاب، كالكرم وحسن الضيافة وتقاليد الأفراح والمآتم والأعياد وعقد الراية وغيرها من التقاليد

---

[١] تاريخ المسلمين الموحدين الدروز – د.صالح زهر الدين ص٢٩٦

الأكثر مساسا بحياة الناس اليومية، ليكون لدى القارئ فكرة أوضح وأشمل عن ماهية هذه العادات والتقاليد.

١_الكرم وحسن الضيافة:

الكرم خصلة من أجل خصال الخير وخير ما يمدح المرء به في كل زمان ومكان، والبخل شر الذم، ولهذا كانت معظم مدائح الشعراء قديما تتوجه إلى الكريم ومدحه بالكرم، ومعظم أهاجيهم تتناول البخيل والبخل معا بالذم.
وقد قال أحد الحكماء في هذا الخصوص: "أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعه."
والكرم كما يقال يغطي جميع العيوب، والكرماء حقيقة هم الذين قال الله تعالى فيهم "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"[١]
وهذا يعني أن ليس من شرط الكرم الإيسار والغنى، بل قد تجد من بين الفقراء من يتصف بالكرم والسخاء على ما به من فقر ومسيس حاجة وفق مضمون الآية الكريمة.
والكرم متأصل في نفوس المسلمين الموحدين "الدروز"، وهم معتادون عليه منذ نعومة أظفارهم، يبالغون فيه حتى الإسراف، غير طامعين بجاه، وإنما يدفعهم إله سجية عربية أصيلة، وفي ذلك يقول الكاتب نعمان قساطلي في مجلة الهلال عدد كانون أول ١٩١٠ ص١٤٧ : "من صفات سكان الجبل عموما (موطن الموحدين الدروز) الكرم، فهم يقرون الضيف ويكرمونه، وطعامهم جيد جدا، ولهم عادات في ضيافتهم وولائمهم وإكرام ضيوفهم يطول شرحها."

(١) الحشر (٩)

ولهذه الغاية يخصص الموحدون الدروز في منازلهم غرفة كبـــيرة إما منفردة أو متصلة بالبناء يطلقون عليها اسم (المضافة) ويعدونها دائما لاستقبال الضيوف، ويجب أن تظل مفتوحة دائمــــا، والقـــهوة المرة تعد يوميا، والطعام يجب أن يقدم للضيف فور وصوله.

ويعتز الموحد الدرزي بإكرام ضيوفه، ويستقبلهم على بـــاب داره، ويذبح لهم الذبائح فور وصولهم ليضطرهم للبقاء عنـــــده وتنـــاول الغداء، والضيف معزز مكرم وإن كان عدوا، والزعيم لا يتنــــاول الطعام قبله مهما كانت منزلـــــة الضيـــف الاجتماعيــــة، ويرحـــب المضيف بضيفه باستمرار، ويسر بأن يكون هو الذي يخدمه بنفســه ويؤمن له جميع وسائل الراحة والسعادة، ويأبى الجلـــوس قبـــل أن يشير إليه ضيفه بذلك، وفي ذلك يقول الشاعر العربي مفتخرا:وإني

لعبد الضيف ما دام ثاويا وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

ولدى وصول الضيف يعلم المضيف معارفه وأصدقاءه بقدوم ضيفه ليقوموا بواجب التسليم عليه، ثم يعجل له بعض ما تيسر عنده مـــن طعام ريثما يتم إعداد الطعام اللائق به بعد رحلة طويلة، أما تقديـــم السجائر والخمرة كنوع من أنواع الضيافة فهو محرم ومرفوض إلا عند الجهال الذين لا يلتزمون بآداب الدين.

وعلى الضيف أن يزور كل من قدم للسلام عليه قبل تناول الطعـــام المعد له في منزل مضيفه، والذي يعرف بـــ(كرمة المنسف)، وهــو مؤلف من اللحم والبرغل واللبـــن الرائـــب المطبـــوخ المعـــروف بالملوحية أو(الملاحية)، وبعد الانتهاء من واجبات الزيـــارة يعـــود الجميع بصحبة الضيف لتناول الطعام في منزل المضيف.

وتقتضي العادات والتقاليد أن يكون للضيف حق دخول المنزل وكل منزل والخروج منه قبل مرافقيه من الزوار، بينما يدخـــل البـــاقي حسب ترتيبهم العشائري المتعارف عليه.

وللضيف كذلك الأولوية في تناول القهوة المُرَّة والجلوس إلى الطعام قبل غيره. ومن الآداب الاجتماعية التي يتحلـــى بـــها الموحـــدون

الدروز أن كل قادم للسلام على الضيف أو كل داخل على جماعة في أي مكان أو زمان يقف الجميع له احتراما وتكريما ولو كان ابن خمسة عشر سنة، وكذلك الحال لدى خروجه من المنزل، ويبادله الجميع التحيات بعد جلوسه كأن يقول له الجميع (صباح أو مساء الخير) حسب الوقت الذي وافق دخوله، فيرد لهم التحية ذاتها قائلا (صبحكم أو مساكم الله بألف خير)، أما إذا دخل داخل أثناء تناول الحضور طعامهم فلا يقف له أحد احتراما للقمة العيش أو كما يقولون في تعابيرهم المحلية (حرمة الزاد) .

وحد الضيافة ثلاثة أيام، وقد تطول أو تقصر حسب ظروف الضيف الخاصة، ولا تستوفي حقها إلا بعد إقامة وليمة على شرفه وهي كما ذكرنا ذبيحة مطبوخة مع البرغل أو الأرز تقدم في وعاء كبير نحاسي يحمل بواسطة حلقتين على جانبيه يدعى (المنسف)، وقد تكون الذبيحة رأس غنم أو ماعز أو عددا من الدجاج إذا تدنت قدرة المضيف المادية، وقد يبلغ عدد (المناسف) والذبائح العشرات إذا كان المضيف ميسور الحال وضيوفه كثر.

وقبل المباشرة بالطعام كانت العادة قديماً _ولا تزال سائدة في بعض المناطق_ أن يحمل المضيف وعاءً صغيراً مملوءاً ماءً يطوف به على الضيوف الذين يكتفون بغمس أصابعهم فيه وتمريرها على أفواههم ثم يمسحون أيديهم وأفواههم بمنشفة تبقى ملقاة على كتف المضيف، إيذاناً بأن يباشر المرء منهم طعامه طاهر اليد، وبعد عملية الغسل يريق المضيف السمن العربي على (المنسف) من قدر نحاسية تعرف (بالكبشة) ويدعى هذا العمل (التقفير) أو (القفرة) ثم يريق بعدها (الملوحية) ويدعو الضيف أو الضيوف أولا لتناول الطعام ثم كبار القوم قائلا: (تفضلوا على الميسور، ما في شيء من الواجب، الله والنبي محبيكم، أفلحوا يا غانمين) ..فيجيبون على كل تعبير بما يلائمه وفق العرف والعادة، قائلين: (ميسور غانم، الله يكثر الخير، هذا خير الله، إنشاء الله كلما

نويت تقدر) وتناول الطعام يبدأه الضيوف أولا، ثم يتلوهم الوجهاء ثم المسنون، فالفتيان، وأخيرا الحضور وأقرباء المضيف، ومنهم من يتناول الطعام لا عن حاجة بل إكراما للمضيف أو (المعزب) صاحب الدعوة، ولو لقمة واحدة.

وقبل الانتهاء من الطعام يعلن بعض المدعوين أو أحدهم عن رغبته في تناول الضيف طعام الفطور أو الغداء أو العشاء عنده، طالبا السماح من المضيف أولا لا من الضيف الذي لا يملك حرية القبول أو الرفض إلا في ظرف قاهر، لأنه _حسب التقاليد المرعية_ رهن إرادة مضيفه الأول، وأسير التقاليد العربية كما يقولون في تعابيرهم الدارجة (الضيف أسير المعزب) وهو أي الضيف مضطر لتمديد إقامته أحيانا لتلبية هذا الواجب، وللأكل أكثر من ثلاث مرات في اليوم إرضاء لمن يتنافسون في دعوته وتكريمه.

٢_تقاليد المآتم:

الموت واحد في جميع أنحاء العالم، لكن المسلمين الموحدين "الدروز" يستقبلونه بالرضا والتسليم ورحابة الصدر، دون جزع أو تفجع أو عويل ولطم خدود وشق جيوب كما نراه لدى العديد من شعوب العالم وطوائفه، فما إن يتوفى أحد أبناء الطائفة، حتى يبادر ذووه بتخصيص سيارة يثبت عليها مكبر صوت، فتطوف أنحاء المدينة للإعلان عن وفاة الفقيد، أو يعلن عن وفاته في مكبر مثبت على أحد سطوح المنازل إذا كانت الوفاة في القرية، وصورة الإعلان هذه أو النعية تكون كما يلي: "إنا لله وإنا إليه راجعون، انتقل إلى رحمته تعالى فلان ابن فلان له الرحمة ولكم من بعده طول البقاء، الموقف في مكان (كذا)، الدفن الساعة (كذا)، الجنازة في مكان (كذا) وهو المكان المخصص لها عند النساء قبل انتقالها إلى الموقف العام عند الرجال للصلاة عليها وتشييعها إلى مثواها الأخير

ويتغير الضمير إذا كان المتوفى (أنثى) . والملاحظ في صيغة النعية أنه لا يقال توفي فلان أو فلانة، أو مات، بل انتقل إلى رحمته تعالى، وذلك انطلاقا من عقيدة التقمص التي يؤمن بها المسلمون الموحدون الدروز، لأنه لا موت عندهم ولا فناء، بل انتقال الروح من جسد بلي إلى جسد جديد مثله.

وبعد سماع الناس للنعية، تسارع وفود التعزية إلى المكان المخصص لتشييع الجنائز وهو على شكل مدرج مستدير أو مستطيل مسقوف يتسع لمئات المشيعين، فيقف ذوو الفقيد في صدر المحفل العام، وتبدأ الوفود بتقديم تعازيها لهم، ويقف كل وفد منهم في صف مستقيم وعلى نسق واحد مقابل أهل الفقيد، قائلين بعض التعابير المصطلح عليها في التعزية، نذكر أهمها:

_ عظم الله أجركم

يرد آل الفقيد (أجركم عند الله عظيم)

_ عز علينا مصابكم

(سلم الله من تعزوا)

_ الله يرحم فقيدكم

(تعيشوا وتبقوا للرحمة) ..

وليس من الضروري أن يطلق المعزون كل ما يعرفونه من عبارات، وإنما يكتفون ببعضها اختصارا للوقت، ولإفساح المجال للوفود الأخرى لتقديم تعازيها.

ويتخلل تعازي المعزين إشادات بالفقيد موجزة وبليغة من وجهاء القوم، أو من معارفه المقربين.

وبعد أن ينتهي الوقت المخصص للتعزية وهو ساعتان على الأكثر، تحضر الجنازة للصلاة عليها، فيتقدم المصلي للصلاة على الجنازة التي توضع وسط المحفل العام، بحيث يكون رأس المتوفى إلى جهة الغرب، ووجهه متجها إلى الشرق، فيستقبل المصلي القبلة، ويرفع

: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ولـــه الحمـــد، يحيـــي ويميت وهو على كل شيء قدير، إن الله وملائكته يصلـــون علـــى النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللـــهم صـــل وسلم، وشرف وعظم، وامنن وزد وبارك وتفضل علـــى أشـــرف الأمم، سيد العرب والعجم، وإمام مكة وزمزم والمدينة والحرم، سيد الأنام ومصباح الظلام، وخاتم الأنبياء والرسل الكرام نبينا محمد."
اللهم زده كرما وشرفا ورفعة ومهابة وإجلالا وتعظيمـــا وفضـــلا، رضي الله تبارك وتعالى عن ساداتنا صحابة رسول الله أجمعين.
"هنا ينزل المصلي يده عن جانب أذنه، ويتابع قوله جهرا"
رحم الله من نظر فاعتبر، وأمر فأتمر، وزجر فازدجر، ومثل هـــذا الحق المبين انتظر انتذروا واعتبروا يا أولي الألبـــاب، إن الحكـــم للواحد الوهاب، معكم جنازة رجل مسلم مؤمن من أهـــل الشـــهادة والإيمان، والحقيقة والبرهان، متدرج بالوفاة إلى رحمة الله الملـــك الديان، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان رحمـــه الله .
نقله الله من دار الشقاء إلى دار العز والبقاء، ومن دار الفنا إلى دار السعادة والغنى، إلى الفردوس الأعلى إلى دار الأمان رحمه الله .
الصلاة على الجنازة الحاضرة أثابكم الله، فسبحان الدائـــم البـــاقي الأزلي الحي الذي لا يموت.
"وهنا يتقدم الإمام ويقف إلى يمين المصلي متقدمـــا عليـــه قليـــلا، وينوي الصلاة ثم يقول الإمام سرا: اللهم إني نويت أن أصلي لـــك فرض كفاية بجماعة مستقبلا القبلة وأدعو لهذا الميت أو لهذه الميتة فيسرها لي وتقبلها مني.
ثم يكبر الإمام أربع تكبيرات يتبعه في ذلك المصلـــون والجماعـــة الواقفون في الصف خلفهما، يرفع الإمام يديه في كل واحدة منـــها محاذيا بإبهاميه شحمتي أذنيه، ويفتتح الصلاة بالتكبيرة الأولى فيقول

المصلي (الله أكبر) ثم ينزل الإمام والمصلون أيديهم ويضعون اليد اليمنى على اليسرى تحت الصدر، ويتلوالإمام الفاتحة سرا.

ثم يكبر التكبيرة الثانية فيقول المصلي (الله أكبر)، ثم ينزل الإمام يديه وكذلك بقية المصلين، ويصلي على النبي سرا الصلاة الإبراهيمية، ثم يكبر التكبيرة الثالثة فيقول المصلي (الله أكبر)، ثم ينزل الإمام يديه ويدعو للميت سرا قائلا:

اللهم اغفر لحينا وميتنا، اللهم من أحييته فأحيه على الإسلام، ومن توفيته توفه مسلما، ثم يكبر التكبيرة الرابعة فيقول المصلي (الله أكبر) ثم ينزل الإمام يديه مع بقية المصلين، ويسلم محولا وجهه يمينا ويسارا، وهو يقول علنا غير رافع صوته: (السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله) ثم يبسط المصلي يديه وجماعة المصلين أيضا، ويبتهلون قائلين: (اللهم اقبلنا وتقبل منا بحرمة الفاتحة يا حي يا قيوم) وتتلى الفاتحة سرا ويجهر في آخرها الذي هو: (ولا الضالين آمين).

ثم يتلو المصلي والجماعة علنا: اللهم اجعلنا من خير الفريقين، ومن الذين دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم، "وهنا يشكل المصلون دائرة قائلين بصوت جهوري مرتفع:

"أن الحمد لله رب العالمين، يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها، والله خبير بما تعملون."[١]

تمت الصلاة

[١] سورة المنافقين ٩-١١

وبعد ذلك تبدأ التعازي لأهل الفقيد ويحمل الجثمان إلى الدفن حيث يدفن مستقبلا القبلة، وعندما يدخل الميت القبر يتلو أحد المشايخ التلقين، وهو:

"بسم الله وعلى ملة رسول الله، سامحك الله وعفا عنا وعنك، اذكر العهد الذي خرجت عليه من هذه الدنيا، وهي شهادة لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، يا عبد الله، إذا جاءك الملكان الشقيقان منكر ونكير عليهما الصلاة والسلام، وسألاك عن أمر دينك ودنياك، فقل بلا خوف ولا جزع: الكافي لي ولكما الله العلي العظيم ربي وربكما ورب الخلائق أجمعين، ويجيب ثلاث مرات، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي، والقرآن كتابي، والإسلام ديني، والكعبة قبلتي."

٣_تقاليد الأعراس:

كان اختيار العروس قديما يقع على عاتقي والدي العريس دون أن يكون للعريس دور في هذا الاختيار، فما إن يعلن أحدهم عن رغبته في الزواج حتى يسارع والده لانتقاء القرينة الموافقة له، مراعين في ذلك وقبل كل شيء أخلاقها الحسنة وسمعتها الطيبة، ثم بقية المواصفات المطلوبة كجمال القامة وحسن الصورة وأصالة النسب، وهذا ما يعرف بمرحلة (النقد) أي تقييم العروس من الجوانب الأخلاقية والجمالية والعائلية، فإذا ما نالت إعجاب والدي العريس تقدما لخطبتها رسميا ثم يتفقان مع والديها بعد ذلك على كافة الشروط المادية المتعلقة بحقوقها الزوجية في المستقبل، من مهر معجل أو مؤجل وجهاز وغيره..

أما اليوم وفي عصرنا هذا بالذات فقد اختلفت المقاييس وتبدل كثير من تقاليد الزواج المرعية والعادات المتبعة فيه، فصار يتولى اختيار العروس العريس نفسه، دون الرجوع في ذلك إلى والديه أو مشاورتهما مسبقا، إذ يتم اللقاء بينهما على حين غرة، أو بدلالة أحد الأصدقاء أو الأقرباء، فيلتقيان معا ويتعارفان عن كثب ويدرس كل

منهما طباع الآخر لمدة طويلة أحيانا وبعد رضى العريس عن ذلك يعلم والديه برغبته في الزواج من فلانة من الناس، فيسارعان إلى خطبتها رسميا من والديها، وقد لا تنال إعجابهما في بادئ الأمر لأنه قد تكون لهما شروط خاصة في الاختيار، ولكن تحت ضغط ولدهما المعجب والمتيم بها وخوفا من تطور الأمور إلى ما لا يحمد عقباها يسلمان بالأمر الواقع ويستكمل الجميع عند موافقتهم على الزواج المراحل المتبقية منه، ثم يجري عقد الزواج على أيدي الهيئة الروحية من رجال الدين، ويسجل الزواج في المحكمة الشرعية المختصة بعد ذلك لضمان حقوق الزوجين في المستقبل.

أما صورة عقد الزواج الروحاني المتبع لدى المسلمين الموحدين الدروز فهي كما يلي:

آ_ شروط العقد:

١. يسأل ولي المخطوبة عن عمر ابنته فيما إذا أتمت الخامسة عشر من عمرها، وحصلت على حقوقها كاملة، وتم الاتفاق بين الفريقين على كافة الشروط، ثم يستأذن بعقد القران.
٢. يكلف شاهدان اثنان بإحضار علامة الرضى من المخطوبة وهي سوار من الفضة أو الذهب ولا تقبل إلا من يدها بالذات، بعد أن يسألاها موافقتها الشخصية دون ضغط أو إكراه من أحد فإذا سكتت أو ضحكت أو بكت فقد أذنت وإن أبت لم تزوج.
٣. يجلس المأذون أو المكلف بعقد القران مستقبلا القبلة، ويجلس وكيل الزوجة عن يمينه ووكيل الزوج عن شماله، ويشبكان يديهما اليسريين مع بعضهما على طريقة التصافح بالأيدي، ويربطان إبهاميهما بسوار المخطوبة، ويغطيان يديهما بمنديلها حتى نهاية صورة العقد، ثم يستأذن الحضور بعقد القران.
٤. يسأل المأذون بعقد القران وكيل الزوجة قائلا:
   - أنت وكيل الزوجة: يجيب: نعم
   - وأنت وكيل الزوج: يجيب: نعم

٥. يسأل وكيل الزوجة: أزوجت موكلتك فلانة بنت فلان، البنت البكر[١] البالغ الخالية من الموانع الشرعية إلى موكل هذا الرجل فلان بن فلان، على الشروط المتفق عليها من مهر متقدم كسوة لبدنها وإصلاحا لشأنها، وصداق قد تراضيتم عليه إلى حين الطلاق والفراق على سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟

- أنت أزوجت ؟ نعم
- وأنت رضيت ؟ نعم

ب صورة العقد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم.مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين.

اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد (تكرر ثلاث مرات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد.

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[١] إذا كانت المخطوبة متزوجة من قبل فيقال (المرأة الثيّب)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر.

ج خطبة الزواج:

بسم الله الرحمن الرحيم

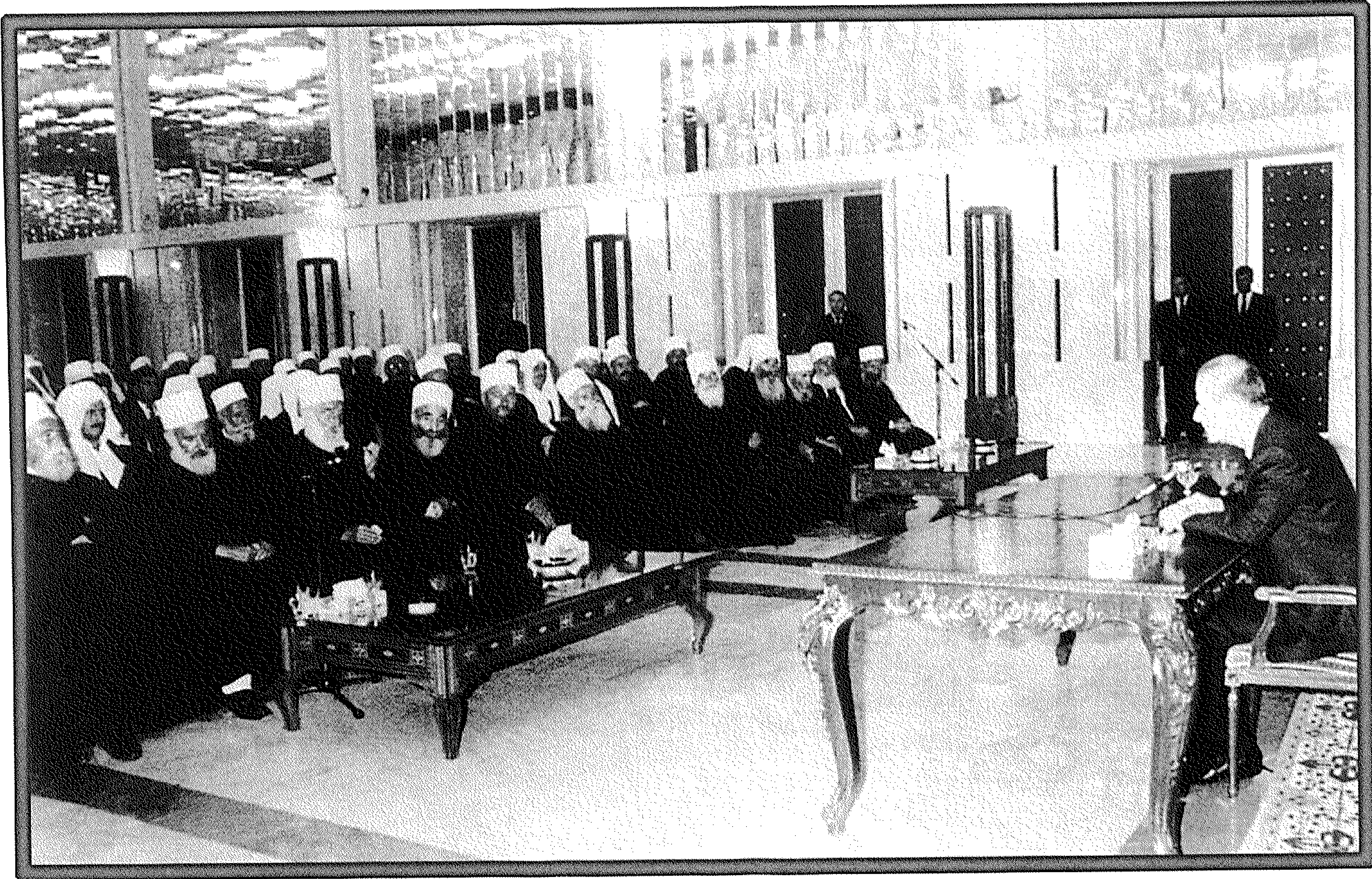
الحمد لله الخبير بما صنع. اللطيف بما بدع. الكريم بما أعطى ومنع. الذي وصل شمل المتباعدين وجمع. أحمده حمد من آمن بربوبيته وقنع. وسلامه وصلواته على رسوله وآله أئمة الهدى ومصابيح الدجى ما ترنم طائر وسجع. وسلم تسليما ما أضاء صبح وبرق لمع.

أما بعد، فإن الله قد سن سنة الزواج وبثها وحللها، وجعلها سنة من سنن الأنبياء، وشرعة من شرع الصالحين الأتقياء، وصونا عن الفحشاء، ووقاية من رب الأرض والسماء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا رهبانية في الإسلام" وقال تعالى: "ومن كل شيء خلقنا زوجين"[1] "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"[2] وقال تعالى: "والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات."[3] فسبحان من جعل البعيد قريبا، والغريب صهراً ونسيباً، وقال سيد تهامة، المظلل بالغمامة، والمتوَّج بتاج العز والبهاء والكرامة: (يا أمتي تزاوجوا تناسلوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة).

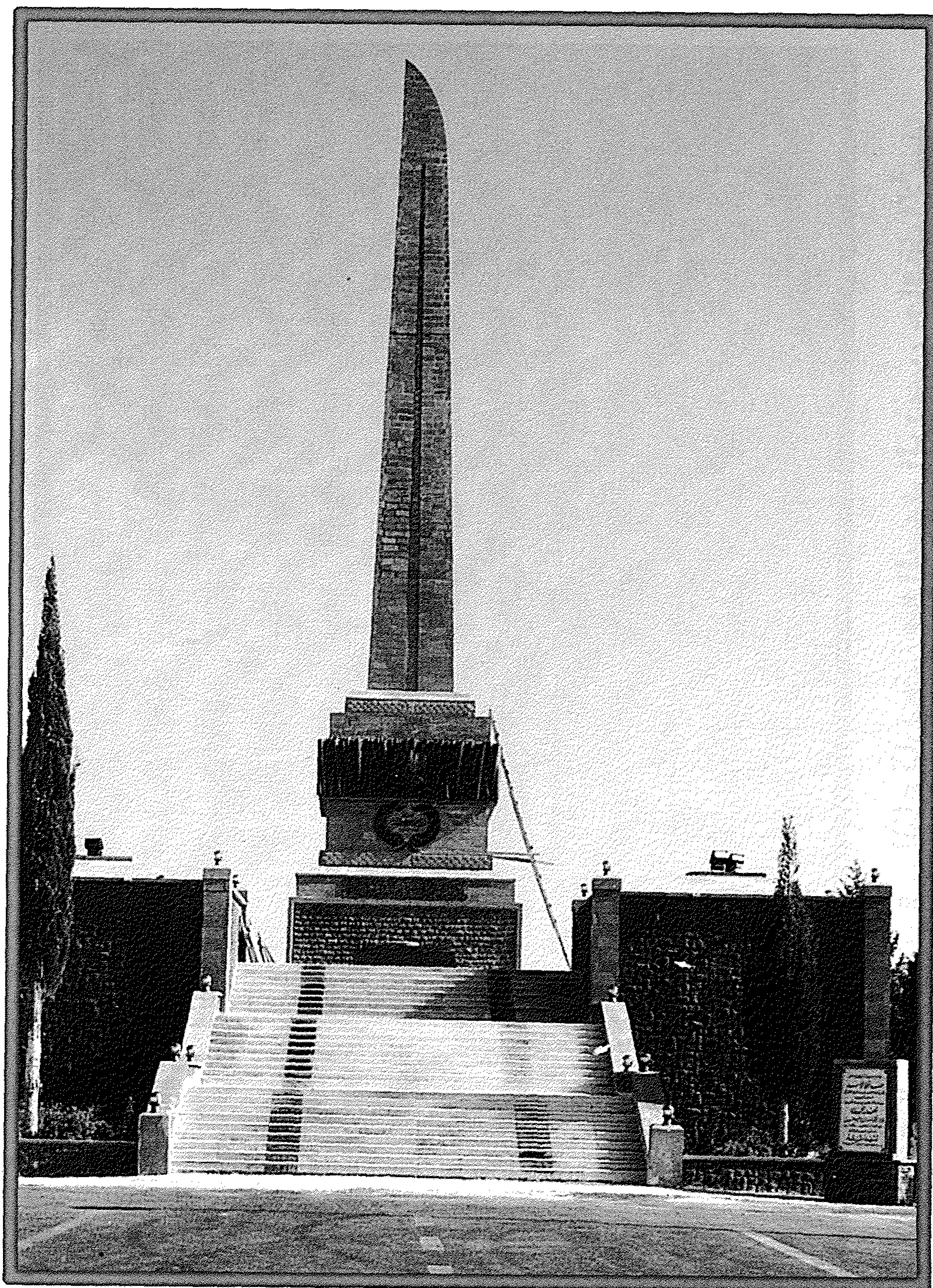
وقد صار اجتماعنا ها هنا لأمرٍ قدَّره الله وقضاه، وحكم به وأمضاه، وقارنه بالسعد والتوفيق في أوله وأوسطه ومنتهاه.

---

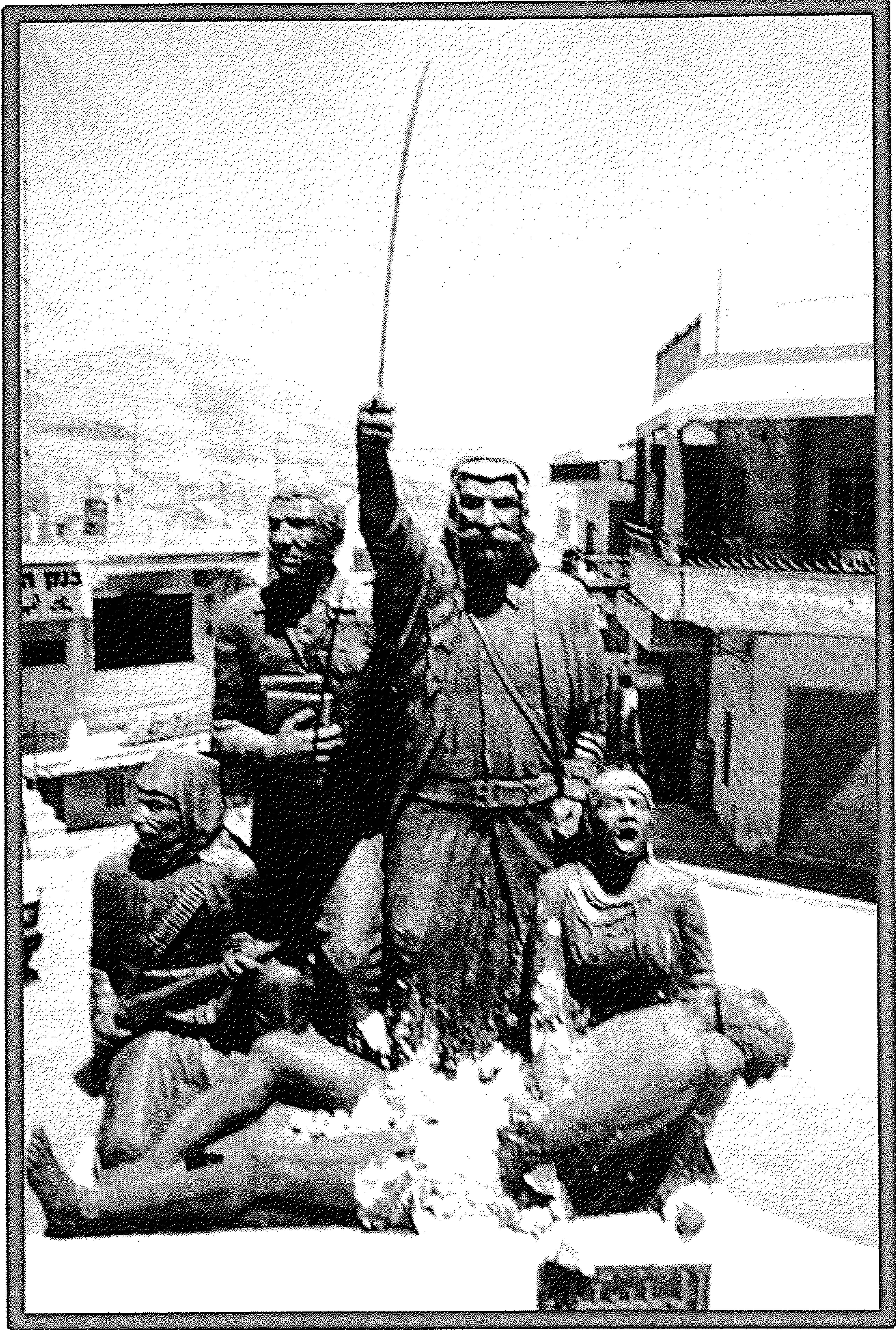
(1) الذاريات (٤٩)
(2) الروم (٢١)
(3) النور (٢٦)



شيوخ هضبة الجولان في لقاء تاريخي مع السيد الرئيس حافظ الأسد



نصب تذكاري لشهداء ثورة عام ١٩٢٥ في المزرعة



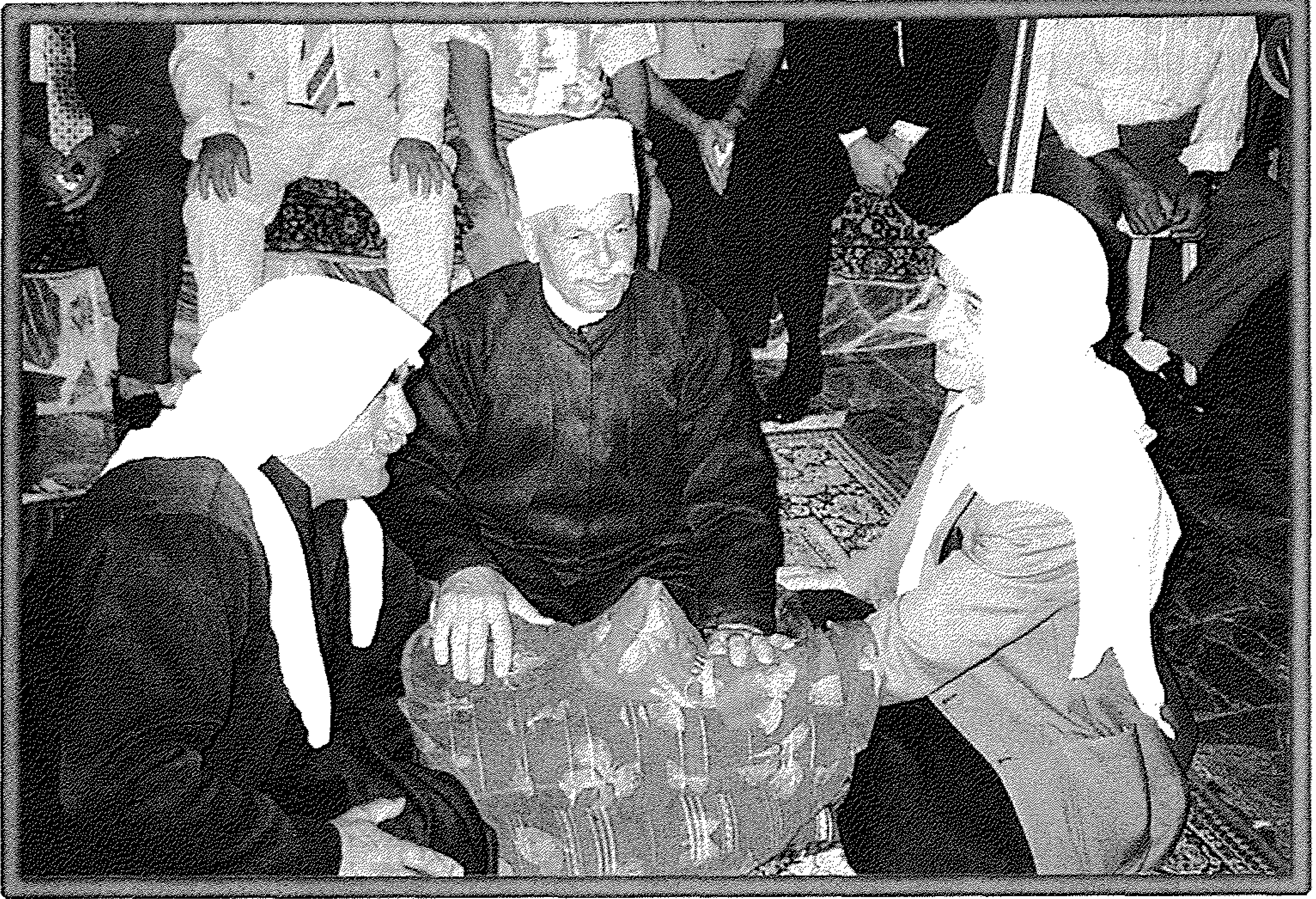
نصب تذكاري في قرية مجدل شمس من هضبة الجولان
يمثل نضال المسلمين الموحدين ضدالأحتلال الإسرائيلي



لوحة شعبية تمثل تقاليد الأفراح (العرس)عند النساء



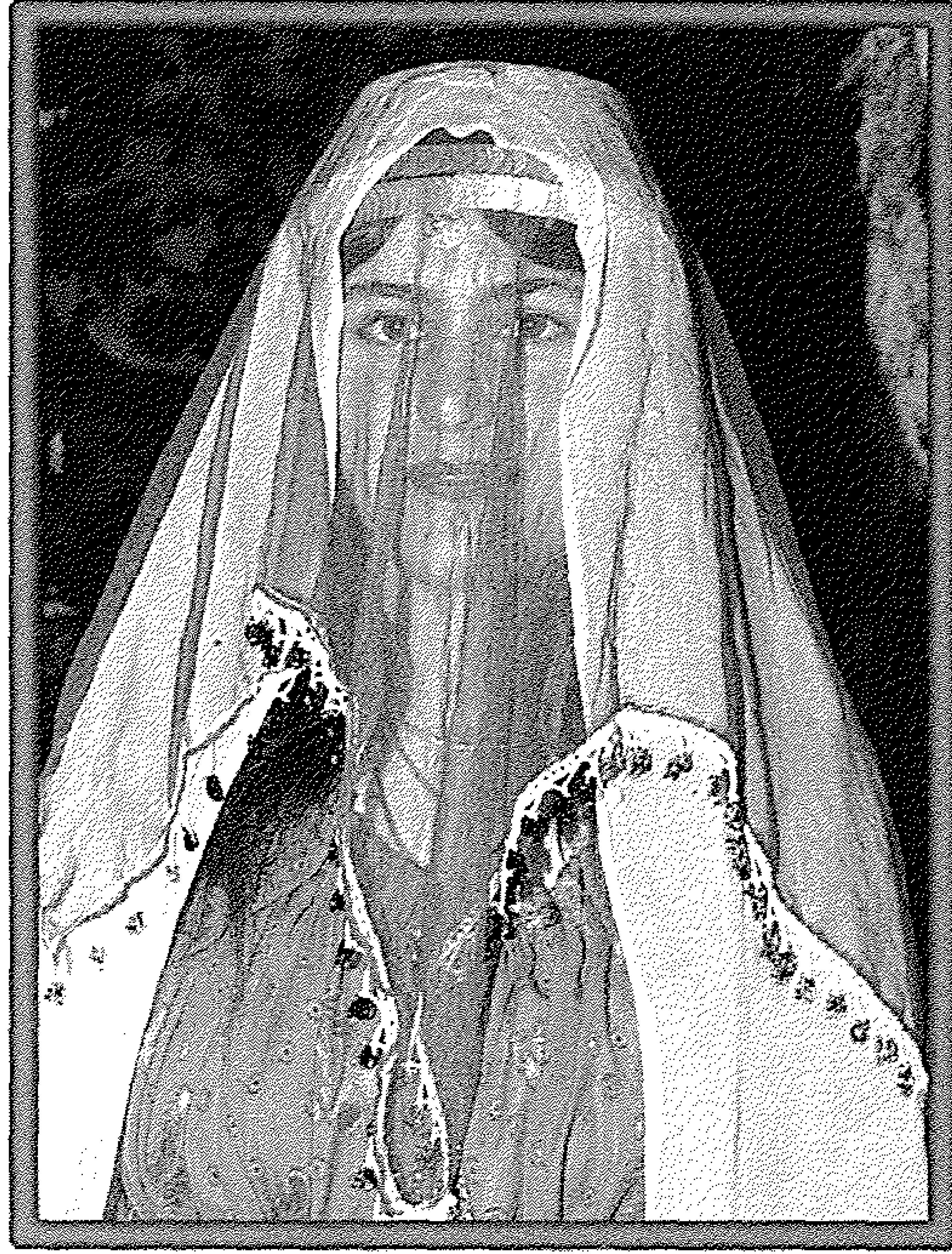
لوحة شعبية تمثل تقاليد الأفراح عند الموحدين (الدروز)



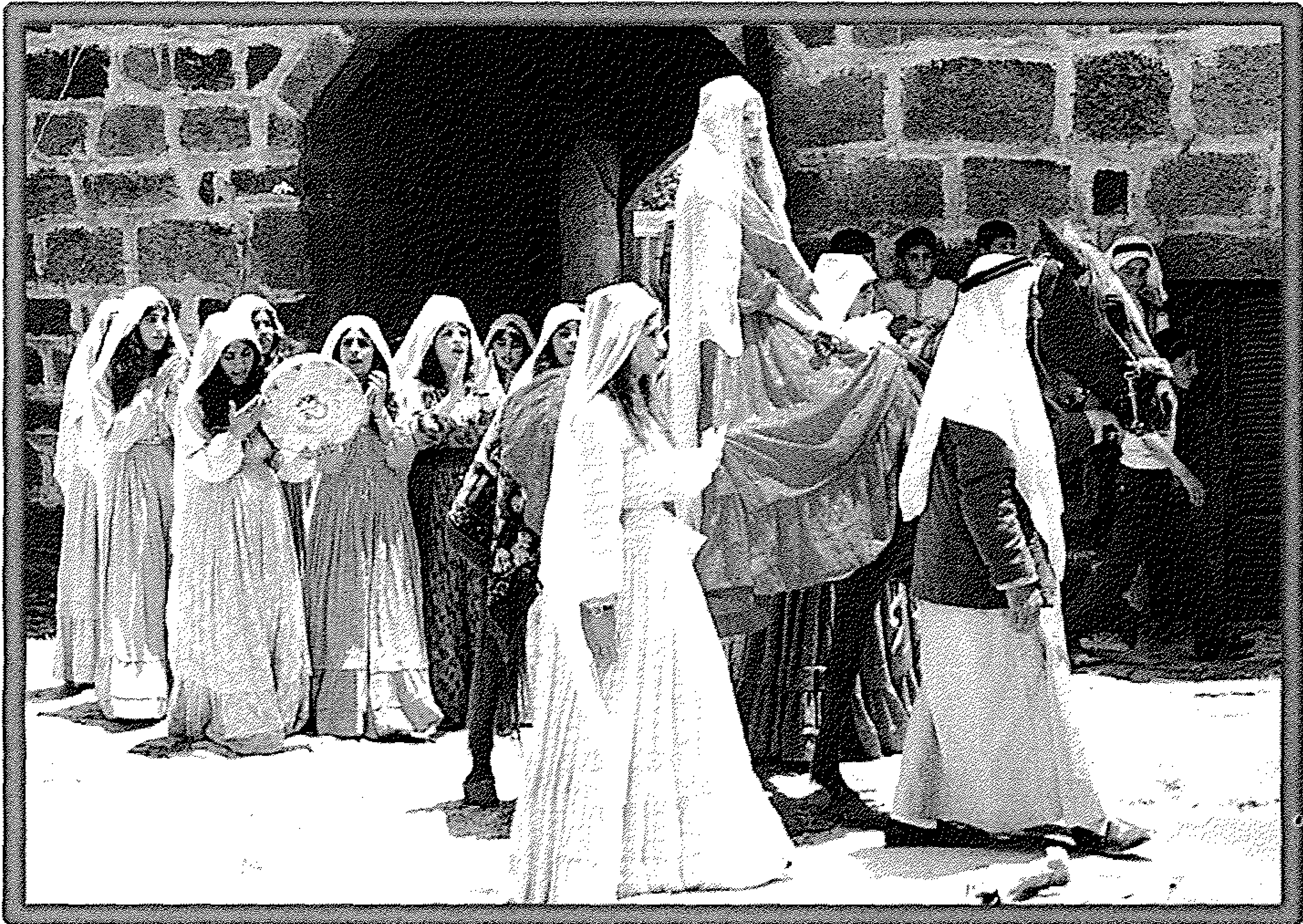
عقد القِران عند الموحدين الدروز



طعام « المنسف » الذي يقدم في المناسبات، ويلاحظ أن معدّ الطعام يريق السمن العربي فوقه ، وهو مايعرف « بالتقفير» أو « القُفْرة ».



عروس بالزي التقليدي وعلى رأسها «طربوش»
مرصَّع بالذهب فوقه منديل شفاف تُقنّع به وجهها.



لوحة شعبية تمثل زفة العروس في ريف جبل العرب



وجه آخر لعروس في زي عرسها التقليدي



« صلاة الجنازة عند الموحدين الدروز »

فأسألهُ تعالى أن يلقي بين الزوجين المحبة والوداد، وأن يرزقـــهما النسل الصالح من الأولاد، وأن يريهما الأحفاد، وأن يوسع عليــهما الرزق، وأن يحفظهما من مكايد الخلق، وأن يبـــارك هــذا العقــد الميمون إن شاء الله."

"تمت صورة العقد"

وبعد انتهاء صورة العقد هذه تتلو الهيئة الروحية فاتحـــة الكتــاب العزيز تبريكا للعقد وتوثيقا لكلام الطرفين المتصاهرين.

وبعد إجراء عقد الزواج المذكور تبدأ حفلة العرس، فيعلّل للعريــس قبيل يوم زفافه، ويسمى هذا الاحتفال (التعليلة) ، ويستمر الاحتفــال عدة أيام بعد زواجه، وفي كل ليلة يجتمع الفتيان والفتيات فـــي دار العريس، دون أن يحصل بينهم اختلاط، حيـــث يعقــدون حلقــات الرقص و(الدبكة) على أنغام الآلات الموسيقية الشـــعبية كالنـــاي، والمزمار (المجوز)، ويبلغ الاحتفال ذروته يوم الزفاف.

وعندما يحين موعد إحضار العروس وهو ما يسمى (الردَّة) يذهــب أهل العريس ومدعووهم إلى دار والد العروس، فيدخلـــون إليــها بالأهازيج والغناء، ثم تستقل العروس سيارة أعدت لها خصيصـــاً، وزينت بمختلف أصناف الزينة_أو تزف على

فرس إذا كانت في قرية صغيرة_ ويكون إلى جانبها في الســـيارة نفسها عريسها ومرافقوهما، وينطلق موكب العرس يطوف شــوارع المدينة، وتتوالى أبواق سيارات المدعوين علـــى طــول الطريــق المؤدية إلى منزل العريس ابتهاجا بهذه المناسبة، وإشعاراً للجماهير بأن الموكب هو موكب عرس، وعند وصـــول الموكــب تــترجل العروس من السيارة التي أقلتها، فيستقبلها أهل العريس والمدعوون بالزغاريد وإطلاق زخات من الرصاص أحياناً ابتـــهاجا بمقدمـــها، ويُرش عليها وعلى موكبها الرز والزهور تيمنا، ثم يبدأ الاحتفـــال الرسمي الذي بدأوه قبيل الزفاف، وفي اليوم التالي، تقبـــل الوفــود لتقديم تهانيها للعروسين ، وتستمر التهاني طوال أيام الاحتفال.

٤_ تقاليد عقد الراية:

الراية قطعة من القماش الأبيض خالية من النقش أو الرمز، توضع على رأس رمح أو عصا طويلة كالعلم، يعقد ذيلها المصلحون أثناء توسطهم لحصر الخلاف الناشب بين فئتين، أدى خلافهما إلى حصول قتيل أو أكثر، وذلك للحيلولة دون الأخذ بالثأر وازدياد عدد القتلى.

وعقد الراية يعني في العرف العشائري المحلي إنهاء النزاع بشكل جذري، وتصالح المتخاصمين، وتتويج لنجاح مساعي الوسطاء الحميدة، وإلا فتقاعسهم عن هذا الواجب الإنساني يقود إلى تسلسل عمليات القتل والأخذ بالثأر، وواجب المصلحين أن يحولوا دون ذلك، ويحجبوا الدماء بتوسطهم بين الفريقين المتقاتلين، ومهما طالت مدة أي خصام دموي فإنه سينتهي وفقا للأعراف المحلية بعقد الراية بين المتخاصمين.[١]

أما التقاليد المتبعة عادة في عقد الراية فتتلخص بما يلي:

- يطلب المصلحون من أهل القتيل وأنصارهم مهلة زمنية يتفق عليها الطرفان، وتعرف اصطلاحا بـ(العطوة) ليخلدوا فيها إلى السكينة، ويمتنعوا عن القيام بمشاجرات جديدة قد تجر عليهم حصول قتلى آخرين، وليتدبر المصلحون أمرهم ويسعوا لحل الخلاف الناشب بين الفريقين.
- وقد لا تكفي مدة (العطوة) المضروبة لشهر أو لأسبوع لحل الخلاف فيلجأ المصلحون إلى إجلاء القاتل مع أقرب الناس إليه إلى قرى بعيدة شريطة أن لا يكون فيها أقرباء للقتيل للحيلولة دون وقوع صدامات جديدة.

---

[١] صفحات من تاريخ الموحدين الدروز ص١٤٨ د.حسن البعيني

- يتم عقد الراية بموافقة آل الفقيد وأخذ الموعد منهم وإعلان ذلك، ويدعو كل من الطرفين أقرباءه ومعارفه لحضور الحفل، ويعين مكانه وموعده.
- يجتمع آل الفقيد لاستقبال الوساطة والوفود المدعوة وآل القاتل في المكان والزمان المحددين مسبقا، فتتعالى الأصوات من قبل المشايخ والوجهاء بعبارات الثناء والمدح والشكر وحسن الإطراء لما بدر من أهل الفقيد من نبل وشهامة وصفح وإكرام وتضحية.
- يتقدم بعد ذلك الرجل المكلف بحمل الراية إلى والد المقتول أو من ينوب عنه من أبناء عشيرته إذا كان الوالد متوفى لعقد تلك الراية، فيعقدها، لأن عقدها هو الدليل القاطع والموافقة التامة على ما جاء في نص الاتفاق المبرم بين الطرفين وتأكيد على الرضى والصلح وتكريم للوجهاء والمصلحين ومساعيهم الخيرة ليعم العفو والتسامح بين الناس وتسود الإلفة بينهم.
- ثم تنتقل الراية إلى غيره من ذوي الفقيد ليعقدها أيضا.. وكذلك إلى الكفلاء من رجال الدين والوجهاء الذين توسطوا لحل الخلاف حسب العادات والتقاليد بالطرق السلمية.
- وبعد ذلك يقوم بعقد الراية ممثل السلطة المحلية ليكونوا جميعا شهودا على انتهاء النزاع وحسم الخلاف، وهنا يصيح حامل الراية بعالي صوته على الحشود المجتمعة لعقد الراية: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، "ومن عفا وأصلح فأجره على الله."[١]

اشهدوا يا أهل البرية، ضيوف ومحلية والراية البيضاء المبنية لآل فلان، كرم الله وجوههم ــ ويقصد بها آل الفقيد ــ ثم يكرر القول

---

[١] الشورى

نفسه لتكريم الواسطة من رجال الدين والأوجـــه وممثلـــي الإدارة المتواجدين في الاحتفال، ثم تسلم الراية لأهل القاتل.
وإذا تنازل أهل القتيل عن حقهم يعلنون عن ذلك يوم عقد الرايـــة، ويسمى عملهم هذا (شومة) ويقال عنهم (شوموا) أي سمحوا ولـــم يأخذوا شيئا من المبلغ المقرر دفعه، علما بأنه لا يتم دفع الديـــة إلا بعد توقيع وثيقة الصلح وبعد إسقاط الحق الشخصي فـــي المحـــاكم رسميا.
ويكون مقدار الدية موافقا لحالة القتل إذا كان القتل عمدا، أمـــا إذا كان خطأ وهو ما يعرف بـــ(الخطلة) فـــإن الديـــة تنخفـــض إلـــى النصف، وقد يتسامح بها أهل القتيل كما ذكرنا طلبا للثواب عنـد الله وإكراما للوسطاء.
هذا وعقد الراية لا ينهي الخلافات الدموية فحســـب، بـــل ينـــهي الأزمات التي يثيرها مقتل الأشخاص قضاء وقدرا كمقتل أحدهـــم على يد صياد أو سائق سيارة، لأن الأحكام من المحاكم النظاميـــة لا يلغي دور المحاكم الشعبية التي تبدأ بالتوسط وتنتهي بعقد الرايـــة، ولا ينهي الخلاف المحتدم بين الفريقين المتخـــاصمين، ولا يحـــول دون الأخذ بالثأر السائد في مجتمع عشائري، بينما عقد الراية يحسم الخلاف جذريا، لأنه يعتبر بمثابة تنـــازل عـــن الحـــق الخـــاص، واعتراف علني صريح أمـــام الوســطاء والكفـــلاء والحـــاضرين والضمير والله بالامتناع مستقبلا عن كل عملية ثأرية.[1]

[1] المرجع السابق ص١٤٩

نضالهم الوطني والقومي:

تاريخ المسلمين الموحدين الدروز حافل بالأمجاد و البطولات في نصرة الحق و العدل، والذود عن العِرض والأرض، وحماية المقدسات جميعها.

ونضالاتهم الوطنية التي سطّروها بدمائهم الزكية في سبيل الحرية و الكرامة عبر تاريخهم الطويل عنوان لكتاب كبير مليء بملاحم البطولة والشرف، ولم يكن لنضالهم القومي تاريخ مدون تتناقله الأجيال إلا في بداية الخلافة العباسية حينما عمد أبو جعفر المنصور إلى وضع خطة للدفاع عن تخوم لبنان وسواحلها ضد غزوات البيزنطيين وأعوانهم المردة والحيلولة دون تقدمهم إلى فلسطين، فتطوع لتنفيذ تلك الخطة آنذاك الأميران اللخميان منذر وأرسلان، وهما من أسلاف المسلمين الموحدين الدروز، ورحلا بعشائرهما من معرة النعمان إلى لبنان، وتفرقوا في البلاد، واستوطنوها، ومما يعزز صحة هذا القول ما جاء في بعض المصادر المتأخرة (كأخبار الأعيان لطنّوس الشدياق) حيث يذكر في(أخبار الأمراء الأرسلانيين) بأن أبا جعفر المنصور" وكان قد بلغه قوة مردة لبنان ومنعهم أبناء السبيل عن المرور في الطرقات المجاورة بلادهم،وأن غزواتهم قد اتصلت إلى بلاد حماة وحمص وغيرها ولم تتمكن الإسلام من بلادهم لسطوتهم وتحصنهم في الجبال العاصية، فاستصوب أن يقيم بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة بلادهم لقهرهم.. فلما رأى ما عندهم -أي الأميرين اللخميين منذر وأرسلان- من الحماسة والقوة أطلعهم على إرادته بذلك فلبّوه مخلصين، فأمرهم بالسكنى في جبال بيروت الخالية، وأنعم عليهم بإقطاعات معلومة في لبنان، وأعطاهم مناشير بها، واستنهضهم للذهاب.."[1]

---

[1] أخبار الأعيان-طنوس الشدياق ج٢.ص ٢٧٨

ويستنتج من إحدى حجج السجل الأرسلاني أنه جاء إلى لبنان مع الأميرين المذكورين أولاد اخوتهما، الأمير خالد ابن الأمير حسان، والأمير عبد الله ابن الأمير النعمان والأمير فوارس ابن الأمير عبد الملك، واستوطن الأمير منذر بن مالك في حصن سرحمول (الغرب) بينما استقر أخوه الأمير أرسلان في سن الفيل، أما الأمير خالد فقد سكن"طردلا" والأمير عبد الله في"كفرا" والأمير فوارس في"عبيه"[1]..

وجرت بين هؤلاء اللخميين وبين المردة مواقع عديدة أشهرها معركة نهر الموت، ومعركة أنطلياس، وكان النصر حليف هؤلاء الأمراء، فتمكنوا من إحكام سيطرتهم على القسم الأوسط من لبنان وأجبروا المردة على الانكفاء عن ساحل بيروت. ومنذ سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م أصبحت الزعامة بين هؤلاء الأمراء اللخميين للفرع الأرسلاني، وكان أولهم الأمير مسعود بن أرسلان الذي كان يقطن سن الفيل، واشتهر أمره في معركة حاسمة انتصر فيها على المردة في هذا المكان(١٧٥هـ/٧٩١م). بيد أن انتصار الأمير مسعود الأرسلاني على المردة لم
يمنع ظهور السفن البيزنطية أحيانا على الساحل، واستطاعت هذه السفن(١٨٥هـ/٨٠١م) أن تصل إلى منطقة الأوزاعي خلسة فتخطف الأمير عمرو الأرسلاني ومعه ثلاثة رجال، ولكن الدولة العباسية التي بلغت ذروة مجدها زمن خلافة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٤هـ/٧٨٦-٨٠٩م) لم تتوان عن اتباع سياسة عسكرية حازمة ضد البيزنطيين وأعوانهم فاستأنفت سياسة الهجوم وتصدت لغزواتهم، وتذكر بعض المصادر أن الرشيد قرر تعزيز قوة اللخميين في لبنان ضد أعدائه البيزنطيين، وبعد أن عمل على إطلاق سراح الأمير عمرو ورفاقه طلب من الأمير ثابت بن نصر

[1] الشدياق-المرجع السابق ج٢.ص٢٧٨-٢٧٩

الخزاعي أمير الثغور الشامية إطلاق التنبيه في البلاد للرحيل إلـــى لبنان وشد أزر أمرائه اللخميين في لبنان ضد أهل العاصية.[1]
وتعزو تلك المصادر إلى هذه الفترة بالذات قدوم عشـــائر عربيــة جديدة إلى لبنان تنفيذا لهذه السياسة.
ويذكر الشدياق في كتابه(أخبار الأعيان) بأن قدوم الأمير تنوخ جـد الأمراء البحتريين إلى لبنان كان في حدود سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م وقد جاء معه عشر طوائف هي: بنو فراس، وبنو عزايم، وبنو عبد الله، وبنو عطير، وبنو خضر وبنو هلال، وبنو كاسب، وبنـو شـجاع، وبنو نمر، وبنو شرارة.[2]
وقد توزعت هذه العشائر في المناطق الوسطى من لبنـان والتـي كانت قليلة السكان.. وتمتد من شمال شرق صيدا حتى شمال شـرق بيروت بما فيها منطقة الغرب اليوم، مما يعزز الاعتقاد بـأن هـذه العشائر أتت إلى لبنان لتعزيز صمود اللخميين في وجه البـيزنطيين والمردة أعداء الدولة العباسية، وتذكر بعض المصادر المتـأخرة أن هذه العشائر نزلت أولا في منطقة عين دارا حيث شيد بنو تنـوخ القرية هناك، وتقدم بنو شويزان جدود آل عبد الملك الدروز إلـى جوار نبع الصفا، حيث بنوا قرية عين زحلتا، بينما تقدمت عشـيرة بني فوارس التي ينتسب إليها اللمعيون الدروز إلى المتن، أمـا آل عبد الله وهلال فقد استقروا في المواقع التي تقع فيها القرى التالية: البنيّه، وكفر متى، ورمطون وطردلا وعرمون وعين كسور وعبيـه وسر حمول[3]

---

[1] محمد كرد علي- خطط الشام ج١ .ص٦٨، وأهل العاصية لقب أطلقه العـرب علـى المردة أي(أهل الجبال العاصية)

[2] تاريخ الشدياق المخطوط والمحفوظ في مكتبة يوسف ابراهيم يزبك، ولعل الشدياق نقـل أسماء هذه العشائر عن كتاب الروض الشقيق ص٢٢٩ للأمير شكيب ارسلان.

[3] الروض الشقيق ص٢٣٠ - الأمير شكيب ارسلان.

ولم يقتصر نشاط هذه العشائر العربية على الدفاع عن سلامة هـذه المناطق ضد غزوات البيزنطيين بل تعدى ذلك إلى مساعدة الخلافة العباسية في حروبها خارج بلاد الشام. وأظهر الأمير الأرسـلاني مسعود الذي رافق الخليفة المأمون في حروبه شجاعة نادرة فـي القتال مما جعل الخليفة العباسي يوليه بالإضافة إلى إمارة الغـرب التقليدية ولاية صيدا ومقاطعة صفد، كما أن أميرا أرسلانيا آخر في فترة لاحقـة وهـو النعمـان بـن عـامر بـن مسـعود(٢٧٠-٢٢٥هـ/٨٣٠-٩٣٦م) حارب مع قواته إلى جانب قائد العباسـيين آماجور التركي ضد ثورة عيسى ابن الشيخ الشيباني في بلاد الشام، ولما كان النصر حليف العباسيين كوفئ النعمان بتوليتـه بـيروت وصيدا وتوابعهما وبجعل الإمارة له ولذريته من بعده.[1]

ولم ينس الأمير النعمان الأرسلاني مهمته، وهي التصدي لغـزوات البيزنطيين وأعوانهم، فأسر سنة(٢٠٦هـ/٨١٥م) ربابنـة بعـض السفن البيزنطية عندما حاولوا النزول عند رأس بيروت كما صـدّ بدوره هجوماً جديداً للمردة عند نهر بيروت شرقي المدينة وانتصر عليهم، وعرف الخليفة العباسي بنشاط النعمان، فسُـرّ لشـجاعته، وبعث له بكتاب يمدحه ويقره على ولايته، كما أهداه سيفاً وشـعار العباسيين الأسود[2].

وحافظ الأمير النعمان خلال فترة حكمه الطويلة على سياسة الـرد والولاء الروحي للعباسيين، مع أن بلاد الشام كانت قد أصبحت منذ عام٢٤٦هـ/٨٧٧م تحت نفوذ أحمد بن طولون، [3]. ولما احتـدم الصراع بين العباسيين والطولونيين على بلاد الشام عمل النعمـان على اتباع سياسة الحياد ما أمكن تجنبا لما يمكـن أن تجـره تلـك

---

[1] المصدر السابق ص٢٣١-٢٣٣ - والشدياق -المرجع السابق ج٢ ص٢٨١-٢٨٢

[2] الشدياق -المصدر السابق ص٢٨٤

[3] أحمد بن طولون هو مؤسس الدولة الطولونية في مصر(٨٦٨-٩٠٥ م) استولى على سورية عام (٨٧٧ م) ثم قضى العباسيون على هذه الدولة سنة (٩٠٥ م) .

الحروب الإسلامية الداخلية من ويلات وخراب على إمارته، وكذلك فعل النعمان فيما بعد إزاء حملات القرامطة والصراع الحمداني-الإخشيدي-العباسي خلال هذه الفترة من ولايته، واستطاع بفعل سياسته الحكيمة أن يجنب إمارته مساوئ تلك الاضطرابات المستمرة التي وقعت في بلاد الشام[١].

وهكذا لم يأتِ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي حتى كانت المناطق الوسطى من لبنان والتي انتشرت فيها دعوة التوحيد الدرزية فيما بعد وقد استقرت فيها عدة عشائر عربية منذ فترة طويلة، وكانت لها الزعامة على السكان الأصليين، وتعرضت هذه كغيرها من مناطق بلاد الشام لحركة الاستعراب والاختلاط بالقادمين الجدد، بحيث أصبح طابعها عربياً إسلامياً قبيل قيام دعوة التوحيد" الدرزية" .

وهذا الخليط من السكان شكّل ما يمكن أن نسميه أسلاف المسلمين الموحدين(الدروز)، إلا أن النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد الرابع للهجرة، شهد تغيرات هامة في بلاد الشام، فقد رافق قدوم الفاطميين إلى بلاد الشام تحول في الموقف السياسي لأسلاف الموحدين(الدروز) وزعمائهم تجاه العباسيين، ولكن تغير الموقف السياسي رافقه على ما يبدو تحول مذهبي عقائدي بلغ ذروته في مطلع القرن الخامس للهجرة-الحادي عشر للميلاد- وتمثل بظهور دعوة التوحيد(الدرزية)[٢].

---

[١] الكامل في التاريخ-ابن الأثير-ج٦ ص٩٩-١٠٠ وص١٠٤-١١٠

[٢] د. عباس أبو صالح ود. سامي مكارم-تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي (ص٣١-٣٢)

في العهد الفاطمي:

ما إن أصدر الإمام الحاكم بأمر الله سجلا يعلن فيه بداية دعوة التوحيد في الأول من محرم سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧م حتى استجاب إليها جموع كبيرة من الناس، ونودي في السجل نفسه بحمزة بن علي إماما للموحدين، ومن الذين استجابوا إلى دعوة التوحيد عدد كبير من كبراء الدولة والأعيان، كالشريف فخر الدولة أبي يعلى حمزة بن أبي العباس الحسيني نقيب الطالبيين-المنتسبين إلى علي بن أبي طالب- في بلاد الشام،[1] وأمراء آل تنوخ، والأمير معضاد بن يوسف الفوارسي من أعيان ناحية الغرب في لبنان،وزماخ بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي، وأخوه جابر، وهما من أمراء الرملة، والأمير عز الدولة أبو العلى رافع بن أبي الليل بن عليان والي حلب،.. وسلاطين الإحساء الملقبين بالسادة، بالإضافة إلى سومر بن راجبال الذي تسلم مقاليد دعوة التوحيد في بلاد الهند،[(٢)] وغيرهم آخرون من أعيان بلاد المشرق العربي ممن لا يتسع المجال لذكر أسمائهم، ولكن كما حظيت دعوة التوحيد بمن يشد أزرها،كذلك قيض لها من الأعداء من حاول القضاء عليها.. وبقيت دعوة التوحيد مع ما لاقت من الخصومة والعداء تزدهر وتقوى ويكثر أتباعها، غير أنه لم يكن كل من استجاب إلى هذه الدعوة مخلصا صادقا، إذ كثير منهم حملتهم على الانخراط بها أغراض شخصية، لاسيما في عهد الحاكم الذي كان يوليها الكثير من دعمه وعطفه، ومن هؤلاء المنتسبين لدعوة التوحيد طمعا ورياء"نشتكين الدرزي" الذي نافس إمام الموحدين حمزة بن علي، على إمامة الدعوة، وألب عليه الأتباع وحاربه بعشرين ألفا منهم في مسجد ريدان، ولكنه هزم مع أتباعه وقتل في سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م ،

---

[1] الاشرفاني-محمد مالك، عمدة العارفين- مخطوط ج٣ ص١٢٣

[(٢)] المصدر نفسه-ج٣-ص١١٨-١٢٠ ..

واستقام الوضع مجددا، واستؤنفت الدعوة من جديد، واستمرت ما يقارب العامين تحت رعاية الحاكم وإمامة حمزة بن علي. وفي سنة ٤١١هـ/١٠٢١م غادر الإمام الحاكم قصره قاصدا جبل المقطم كعادته، ولكنه هذه المرة لم يعد، وفي اعتقاد الموحدين أن غيبة الحاكم كانت امتحانا لإخلاصهم لدعوة التوحيد، وسلمت مقاليدها بعد غيبته إلى الداعي المقتنى علي بن أحمد الطائي. ولما كان الموحدون يعتقدون أن الإمامة الفاطمية انتهت بالإمام الحاكم، ولم يعترفوا بالظاهر لإعزاز دين الله الخليفة الجديد إماماً لهم، ولم يدينوا له بالولاء، بادر هذا الأخير مع أعداء الدعوة التوحيدية إلى اضطهاد المسلمين الموحدين، وأعلن عن هدر دمائهم في مختلف أنحاء مملكته، ودامت فترة الاضطهاد هذه نحو ست سنوات ونيف[1]
وقد صبر الموحدون على المحنة، ولم يتمكنوا من مجابهة اضطهاد الظاهر لهم عسكريا، وحاول قادتهم رفع الضيم عنهم ما أمكنهم ذلك بالطرق السياسية،كالأمير رافع بن أبي الليل الذي أصبح قائداً من قواد الظاهر العسكريين، يعمل ما أمكنه لحقن دماء الموحدين. والذب عنهم بماله ونفسه.
والمقتنى بهاء الدين الذي استطاع أيضا أن يقضي على عدد كبير من أعداء الدعوة التوحيدية، قد عمل جاهداً للدفاع عن المسلمين الموحدين، وإزالة المحنة عنهم، فأرسل الداعي أبا اليقظان عمار إلى وادي اليتيم في جنوب لبنان لوضع حد لطغيان أعداء الدعوة فقتل في تلك المهمة سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤-١٠٣٥م، مما أثار حفيظة الداعي الشهير أبي الفوارس معضاد بن يوسف لتجريد حملة للقضاء على سكين وشرذمته الذين قتلوا الداعي أبا اليقضان عمار.

[1] الأشرفاني-عمدة العارفين- ج٣ -ص١٩٣، وزين الدين عبد الغفار تقي الدين-مجرى الزمان-الورقة٦٤

وعند هذا الحد نكتفي بذكر بعض الوقائع التي خاض المسلمون الموحدون غمارها إبان تلك الفترة لإثبات وجودهم على الساحة، ودرء الأخطار التي أحدقت بهم من كل جانب، ولتثبيت أركان عقيدتهم التوحيدية التي أعلن عنها إمامهم الحاكم بأمر الله من جهة ثانية.

محنة أنطاكية:

تتلخص البواعث التي حملت أعداء الدعوة التوحيدية على اضطهاد المسلمين الموحدين"الدروز" بتحالف نصر بن صالح بن مرداس مع البيزنطيين للقضاء على الموحدين"الدروز" في جبل السماق من منطقة حلب، وذلك للأسباب التالية:

١. تخلي الأمير رافع بن أبي الليل عن نُصرة نصر بن صالح ومساندته في حربه ضد البيزنطيين، وكذلك قتل الأمير رافع لوالد نصر في معركة سابقة تعرف بمعركة الأقحوانة.
٢. خشية نصر بن صالح وأحلافه البيزنطيين من توسع نفوذ الموحدين الإقليمي في منطقة حلب، لأنهم كانوا في ذلك الوقت قوة سياسية وعسكرية تهدد نفوذ البيزنطيين في المنطقة، كما تهدد غيرهم من القوى كالفاطميين أتباع علي الظاهر الذي اضطهد الموحدين، والمرداسيين أتباع صالح بن مردواس الذي عاون أعداء الدعوة على اضطهاد الموحدين أيضاً.

ولهذه الأسباب مجتمعة بادر البيزنطيون في سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م كما يقول يحيى بن سعيد الأنطاكي"فتلطفوا في أن قبضوا على دعاتهم-أي دعاة الموحدين- وأمثالهم وقتلوهم، مما جعل باقي الموحدين يفرون إلى تحصيناتهم ومغاورهم في الجبال، ليتعقبهم قطبان أنطاكية ونصر بن صالح ورجالهما،ويحاصروهم في

مغاورهم ويقاتلوهم مدة اثنين وعشرين يوما، ويعملوا فيهم السيف طوال تلك المدة.[1]

موقعة أفامية:

وقد جرت أحداثها بين الأمير رافع بن أبي الليل وأنوشتكين الدزبري قائد قوات الخليفة علي الظاهر في ناحية أفامية سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م ، حيث حاول الدزبري ضرب خصومه من قبيلتي طيء وكلب في محاولة منه لإضعاف حملة قطبان أنطاكية، فتصدى له الأمير رافع بن أبي الليل في بني كلب وبعض بني طيء، وأوقع بالجيش الفاطمي هزيمة نكراء اضطر الدزبري على إثرها أن يسحب جيوشه عائداً بها إلى دمشق.[2]

وبعد موت الخليفة الظاهر في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م تسلم الخلافة الفاطمية بعده ابنه أبو تميم معد الملقب بالمنتصر لدين الله، وفي ظل حكم هذا الخليفة الجديد عادت دعوة التوحيد في وادي التيم وجبل لبنان وفلسطين ودمشق وجوارها إلى سابق عهدها ونشاطها، وقد خلت الساحة أمام دعاتها من المناوئين لها والمرتدين عنها، وقد توجت هذه المرحلة بأن طلب المقتنى بهاء الدين من الأمير معضاد الفوارسي أحد أقطاب دعوة التوحيد في جبل لبنان، أن يجرد حملة عسكرية في سنة ٤٥٩هـ/١٠٣٨م للقضاء على المرتدين عن دعوة التوحيد، وقد أسفرت يومذاك عن قتل معظم شرذمتهم، وانتهت بقتل سكين نفسه رأس حركة الارتداد.[3]

واستطاع الأمير رافع بن أبي الليل في نهاية المطاف أن يقضي على خصمه الألد نصر بن صالح بن مرداس في سنة

---

[1] د.عباس أبو الصالح، ود.سامي مكارم:تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ص٨٤

[2] الأنطاكي ص٢٦٥-٢٦٨

[3] ابن العديم ص٢٥

٤٢٩هـ/١٠٣٨م وبذلك خلت الساحة تماما من جميع الأضداد والمعاندين.

وبعد مقتل نصر بن صالح المذكور نعم الموحدون في بلاد الشام بفترة من الهدوء والاستقراركما ، تبوأ بعض دعاتهم في سوريا مراكز مرموقة كفخر الدولة أبي يعلى حمزة بن الحسين نقيب الطالبين الذي كان أحد كبار أعوان خليفة الدزبري في ولاية الشام ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان.[1]

ولم يغلق باب الدعوة التوحيدية في سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م حتى كان الموحدون(الدروز) قد أصبحوا يؤلفون فئة تجمعها عقيدة واحدة جعلت منها جماعة أخذت تدريجيا تبني لها كيانا له سماته الاجتماعية الخاصة، لاسيما في بلاد الشام.

أما موقف الموحدين السياسي فقد ظل منسجما مع السلطة الإسلامية السائدة في سوريا، خاصة إذا كانت هذه السلطة لا تعتمد اضطهادهم من حيث هم جماعة دينية ذات صفات وتقاليد بلورتها نظرتهم الدينية الخاصة بهم، ومما جعل الموحدين ينهجون هذا النهج السياسي دون الالتزام الدائم بالدولة الفاطمية هو أنهم أصبحوا يؤلفون فرقة مميزة عن الفاطميين، فغدت علاقتهم بالدولة الفاطمية علاقة سياسية لا صلة لها بالمعتقد.[2]

في عهد الإمارة التنوخية:

يقول المؤرخ اللبناني كمال الصليبي في كتابه"منطلق تاريخ لبنان".
"إن الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين اقتصر على الدول السنية المتعاقبة على بلاد الشام وعلى حلفائهم من الباطنية في وادي التيم، وعلى الدروز في جبل بيروت."

---

[1] ابن القلانسي ص٨٣

[2] عباس أبو صالح وسامي مكارم: تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ص٩٢-٩٣

في تلك الحقبة التاريخية التي أصبح الدروز فيها فرقة متميزة في عقيدتها عن غيرها من الفرق الإسلامية، أخذ المشرق الإسلامي يتعرض للحملات الصليبية ، خاصة وأن العالم الإسلامي آنذاك كان يمر في مرحلة خطيرة من التفكك والضعف في المجالين السياسي والعسكري، ورغم ذلك الوضع السيئ الذي كان يسود العالم الإسلامي، فإن الموحدين الدروز قد حافظوا على موقعهم الموالي للسلطة الإسلامية في بلاد الشام، وأخذوا يتصدون لأعداء الإسلام من البيزنطيين والصليبيين، ليحافظوا على مناطق نفوذهم وسكناهم في البلاد التي قطنوها، وتحملوا أثناء تصديهم للغزو الصليبي عبئا كبيرا يفوق إمكاناتهم المادية والعسكرية، مما جعلهم كسائر القوى الإسلامية بزعامة أمرائهم التنوخيين، يتخذون موقف الدفاع لا الهجوم من الغزو الصليبي، فعند مرور القوات الصليبية الأولى في ساحل بيروت سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م لم يعترض سبيلها أحد، لا الحكام الفاطميون ولا الأمراء التنوخيون،(١)

إلا أن الموحدين الدروز بقيادة أميرهم التنوخي عضد الدولة لم يتوانوا عن التصدي للتقدم الصليبي بأنفسهم، على الرغم من قلة عددهم وقطع الطريق على جيش"ريموندو وتولوزا" الصليبي عند نهر الكلب، غير أن خطة الأمير التنوخي فشلت بسبب صغر حجم قواته أمام القوات الصليبية الزاحفة.. ولكن شجاعة الدروز بقيادة عضد الدولة في تحدي الصليبيين نالت إعجاب شمس الملك دقاق وتقديره، فكافأ الأمير وأضاف إلى ولايته في بيروت والغرب أمارة صيداء، وطلب منه تحصين المدينتين تحسبا للمستقبل.(٢)

وتروي المصادر التاريخية أن الأمير معن-جد الأمراء المعنيين- كان قَدِم بعشيرته إلى جبال لبنان المشرفة على الساحل من أجل

(١) حيدر الشهابي، الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان - القاهرة ١٩٠٠ ج١ ص٣١٧

(٢) السجل الأرسلاني ص١٩٩

التصدي للصليبين، فنزل في الشوف،[1] وتحالف آل معن هؤلاء مع التوخيين للقيام بهذه المهمة وتصاهروا، وانضم إلى هذا الحلف عائلات درزية كآل نكد وآل تلحوق ، فاشتد بهم ساعد الأمير مجد الدولة، وأخذ يشن الغارات على معاقل الصليبيين من جديد، إلى أن استشهد أثناء القتال في موقع "برج البراجنة".[2]

ولم يثنِ عزم التنوخيين وحلفائهم ذلك النزاعُ الأتابكي على بلاد الشام (١١٢٧-١١٥٤م) عن الثبات في وجه الصليبيين والتصدي لهم ضمن حدود ولايتهم والقيام بغزوات جديدة ضدهم، وكان الأمير بحتر بن عضد الدولة الملقب بناهض الدين أبي العشائر قد استأنف هذه الغزوات فعلا بتأييد مجير الدين آبق حاكم دمشق ودعمه، وجرت بينه وبين أمير الفرنجة(غي دوبريت) موقعة عين التينة عند نهر الغدير جنوب بيروت سنة ٥٤٩هـ/١١٥١م، وانتصر الأمير بحتر على الفرنجة في هذه المعركة، وقتل عدد كبير من الصليبيين فيما انهزم الباقون إلى بيروت.[3]

وسنكتفي في هذه الحقبة الزمنية بذكر أشهر المعارك التي خاضها الموحدون الدروز ضد الغزو الصليبي على بلاد المشرق الإسلامي.

١. **موقعة حطين:**

بعد أن ظهر صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي انتقل المسلمون الموحدون الدروز معه إلى موقع الهجوم، بعد أن ظلوا طيلة الفترة السابقة في موقع التحصين والدفاع عن أنفسهم، وكان صلاح الدين قد اتخذ من دمشق عاصمة لدولته وقاعدة للانطلاق في جهاده ضد الصليبيين، واستطاع أن يوقع بهم

---

[1] الشدياق: أخبار الأعيان ج١ ص٢٨٩

[2] أبو صالح ومكارم-تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق ص١٠٢

[3] السجل الأرسلاني ص١٨٧، والشدياق ج٢ ص٢٩٥-٢٩٦

هزيمة كبرى في حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م أدت إلى انهيار مملكة الفرنجة في القدس، واسترجع المسلمون سائر المعاقل الصليبية التابعة لها ما عدا صور، ولما تقدم السلطان صلاح الدين لاحتلال مدينة بيروت لاقاه الأمير جمال الدين حجى التنوخي على رأس وفد من الموحدين الدروز إلى خلدة مرحبا بقدومه، وسار معه لحصار المدينة، ويذكر المؤرخ التنوخي صالح بن يحيى أنه لما فتح السلطان صلاح الدين مدينة بيروت لمس بيده رأس حجى وقال له:"ها قد أخذنا ثأرك من الفرنج فطيب قلبك وأنت مستمر مكان أبيك وإخوتك."(١)

ثم كرّس السلطان ولاية الأمير حجي على جبل بيروت بموجب منشور رسمي جاء فيه: "بإجراء الأمير جمال الدولة جحى بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت من أعمال الدامور لما وصل إلى الخدمة السلطانية، وتحققنا ما جرى عليه من جانب الكفار خذلهم الله، وهو ملكه وإرثه عن أبيه وجده وهي سرحمور، عين كسور، رمطون، الدوير، طردلا، عين دارفيل ومزارعهم وذلك حسباً منا عليه واحتساباً إليه لمناصحته وخدمته ونهضته في العدو المشاغر له."(٢)

٢. موقعة عين جالوت:

جرت هذه الموقعة ضد الزحف المغولي على بلاد الشام، وقد خاض غمارها إلى جانب سلطان المماليك في موقعة عين جالوت الشهيرة(٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ضد المغول، الأمير زين الدين صالح بن علي بن بحتر، وبرز الأمير زين الدين في المعركة، وأعجب المماليك برميه، فأخذوا يقدمون له النشاب من جعبهم، وانجلت المعركة بانتصار ساحق للمماليك على المغول.

---

(١) تاريخ بيروت، صالح بن عيسى التنوخي ص٥١

(٢) المصدر نفسه ص٥٢ ، وتقع هذه القرى في منطقة الغرب وبعضها اليوم خراب.

ومرة أخرى يبرز الموحدون الدروز في نضالهم إلى جانب سلطان المماليك أشرف خليل الذي تمكن من طرد الصليبيين نهائيا من المشرق الإسلامي، والفضل في ذلك يعود على حد قول أحد المؤرخين المعاصرين"للدول السنية المتعاقبة على بلاد الشام وعلى حلفائهم من الباطنية في وادي التيم والدروز في جبل بيروت."[1]

٣. موقعة بيروت: ٧٨٤هـ/١٣٨٢م

واستمر نضال الموحدين الدروز في عهد سلاطين الدولة البرجية الشركسية في بلاد الشام، وقاموا بمهمتهم التقليدية بالمحافظة على ولايتي بيروت وصيدا ضد
غزوات الفرنجة وأعمال القرصنة، ومن أشهر مواقعهم مع الفرنجة في هذه الفترة موقعة بيروت عام(٧٨٤هـ/١٣٨٢م) إذ نزل القراصنة الجنوبيون إلى البر وكادوا يسيطرون على المدينة، فتصدى لهم الموحدون الدروز بقيادة الأمير سيف الدين يحيى التنوخي،وأجبروهم على الانسحاب،[2] ثم كان لهم موقعة أخرى مع الفرنجة في الدامور سنة(٨١٦هـ/١٤١٣م).[3]
ولم تقتصر مهمة الموحدين الدروز العسكرية خلال هذه الفترة على حماية مناطقهم ضد غزوات الفرنجة، بل تعدتها للمساهمة في الأعمال العسكرية التي قام بها سلاطين المماليك البرجية في الخارج، فاشتركوا في حرب المماليك ضد تيمورلنك(٨٠٣هـ/١٤٠٠م) كما شاركوا المماليك في حملتهم

---

[1] كمال الصليبي- منطلق تاريخ لبنان ص١٢٣

[2] صالح يحيى التنوخي ص١٨١-١٨٢

[3] السجل الأرسلاني ص ١٧٠ – ١٧١

الشهيرة على جزيرة قبرص سنة(٨٢٩هـ/١٤٢٥م) والتي انتهت باحتلالها.[1]

وهكذا استطاع الموحدون الدروز من خلال مساهمتهم العسكرية هذه، وبفضل حنكة زعمائهم السياسية في عهد دولة المماليك، أن يكسبوا رعاية وتقدير السلاطين، ونعم الدروز عامة خلال القرن الخامس عشر للميلاد بقسط وافر من الاستقرار والطمأنينة، وتجلى استقرار المناطق الدرزية بتلك النهضة الدينية التي تزعمها الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي (٧٩٥ -٨٨٤ هـ/ ١٣٩٢-١٤٧٩م/ وتلاميذه، وبظهور بعض المؤرخين الدروز كصالح بن يحيى التنوخي صاحب تاريخ بيروت.. وحمزة بن الفقيه شهاب الدين أحمد بن أسباط صاحب التاريخ المنسوب إليه(تاريخ ابن أسباط..)[2]

وبانتهاء العهد المملوكي، وبداية العهد العثماني(٩٢٢هـ/١٥١٦م) اضطر البحتريون للتخلي عن زعامة الدروز للأمراء المعنيين في الشوف، فبلغ الموحدون الدروز في عهدهم ذروة مجدهم السياسي.

في العهد المعني:

بعد زوال حكم دولة المماليك، انقضى معها عهد الإمارة البحترية التنوخية، ولكن الموحدين الدروز برزوا ثانية على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في ظل الإمارة المعنية، وتاريخ آل معن في لبنان لا يقتصر على فترة الحكم العثماني، بل يرجع إلى أوائل القرن السادس للهجرة-الثاني عشر للميلاد- عندما قدموا إلى منطقة الشوف من أجل المساهمة في أعباء القتال ضد الصليبيين(الفرنجة)، وكانوا قبل قدومهم إلى لبنان يسكنون منطقة الجبل الأعلى في جوار

---

[1] صالح بن يحيى التنوخي ص٢١٩-٢٣٠، وقد اشترك هذا المؤرخ بنفسه في الحملة المذكورة.

[2] أبو صالح ومكارم- تاريخ الموحدين السياسي في المشرق ص١٢١

حلب، فيما كان قسم من التنوخيين يقيم في معرة النعمان،[1] وتحالفت هاتان القبيلتان عن طريق المصاهرة قبل قدومهما إلى لبنان، فاقترن الأمير معن الأيوبي الذي ينتسب إليه
المعنيون بابنة الأمير التنوخي، وتوطدت العلاقات بين الفريقين.[2] وقد أثبت مؤرخون عاصروا الحكم المعني اعتناق المعنيين لمذهب التوحيد الدرزي، كالمجّي والدويهي، وأكّد درزيتهم مؤرخون متأخرون كفيليب حتّي وكمال الصليبي، وبولس قرألي.[3] وخلال فترة الغزو الصليبي للعالم الإسلامي (٤٩٣-٦٩١هـ/١٠٩٩-١٢٩١م) حارب الأمير معن إلى الجانب الإسلامي ضد الفرنجة، ولكنه انهزم في إحدى معاركه مع بلدوين ملك الفرنجة بالقرب من أنطاكية.[4]

وبعد سقوط بيروت بيد الصليبيين سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م، ارتأى طغتكين حاكم دمشق إرسال بعض القبائل العربية الجديدة لملء ذلك الفراغ العسكري في لبنان،[5] وطلب طغتكين من الأمير معن أن ينزل بعشيرته في مشارف جبل لبنان الأوسط المطل على الثغور البحرية ليشن الغارات على الصليبيين،[6] فنهض الأمير معن مع قومه الذين كانوا قد أقاموا في البقاع بطلب من طغتكين نفسه، ونزلوا في منطقة الشوف الجبلية الخالية من السكان، واتخذوا في تلك المنطقة مواقع عسكرية مساندة لدروز منطقة الغرب.[7]

---

[1] محمد مالك الأشرفاني-عمدة العارفين- مخطوط ص١٣٥-١٣٦

[2] أحمد محمد الخالدي-لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني- ١٩٦٩ ،ص٢٥١

[3] محمد الأمين بن فضل الله المحبي- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج٢ ص٢٦٦-٢٦٨

[4] عيسى اسكندر المعلوف- تاريخ فخر الدين المعني الثاني ص٢٦-٢٧

[5] ابن القلانسي(زين تاريخ دمشق) ص١٦٩-١٧١

[6] الشدياق- أخبار الأعيان ج١ ص٢٨٩

[7] المحبي- المصدر السابق ج٣ ص٢٧-٣٠

وكان ممن قدموا إلى لبنان خلال هذه الفترة وللغاية نفسها بعض العائلات الدرزية العريقة كآل نكد، وآل تلحوق الذين كانوا حلفاء المعنيين والتنوخيين،فشكلوا مجتمعين حلفا مقدسا ضد الصليبيين في لبنان،[1] واشتد ساعد هذا الحلف بقدوم الشهابيين إلى وادي التيم في القرن السادس للهجرة، أو في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد، وكان الأمير منقذ الشهابي قد أبلى بلاء حسنا في القتال ضد الصليبيين في وادي التيم في (٥٦٩هـ/١١٧٣م) واستطاع أن يوقع الهزيمة في صفوف الفرنجة، وأن يطردهم من تلك النواحي..[2]

وكثيراً ما استنجد الشهابيون بالمعنيين لدرء خطر الفرنجة عن وادي التيم، ويذكر الشدياق في كتابه أخبار الأعيان(ص٢٩١) أنه في سنة(٦٣٦هـ/١٢٣٨م) استنجد الأمير عامر الشهابي بالأمير عبد الله بن سيف الدين المعني في قتاله للفرنجة في موقعة برج الخيام في جنوب لبنان، وكان النصر حليف الشهابيين، ويذكر المصدر نفسه(ص٢٩٢) أن المعنيين كانوا ينجدون أنسباءهم التنوخيين في حروبهم ضد الصليبيين، ومن المعارك الشهيرة التي اشتركوا فيها إلى جانبهم وبمساعدة داود الجركسي معركة الدامور، حيث تغلبوا على الفرنجة.

وللمسلمين الموحدين الدروز نضال مرير ضد الحكم العثماني زمن إمارة فخر الدين المعني الثاني، فقد استطاع الأمير أن يبسط نفوذه على قسم كبير من بلاد الشام، حيث أقطعه السلطان العثماني نصوح باشا ولايتي نابلس وعجلون اللتين كانتا تحت سلطة والي الشام مصطفى باشا، وذلك سنة ١٠٣٢هـ/١٦١٨م، ولما رفض مصطفى باشا تسليمها التقاه الأمير المعني في عنجر، وأوقع به الهزيمة، وأجبره على تسليمها، وأصدر السلطان العثماني قراراً

[1] الشدياق- المصدر السابق ج١ ص١٨٦-١٩٥

[2] تاريخ الأمراء الشهابيين- تحقيق سليم حسن هشي-بيروت- ١٩٧١ ص٢٩-٣٠

اعتبر فيه فخر الدين المعني الثاني حاكما على عربستان، من حلب إلى حدود مصر، كما منحه لقب سلطان البر.[1]

ولم يكن هدف الأمير المعني الثورة في وجه العثمانيين، والاستقلال فحسب، بل تعداه إلى بناء دولة تضاهي في تقدمها البلدان الأوربية المتقدمة في زمانه، فقد اهتم بعمران بلده ورفع مستواه الاقتصادي، وقام بعدد من المنجزات الحضارية، وقد استقدم لهذه الغاية عددا من الخبراء والفنيين من البلدان الأوربية للنهوض بمختلف الحقول الأساسية كالزراعة والاقتصاد والتجارة والصناعة وغيرها، وصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية، وصناعة الزيت والصابون، وكانت لعلاقاته السياسية الحسنة مع الدول الأوربية أثر كبير في تنشيط التجارة، وجعل المدن الساحلية من أهم المراكز التجارية في البحر المتوسط..[2]

وعلى الصعيد الاجتماعي فقد حقق العدل والمساواة بين جميع رعاياه قبل أن يتحقق مثل ذلك في بلدان أوربا أو في الشرق الإسلامي. وأطلق حرية المعتقد الديني بشكل خاص بين مختلف الطوائف. ولم يحاب فئة على حساب الأخرى بهذا المقياس، بل إن شعوره الوطني المبكر جعله يتجاوز الفوارق الطائفية والمذهبية، وكان يشارك جميع الطوائف الدينية أعيادها، ويحضر صلاة الأعياد في المساجد، ويصوم مع أسرته رمضان، ويحافظ على قوافل الحج كما يقول كاتب سيرته أحمد بن محمد الخالدي الصفدي،[3] ولعله أول حاكم مسلم في لبنان والشرق يساوي بين المسيحيين واليهود والمسلمين في الحقوق الدينية والمدنية متجاوزا بذلك التقاليد السياسية والاجتماعية والقوانين المعروفة التي كانت تميز بين المسلمين وأهل الذمة، مما يدل على رؤية سياسية

---

(1) المحبي ج١ ص٣٨٦

(2) المعلوف ص٣٣٢-٣٥٥ -قرألي- ج١١ ص٥٤-٢٦

(3) الخالدي ص٢٣٥

واجتماعية منفتحة ونظرة حديثة للدولة ليست قائمة على التعصب الديني والمذهبي .[1]

هذه الإنجازات التي عمل على تحقيقها الأمير المعني الكبير جعلته على الصعيد اللبناني في مصاف الحكام العظام. واعتبره بعض المؤرخين أول من وضع حجر الأساس لكيان لبنان الحديث،[2] وفي سياسته الداخلية والخارجية كان يسعى دائما لبناء جبهة داخلية قادرة على الوقوف في وجه أي خطر خارجي، وعلى الأخص في وجه الولاة العثمانيين، وقد واكب نهضة الأمير فخر الدين السياسية نهضة فكرية دينية موازية لها، تمثلت بظهور عدد من المؤلفين والفقهاء، كالشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين(٩٦٥هـ/١٦٤٠م) والشيخ محمد أبو هلال المعروف بالشيخ الفاضل(ت:١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) والشيخ محمد مالك الأشرفاني صاحب(عمدة العارفين)، وقد أحيا الشيخ الفاضل محمد أبو هلال طريق الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي في نظام السياسة الدينية بما خلفه من شروح وتفاسير،حيث كان في وقته صاحب مدرسة أخلاقية مسلكية في الدين،جعل الموحدين الدروز يلتفون حوله في ذلك الوقت، ويرجعون إلى فتاويه وتعاليمه، وبذلك ساهم الشيخ الفاضل بجمع كلمة الدروز في سائر أنحاء بلاد الشام، وتعدى أثره الناحية الدينية إلى الناحيتين السياسية والاجتماعية، كما فعل من قبل سلفه الأمير السيد في ظل الإمارة التنوخية.[3]

وإذ قد ذكرنا موجزا عن نضال الموحدين(الدروز) منذ بداية ظهورهم على أرض الواقع في الفترة الممتدة بين أوائل الحكم

---

[1] قرألي(فخر الدين المعني الثاني ودولة توسكانا،رد وإيضاح) ص٥٣١

[2] كمال الصليبي(فخر الدين الثاني والفكرة اللبنانية) ص١١٠-١١١

[3] أبو صالح ومكارم: تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ص١٤٥-١٤٦

العباسي، وأواخر الحكم العثماني نذكر طرفاً من نضالهم المرير في القرنين التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مكتفين بذكر نبذة عن أهم الحروب التي خاضوها في تلك الفترة، دفاعاً عن كرامتهم وحريتهم، وإثباتاً لوجودهم الذي استهدفته الأمم الباغية.

فقد خاضوا حرباً ضروساً ضد حكم محمد علي باشا وابنه إبراهيم في اللجاة-شمال جبل العرب من جنوب سوريا- وفي وادي القون من جنوب لبنان ذلك في عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م.

أما الأسباب التي دفعتهم لخوض غمار هذه الحرب فنوجزها بما يلي:

١. التجنيد الإجباري الذي طبقه محمد علي باشا على أهل الشام بشكل لم يألفه الناس من قبل، حيث كان يرسل المجندين للمشاركة في حروب خارج بلادهم في أكثر الأحيان، وقد جعل مدة الخدمة العسكرية خمسة عشر عاماً.
٢. تجريد الناس من سلاحهم كي يأمن شر قيام ثورات ضده.
٣. فرض إبراهيم باشا قيوداً شديدة على تجارة بعض المواد الأساسية، واحتكر الحرير، وأثقل كاهل الأهلين بالضرائب، وفرض ضرائب جديدة كضريبة الفردة على كل فرد بالغ، مما أحدث ذلك أثراً سيئاً في نفوس الناس لأنهم لم يتعودوا دفع مثلها على الرؤوس، وكثيراً ما كان يجبر الأهالي على دفع هذه الضريبة عن الغائبين والأموات، إلى جانب فرض ضرائب أخرى على الأرض ومنتجاتها كانت تدعى ضريبة "الميري".
٤. أعمال السخرة، دون أجرة، وإخلاء منازل الأهالي وبعض الأماكن العامة ليسكنها جنود الولايات.[١]
٥. سياسة التهديد والتفرقة الطائفية.

---

[١] الشدياق- أخبار الأعيان ج٢ ص٢١٥

هذه الإجراءات القاسية التي طبقها محمد علي باشا في بلاد الشام جعلته في أعين الناس حاكما ظالما أكثر من ولاة الدولة العثمانية الظالمين، إذ لم يعامل سكان بلاد الشام معاملة الحاكم الوطني لرعاياه، بل معاملة الفاتح لبلاد عدوه، مما أوغر صدور الناس وجعلهم يثورون ضد حكم محمد علي باشا المصري عند أول فرصة.[١] نشبت الثورة ضد محمد علي في جوار البحر الميت في فلسطين أولا، وذلك بعدما شرع ابنه إبراهيم باشا بتطبيق الإجراءات الآنفة الذكر، كالتجنيد والاحتكار وجباية الضرائب الجديدة على بعض القبائل التي لم تخضع لمثل هذه الأحكام في عهد العثمانيين، وتبعهم أهل نابلس الأشداء، ثم انتقلت نيران الثورة إلى صفد والخليل، ولكن إبراهيم باشا استطاع أن يخمد هذه الثورات بمساعدة حليفه الأمير بشير الشهابي[٢].

ولما ظهرت بوادر الثورة في دمشق خلال شهر أيار من تلك السنة نفسها - أي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م بسبب التجنيد الإجباري كان إبراهيم باشا واقفا لها بالمرصاد، وحال دون اندلاعها، وأخذ يجرد الناس من السلاح[٣]، وتمكن إبراهيم باشا من إجهاض تمرد آخر في طرابلس وعكار بمساعدة الأمير بشير، كما ساهم الأمير خليل ابن الأمير بشير الحاكم بإخماد الثورة التي نشبت في منطقة العلويين سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م[٤].

نضالهم ضد طغيان إبراهيم باشا المصري:

إن أسباب ثورة الموحدين الدروز ضد إبراهيم باشا المصري كانت هي الأسباب ذاتها التي أدت إلى نشوب بقية الثورات في بلاد

---

(١) أبو صالح ومكارم- المصدر السابق ص١٢١

(٢) ميخائيل مشاقة - الجواب على اقتراح الأحباب، ص ١٢١

(٣) سليمان أبو عز الدين - إبراهيم باشا في سورية - ١٩٢٩ - ص ١٨٠ - ١٨١

(٤) الشدياق ج٢ ص ٢١٧ - ٢١٨

الشام، وعلى رأس هذه الأسباب مجتمعه التجنيد الإجباري، ونـزع السلاح من السكان.

ومنذ أن سكن الموحدون الدروز منطقة جبل العرب جنوب سوريا، كان لهم وضع خاص يميزهم عن غيرهم من بقية السكان، إذ كانوا يومذاك في حرب دائمة تقريبا حتى مجيء إبراهيم باشا إلى سوريا، سواء مع جيرانهم، أومع القبائل الرحل التي كان الجبل مرعى خصبا لمواشيها، وكانوا يتعرضون للغزو بين الحين والآخر، مما اكسبهم مهارة فائقة في الحروب والقتال، ولهذا كان السلاح بالنسبة لهم حاجة ملحة لا غنى لهم عنه لدفع الأخطار المحيقة بهم من كل جانب، وحماية أنفسهم من اعتداءات البدو في كل مكان، ولكن حكومة محمد علي لم تأبه للواقع الذي يعيشه الموحدون الدروز في جبل العرب موطنهم الجديد، ولم تنظر بعين الاعتبار للمضايقات التي كانوا يتعرضون لها من البدو، بل أصدرت في مطلع عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م أمرا بالتجنيد الإجباري، وطلبت من الدروز هناك تقديم ما يقرب من مائتي مجند، ورغم أن عملية التجنيد هذه قد تأخرت في جبل العرب أكثر من سنتين عن موعد تطبيقها في سائر مناطق الشام، إلا أن مسألة التجنيد هذه لم تكن إلا ذريعة للوصول إلى أهداف أهم من ذلك، فجبل العرب كان يومذاك قد أصبح ملجأ للفارين من التجنيد والثائرين على حكومة العزيز، وللهاربين من ثقل الضرائب وللنازحين من مناطق الثورة في فلسطين، ويبدو أن حكومة محمد علي قصدت من وراء التجنيد الإجباري دخول قواتها إلى الجبل، وإحكام سيطرتها عليه، وإتقان تيار اللاجئين إليه، وبالتالي جعله قاعدة للسيطرة على قبائل البدو[١].

---

[١] سليمان أبو عز الدين - إبراهيم باشا في سورية (ص ١٩٧-١٩٩)

ولما تلكأ دروز الجبل عن تلبية طلب إبراهيم باشا في تجنيد العدد المطلوب، استدعى شريف باشا قائد قوات إبراهيم باشا في سورية الشيخ يحيى الحمدان زعيم دروز حبل العرب أو حوران كما كان يسمى من قبل استدعاه إلى دمشق للتفاوض معه بالأمر، وعرض الشيخ الحمدان على شريف باشا الأسباب التي توجب إعفاء دروز الجبل من التجنيد، ومن هذه الأسباب أنهم يقطنون عند مدخل البادية، وعليهم أن يدافعوا عن أنفسهم بقوة السلاح، وبما أن الحكومة لا تقوم بمثل هذه المهمة المتوجبة عليها، فإن على الدروز أن يحموا أنفسهم، ويبدو أن تمسك الشيخ يحيى الحمدان بموقفه أثار غضب شريف باشا، فأهان الشيخ الحمدان، ويقال إنه صفعه في مجلسه أمام الحضور، وفرض عليه أمره وأعطاه مهلة عشرة أيام لإقناع بني قومه في أمر التجنيد[1].

وهنا غادر يحي الحمدان دمشق غاضبا بسبب إهانته، ولدى وصوله إلى الجبل عقد مع وجهاء الدروز اجتماعا تقرر على أثره رفض طلب شريف باشا، والتحصن في منطقة اللجاة المنيعة تحسبا للقتال،وتحالف دروز الجبل مع بدو السلوط المقيمين في تلك المنطقة لهذه الغاية، فقرر شريف باشا إخضاع هؤلاء المتمردين، فوجه إليهم حملة عسكرية مؤلفة من أربعمائة فارس بقيادة علي آغا البصيلي ، وجرت مفاوضات بين قائدها وفريق من مشايخ الدروز حول مسألة التجنيد، والتظاهر بالاعتداءات على القرى المجاورة التي كانت تابعة لشريف باشا، وأبدى الدروز خلال هذه المفاوضات استعدادهم لوقف الاعتداءات التي تظاهروا بها، شرط أن يعفوا من التجنيد، إلا أن المفاوضات قد فشلت، ووعود علي آغا البصيلي لمشايخ الدروز بالتوسط لهم لدى شريف باشا كان يعوزها الثقة،ورغم وعوده لهم لم ينسحب مع قواته كدليل على حسن النية،

---

[1] أبو صالح ومكارم – المرجع السابق ص ٢١٤

بل كان بقاء تلك القوات في قرية الثعلة الدرزية من جهة، ومعرفة الدروز بإصرار شريف باشا على أخذهم على حين غرة من جهة ثانية جعلت المواجهة العسكرية بين الفريقين أمرا محتما، ولهذا لم ينتظر الدروز يوما آخر لمعرفة نتيجة التوسط مع شريف باشا بل هاجموا قواته ليلا وقتلوا في المعركة معظم رجال تلك الحملة، وقتلوا قائدها البصيلي،[1]

ولكن شريف باشا خاف من مغبة الأمر وعزم على إخضاع تلك الثورة قبل أن يستفحل خطرها، وأرسل في مطلع سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م حملة جديدة مجهزة بالمدافع بلغ عدد أفرادها حوالي ثمانية آلاف مقاتل بقيادة محمد باشا مفتش الجيش، إلا أن الدروز ألحقوا بهذه الحملة أيضاً هزيمة ساحقة، وقتل عدد كبير من جنودها، كما قتل قائدها محمد باشا وأربعة عشر ضابطاً وفر الباقون، ووقع قسم كبير في الأسر وغنم الدروز مقادير كبيرة من السلاح والعتاد.[2]

ولما بلغت أخبار هزيمة محمد باشا أسماع سيده إبراهيم باشا، قرر التصدي للثورة الدرزية بنفسه وذلك في سنة ١٨٣٨م، وجرد عليهم حملة كبيرة بلغ تعدادها نحو عشرين ألف مقاتل، لكن الدروز انتصروا عليه، وشتتوا حملته، وأبادوا منها أكثر من أربعة آلاف مقاتل، غير الجرحى والمفقودين، وكان في عداد الجرحى وزير الحربية والي بك، فيما فقد الدروز حوالي ثلاثمائة مقاتل من أصل ألفين اشتركوا في القتال.

وتوالت حملات إبراهيم باشا على اللجاة لمحاربة الدروز، إلا لأن هزائمه تلاحقت على أيديهم، إلى أن انتقلت الثورة إلى دروز جنوب لبنان، وخاضوا معارك طاحنة في وادي التيم ضد قوات إبراهيم

---

[1] المصدر السابق ص١٢٢

[2] المحفوظات الملكية المصرية- بيروت: الجامعة الأمريكية ١٩٤-١٩٤٣ ج١ ص٤٥.

باشا، وتكبد هذا الأخير خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، إلى أن تمت المصالحة بينه وبين الدروز في حرب خاسرة كلفته عشرات الآلاف من الضحايا بين قتيل وجريح و مشرد ومفقود، وقد عبر عن ذلك شاعر الثورة التي خاضها بنفسه مع المقاتلين وهو الشيخ أبو علي قسام الحناوي فقال:

سبعين ألف اللي اندثر من عسكرو   أصلح وصالحناه وفات الثار
وأفخرنسب في الأرض تلقى نسبنا   متجنبين العار والمعيار
ترى جدنا النعمان خلفة سما لخم   ومنا حماة الدين والأنصار

وبهذه المصالحة انتهت ثورة الموحدين الدروز التي قامت في جبل العرب ووادي التيم بعد مرور تسعة أشهر على اندلاعها، ولكن آثارها السياسية والعسكرية كانت قد وصلت إلى لبنان، فإذا بنيران ثورة جديدة تهب في وجه إبراهيم باشا، وتساهم في إجلائه نهائيا عن بلاد الشام.[1]

موقف الموحدين الدروز من الثورة العربية ضد الأتراك:

وإلى جانب حروبهم ضد إبراهيم باشا، وبعد الفراغ منها، لم يتخلوا عن واجبهم القومي في الانضمام إلى الثورة التي أعلنها الشريف حسين، وقادها بنفسه ضد الأتراك في عام ١٩١٦م، وكان من أبرز الزعماء المؤيدين لهذه الثورة عادل وأمين أرسلان في جبل لبنان، وسلطان باشا الأطرش في جبل العرب، وأسعد كنج أبو صالح في الإقليم، وقد انضم العديد من المقاتلين إلى صفوف هذه الثورة، والتحقوا بالجيش العربي عند وصوله إلى العقبة، وبعد وصوله إلى

[1] للوقوف على تفاصيل هذه الحرب راجع ما يلي:
- نزوح الدروز إلى حوران وحربهم ضد ابراهيم باشا-المقتطف ج٦٨-١٩٢٦.
- إبراهيم باشا في سوريا - سليمان أبو عز الدين.
- أخبار الأعيان ج١+ج٢ لطنوس الشدياق.
- تاريخ المسلمين الموحدين الدروز في المشرق العربي- عباس أبو صالح وسامي مكارم.

الأزرق في الأردن تزايد عدد المتطوعين، وعند قدوم هذا الجيش إلى درعا جنوب سوريا، سار سلطان باشا الأطرش على رأس فرسان الجبل واشتركوا معه في المعارك التي دارت في حوران وعلى مشارف دمشق بين الترك وجيش الثورة العربية، وكان سلطان مع مجموعة من فرسانه أول من دخل دمشق مساء ٣٠ أيلول ١٩١٨، كما كان أول من رفع العلم العربي فيها بصورة شعبية غير رسمية،[١] في حين كان الآخرون من مرافقيه في تلك المناسبة يهزجون أمام دار الحكومة حداءً ارتجله الشاعر معذى المغوّش فقال:

عرش المظالم انهدم	والعّز طبّ بلادنا
راحت عليكم يا عجم	خوض المعارك دابنا
حِنّا حماتك يا علم	بأرواحنا وأكبادنا

نضال الموحدين الدروز ضد الاستعمار الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٦:

الاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان في الربع الأول من القرن العشرين تحت اسم الوصاية والانتداب، لم يعرف التاريخ الحديث شبهاً لمآسيه التي لحقت بشعب هذين البلدين إلا في ظل الحكم التركي.

لقد احتلت الإمبريالية الفرنسية سورية ولبنان في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة، وبلغ ذروته في أعوام ١٩٢٥-١٩٢٧م، حيث أخذ شكل حرب وطنية تحررية شعبية عامة ضد الإمبريالية الفرنسية.[٢]

كانت سياسة فرنسة في سوريا ولبنان سياسة نهب واستعباد لشعبيهما، سياسة احتلال وتعسف، سياسة خنق الحرية والثقافة

---

[١] د. حسن البعيني- دروز سوريا ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٣ ص٥٧

[٢] فلاديميرلوتسكي- الحرب الوطنية التحررية في سوريا ١٩٢٥-١٩٢٧ -ترجمة د. محمد دياب- دار الفارابي -بيروت- ط١٩٨٧ ص٢٠

الوطنية، وكانت في الواقع السبب الأساسي والمباشر للمقاومة الشعبية التي جوبه بها المحتلون.[1]

وقد استطاع شعب قليل العدد، لا يمتلك سوى أسلحة بدائية كالفؤوس والقماش المشبع بالنفط، بالإضافة إلى بعض البنادق القديمة، والسلاح الفردي غير المتطور، أن يخوض معركة شرسة في وجه واحدة من أعتى الإمبرياليات العالمية في الربع الأول من القرن العشرين، ومارس السوريون حرب عصابات وطنية قاموا خلالها بأعمال من البطولة لامست حدود الأسطورة، وأكدت أن الشعب الموحد، والمؤمن بعدالة قضيته لا يمكن أن يهزم، فاستولى السوريون على كميات ضخمة من الأسلحة الفرنسية، وهزموا حملات كبيرة العدد، وقتلوا آلاف الجنود من فرنسيين، وجنود المستعمرات التابعة لها.. من أجل حريتهم، واستقلالهم، وسيادتهم الوطنية.[2]

والمتتبع لسير المعارك التي خاضها الشعب السوري، منذ انطلاقة الثورة على أرض"جبل الدروز"-كما أسماه الفرنسيون- عام١٩٢٥ حتى نهايتها البطيئة على أرض هذا الجبل بالذات، يدرك عمق التجربة التي مر بها المشرق العربي، ومعه الوطن العربي كله إبان تلك المرحلة.

وتحوّل "جبل الدروز" آنذاك بفضل نضاله الصلب، وتضحيات سكانه من أجل سيادة سوريا كلها، ووحدة أراضيها وأمانيها القومية العربية إلى "جبل العرب" كل العرب، رافضاً كل التقسيمات والتسميات الطائفية التي أوجدها الانتداب الفرنسي أو الانتداب الإنكليزي لتسهيل سيطرتهما على المشرق العربي، بعد أن سيطرا على المغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر، ومطالع القرن

---

[1] المصدر نفسه ص٢٠

[2] د. مسعود ظاهر، مقدمة كتاب الحرب الوطنية التحررية في سوريا لفلاديمير لوتسكي ص٥

العشرين، وبعد أن سيطرا على مصر والسودان في الظروف التاريخية عينها..[1]

إن كتب التاريخ الحديث مترعة بذكر وقائع البطولات النادرة التي سطرها أبناء وطننا بدمائهم الزكية على ثراه الطاهر ضد المستعمر الفرنسي، في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ نضالهم الطويل، والمؤرخون الذين أرخوا تلك الوقائع، وشهدوا بعضها، وعاصروا بعضها الآخر، لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا دونوها في مذكراتهم التاريخية للأجيال،منهم على سبيل المثال، المجاهد الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر، والمؤرخ المشهور الأستاذ منير الريس صاحب الكتاب الذهبي، وجميل العلواني ، وظافر القاسمي ، وحنا أبو راشد وغيرهم من الصحفيين العرب والأجانب.

ولا يسعنا في هذا المقام أن نتحدث عن كل المعارك التي خاضها أبناء وطننا بوجه عام، والتي خاضها الموحدون الدروز بوجه خاص، وقد انطلقت شرارتها الأولى من جبلهم الأشم، وإنما نكتفي هنا بذكر أشهر ثلاث معارك منها، وأكثرها ذيوعا على الألسنة، وهما معركة الكفر، ومعركة المزرعة، ومعركة المسيفرة ، حيث دارت رحاها كلها في ربوع الجبل، الأولى في مدخل قرية الكفر في٢١ تموز عام ١٩٢٥، والثانية على بعد حوالي أحد عشر كيلو مترا غربي مدينة السويداء حول نبع ماء يعرف بنبع المزرعة، في ٢-٣ آب ١٩٢٥ من العام نفسه، والثالثة في قرية المسيفرة من قرى محافظة درعا، وكان على رأس المجاهدين الأبطال في هذه المعارك الثلاث وغيرها من المعارك، المغفور له سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة السورية الكبرى، وقبل أن نفصل الحديث عنها لا بد من ذكر الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي

---

[1] مقدمة كتاب الحرب الوطنية التحررية في سوريا- فلاديميرلوتسكي ص٦

أدت إلى نشوبها، والظروف التي أشعلت فيما بعد نار الثورة ضد الفرنسيين في سورية عامة.

أسباب ثورة عام ١٩٢٥

نجمل أهم أسبابها في النقاط التالية:

١. المظالم التي ألحقها المستشار الفرنسي "كاربيه" في الجبل، وسياسته التعسفية القمعية، ومحاولته تغيير بعض العادات والتقاليد، بحيث دفعت دروز الجبل إلى حافة الانفجار الثوري.

٢. استغلال الحاكم المذكور المدارس التي أسسها في الجبل كمراكز للتجسس على المواطنين، حتى أصبح الناس يدعونها "مملكة المعلمين".

٣. مضايقته آل الأطرش وآل الحلبي لأنهم كانوا من معارضيه، وإغلاقه دور زعماء الطرشان في السويداء، ومنع الأهالي من دخولها، ومن تشييع جنازة أحد أفراد أسرتهم، ومن إلقاء التحية عليهم.

٤. خنقه للحريات، وتقييده لحرية الصحافة، وحرية التجول والدخول والخروج إلى الجبل، وإدخال كثير من زعمائه السجن دون محاكمة، وتعريض بعضهم للضرب والتعذيب المادي والمعنوي، وحبسهم في غرفة مليئة بالفحم إمعانا في إذلالهم وتحقيرهم، وإخراج بعضهم من السجن لتكسير الحجارة في الطرقات العامة.

٥. مساندة المفوض السامي الجنرال(ساراي) لسياسة(كاربيه) هذه، ودعمها بكل الوسائل المادية والمعنوية.

٦. اعتقال (ساراي) بعض زعماء الدروز لمطالبتهم إياه بتطبيق بنود اتفاقية٤آذار ١٩٢١ المعقودة بين زعماء جبل الدروز وسلطات الانتداب الفرنسي.

٧. ومن الأسباب غير المباشرة لإعلان الثورة على الفرنسيين اختطاف أدهم خنجر اللبناني الأصل من بيت سلطان الأطرش

الذي لجأ إليه مستجيراً من ملاحقة الفرنسيين له لمحاولته اغتيال الجنرال(غورو) في ٢٢ تموز ١٩٢١ م.

مما أغضب هذا الخرق السافر لحرية تقاليد الإجارة سلطان باشا الأطرش،[1] وأبرق إلى المفوض السامي يطالبه بإطلاق سراح ضيفه قائلا:

"إن موتي وإهانة ضيفي سيان في عوائد السوريين، رجل يطلب مني أن أتوسط له عفواً من فخامتكم وحلمكم إنقاذاً لشرفي ووطني".[2]

ولما لم تستجب السلطات الفرنسية لطلبه هذا، قرر أن يقطع الطريق على أية محاولة لنقل ضيفه السجين إلى دمشق، وأقام سلطان مع عشرة من رجاله كميناً في قرية الثعلة غرب السويداء لهذه الغاية، وعندما أرسلت السلطات الفرنسية ثلاث مصفحات لنقل السجين هاجم سلطان ورفاقه المصفحات الثلاث وانقضوا عليها وهي تطلق عليهم نار رشاشاتهم دون أن يتراجعوا، وتمكنوا من تحطيم مصفحتين، أما المصفحة الثالثة فقد تمكنت من الهرب وهي تطلق النار، وبلغ السلطات الفرنسية خبر هذا الحادث، فأرسلت طائرة إلى السويداء نقلت السجين جواً إلى دمشق، ومنها إلى بيروت، وأمر الجنرال غورو بتجريد حملة تأديبية على سلطان ورجاله، وضربت الطائرات الفرنسية قرية سلطان وهدمت بيته، وأخذت تضرب كل قرية تمر بها، مما أدى إلى قتل عدد من الأبرياء والعزّل، واضطر سلطان أن يلجأ إلى شرقي الأردن، وأخذ من وقت لآخر يشتبك مع

---

[1] أبو صالح ومكارم، تاريخ الموحدين السياسي في المشرق العربي ص٢٢٢-٢٢٣ بتصرف.

[2] نص البرقية -محي الدين السفرجلاني- تاريخ الثورة السورية ص٥٥-٥٨.

القوات الفرنسية في القرى الجنوبية، وهكذا وقعت أول انتفاضة درزية ضد الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٢م، وشكلت حلقة من سلسلة تلك الانتفاضات الوطنية التي شهدتها سوريا ضد الفرنسيين، ومهدت بالتالي لثورة الموحدين الدروز عام ١٩٢٥م.

اندلاع الثورة:

كان سلطان باشا الأطرش أول من أعلن الثورة على الانتداب الفرنسي إثر تلك الحادثة، وانطلق سلطان برجاله من قريته "القريَّة" جنوب السويداء، متجهاً نحو قرى جنوب جبل العرب، حيث انضم إليه عدد من الثوار إلى أن وصل إلى صلخد، ومعه حوالي مائتين وخمسين فارساً هاجموا سرايا الحكومة، ومقر البعثة الفرنسية وأحرقوهما، ولكن السلطات الفرنسية لن تتأخر عن إرسال قواتها من أجل القضاء على الثورة في مهدها، وكلفت أحد ضباطها القومندان "نورمان" للقيام بهذه المهمة، وخرج "نورمان" على رأس حملة عسكرية متجهة إلى صلخد، وفي منتصف الطريق بين صلخد والسويداء، وفي مدخل قرية الكفر كانت المجابهة الأولى بين الثوار الدروز والحملة الفرنسية.. وشنَّ هجوماً مباغتاً على الفرنسيين في وضح النهار، وانقض مع الثوار على جنود الحملة، وكان هجومهم هذا صاعقاً، وبالسلاح الأبيض، بحيث لم يسمحوا للجنود الفرنسيين باستعمال رشاشاتهم الحديثة، وتحولت بنادقهم إلى عصي خشبية، ولم تدم المعركة أكثر من نصف ساعة حتى أبيدت الحملة الفرنسية، وقتل قائدها، ولم ينجح من جنودها إلا القلائل.[١]

وقد عقب قائد الثورة سلطان باشا الأطرش على نتائج هذه المعركة في مذكراته فقال:

---

[١] الكتاب الذهبي لجيوش الشرق الأوسط ١٩١٨ـ١٩٣٦ ترجمة إدوار البستاني ص١٣٨ـ١٤١

"وإذا كان نصرنا المؤزر في هذه المعركة قد أحيا الأمـل، وقـوى الثقة في نفوس ثوارنا، فانه ولا شك قد أعطى للفرنسـيين أيضـاً صورة حية ملموسة عن أصالة حركتنا وعمق أثرها فـي نفـوس الأوساط الشعبية، وأثبت لهم شيئاً من قدرتنا على مواجهة قواتـهم النظامية، وأسلحتهم النارية الفتاكة، أما على الصعيد الوطني، فقـد بعث هذا النصر الروح النضالية من جديد في مناطق عديـدة مـن سوريا ولبنان، ومهد الطريق لنشر الثورة فيها بعد أن قدم لمواطنينا دليلاً قاطعاً على أن أبناء الجبل على اختلاف هيئاتهم وطبقاتـهم لا يتخلون بسهولة عن مبادئهم الوطنية، ورسـالتهم القوميـة مـهما تظافرت على مجتمعهم وحاولت تشويه سمعتهم قوة الشر والفسـاد في داخل سورية وخارجها".[1]

وقد وصف الدكتور عبد الرحمن الشهبندر هذه المعركة وصفاً حيـاً ومعبّراً في مذكراته، حيث شاهد الواقعة بنفسه على الطبيعة، ودون مشاهدته هذه من موقع القتال فقال: ".. الموقع الذي حدثـت فيـه الملحمة من أوعر وأحصن ما رأت عيني، فقطع الصخر مصطفـة فيه بشكل مستدير اصطفافاً يكاد يكون مصطنعاً، وكل واحدة منـها متراس قائم بنفسه، ومؤلّفٌ مجموعُها شكل بحيرة جافة لا قِبل لأحد بمفاجأتها أو بمهاجمتها اللهم إلا من أوتي إيمـان الأنبيـاء وعـزم الجبابرة.

"انقسم الدروز الأشاوس بقيادة سلطان باشا إلى قسمين، وخفّوا مـن جهتين متقابلتين، وكان منظرهم وهم يقتحمون نيران البنـادق مـن أرهب المناظر".

---

[1] سلطان باشا الأطرش، مذكراته المخطوطة ص١٠١- صياغة الأستاذ يوسف الدبيسي.

"ومن أراد أن يقدّر حرارة الحماسة التي كانت تغلي في صدورهم فحسبه أن يتذكر أنهم قطعوا تلك المسافة الشاسعة من صرخد إلى الكفر عدواً، ولم يقفوا إلا حيث أوردوا خيولهم ماءً في منتصف الطريق، وأوردوا سيوفهم دماءً في منتهاه".

"لم يمض عشرون دقيقة على الملحمة بالسلاح الأبيض حتى قضوا على الحملة قضاءً مبرماً، فلم يفلت منها إلا بضعة أفراد استطاعوا نقل خبر الكارثة إلى "تومي مارتن" في السويداء، ولم يزد عدد المجاهدين على المئتين، وتجاوز عدد الجنود على المئتين والستين، بينهم عدد كبير من الضباط الفرنسويين، وكانت خسائرنا أربعين شهيداً منهم مصطفى بك الأطرش شقيق سلطان باشا، وإسماعيل بك الأطرش نجل جاد الله بك".

"إن الداخل اليوم إلى هذه البحيرة (أوائل أيلول سنة ١٩٢٥) وقد جفّت دماؤها يرى فيها أرجل الجنود مستترة وراء الصخور، ومن هنا وهناك جماجم تبصبص وهي مكشّرة عن أنيابها كأنها منكمشة من هول الضربة التي نزلت بها، ويؤكد الثقات

"أن الجمجمة التي على الباب هي جمجمة الكابتن "نورمان"، فكأنها تحرسها من سباع البر وطيور الفلا..، ويجدر بنا أن نذكر المراسلات الرسمية التي أطلعنا عليها(المسيو كيريلس) في جريدة(الإيكو دي باري) دلت على أن "توماس مارتن" كان واسع الاطلاع، شديد التشاؤم، عارفا بالدماء التي ستسيل في الجبل".[1]

معركة المزرعة ٢-٣ آب ١٩٢٥

هي التي عرفت في تاريخ الثورة السورية وعلى ألسنة الخاصة والعامة باسم حملة(ميشو–Michaud)، وسارت مسير الأمثال، وطارت

---

[1] ظافر القاسمي: وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى–دار الكتاب الجديد–بيروت–ص١١٧-١١٨.

شهرتها في الآفاق، وشككت الأوساط العسكرية في قـوة الجيش الفرنسي ونظامه وكفايته، في وقت كان الناس فيه يعتقدون بأن فرنسا تملك أكبر جيش بري في الدنيا، وكانت فرنسا تباهي بذلك أية مباهاة، وما من شك في أن القوتين، قوة الدروز وقوة فرنسا لم تكونا متعادلتين، ولكن لحكمة أرادها الله كتب النصر المبين فيها للمجاهدين على شكل يكاد يكون أقرب إلى الأساطير منه إلى الحقائق، ففقدان التعادل في القوى معروف وواضح، ولكن هناك ما كان الدروز يملكونه، وكان الفرنسيون يفتقدونه، ذلك الإيمان المطلق، والشجاعة التي ما بعدها شجاعة.

ولم تكن القيادة الفرنسية تعتقد أنها يمكن أن تهزم، فلم تبال بأي خطر يأتيها من المجاهدين، وكانت واثقة بأن ما بين يديها من القوى كاف لحمايتها، ولرد أي هجوم يمكن أن يقع عليها، فاستسلمت إلى هذه الثقة، واطمأنت إلى هذا التفوق، فكان أن منيت بشر هزيمة، وتفككت أي تفكك.[1]

وقائع هذه المعركة التاريخية ومراحلها يرويها قائدها وفارسها المجلي الذي خاض غمارها بنفسه مع الثوار الأبطال، المغفور له سلطان باشا الأطرش، في مذكراته التي لا تزال مخطوطة ولم تر النور حتى الآن، وما نشر منها في مجلة بيروت المساء ليس إلا جزءا بسيطا من المذكرات الكاملة، ولكنا نوجز للمعركة ملخصا كما رواها بلسانه الشخصي.[2]

".. جلنا جولتنا في بعض قرى المقرن (المنطقة) الغربي، فتقرر على إثرها أن نعقد اجتماعا عاما في ٣٠ تموز بجوار نبع "قراصة"[3] لدراسة الموقف بصورة عامة، والبحث في مسألة

---

[1] المصدر نفسه ص١٢٠

[2] سلطان الأطرش ــ المذكرات المخطوطة ــ ص١٠٣ وما يليها..

[3] قرية تحمل اسم النبع المذكور، تقع بين قريتي نجران وتعارة.

الحشود الفرنسية في محطة إزرع خاصة.. ولما حان موعد الاجتماع أخذت بيارق القرى[1] تتوارد إلى المكان من مختلف أنحاء الجبل.. وعلى إثر ذلك اختليت بأعيان الثوار واتخذنا على جناح السرعة وبالإجماع القرارات التالية:

١.متابعة الثورة، والوقوف في وجه الجيش الفرنسي الزاحف لمنعه من الوصول إلى السويداء.
٢.اعتبار القوات المحاربة التي حضرت الاجتماع نواة الجيش الوطني المنوي إعداده وتنظيمه في المستقبل القريب.
٣.اتباع تقاليد الجبل الحربية المتوارثة بجعل كل بيرق قرية وحدة حربية كاملة، يؤمن كل محارب فيها بنفسه وعلى نفقته الخاصة سلاحه وذخيرته ومؤونته، وأن تكون قيادة هذه الوحدة مرتبطة مباشرة بقيادة الثورة العامة.
٤.فتح جبهة حربية تمتد على جانبي طريق إزرع ـ السويداء، من قرية تعارة، ثم قراصة شمالا حتى قريتي الدور وسميع جنوبا.

ولم تلبث قواتنا أن انتشرت في المواقع المعينة لها، على خط متعرج يبلغ طوله ثمانية كيلومترات تقريبا، أما مقر القيادة فقد اتخذته في قلب الجبهة، وسارعت في إرسال قوة استطلاعية لتكشف لنا حركة العدو، وتقدر عدد قواته المتقدمة، وأنواع أسلحته ومعداته..

وفي صبيحة اليوم التالي ٣١ تموز، كانت بداية المعركة الأولى بيننا وبين الحملة الفرنسية، إذ اصطدم جناحنا الأيمن بطلائعها المتقدمة في هذه الجهة، وتمكن من اقتناص بعض ضباطها وجنودها في الدقائق الأولى من الاصطدام، ثم انقض عليها فرساننا

[1] جمع بيرق، وهو الراية الحربية، أو العلم المخصص لكل قرية.

والتحموا معها، واستمر القتال العنيف دائرا بينهم وبينها حتى وصلت في تقهقرها ضحوة النهار إلى مشارف بصر الحرير.

وفي اليوم الأول من شهر آب عام ١٩٢٥ أخذت قوات العدو تتقدم بسرعة كبيرة، فطلبت من مواقعنا عدم إطلاق النار عليها إلا بعد وصول آلياتها المدرعة إلى مفرق طريق الدور ـ قراصة، وعندئذ حمي وطيس المعركة، فراحت الطائرات تحوم فوقنا، وتقذفنا بقنابلها الكبيرة التي زلزلت الأرض تحت أقدامنا، وجعلت الذعر يدب في خيولنا، وكانت قذائف مدفعية الميدان تتناثر بغزارة على خطوطنا، فتحيل متاريسنا ركاما، وفي الوقت نفسه بدأت خيالة العدو تضغط بقوة هائلة على جناحنا الأيسر، جنوبي قرية الدور، بعد أن جعلت من تل الخروف[1] منطلقا لغاراتها الكاسحة.. ، وكان العدو قد نشر في السهل المنبسط، شرقي (تل الخروف) وجنوبه عددا كبيرا من القناصة ورماة الرشاشات الذين تواروا خلف متاريس حصينة مموهة، في حين شددت فصائل من خيالته واكتسحت مواقع خيالتنا ولاحقتهم حتى قرية (سميع)، ثم ارتدت على أعقابها بعد أن تكبدت بعض الخسائر، ولكنها اتجهت في تراجعها، وحسب خطتها المرسومة، نحو مواقع القناصة ومرابض الرشاشات، حيث وقع فرساننا في هجومهم المعاكس بشرك تلك الكمائن، وانصب عليهم الرصاص كانصباب المطر، فسقط منهم نحو ثلاثين شهيدا دفعة واحدة.. وبذلك ضعفت المقاومة في جناحنا الأيسر، وانشلت الحركة الهجومية فيه، مما أتاح الفرصة لقيادة الحملة أن تستغل انتصارها هذا بسرعة فائقة لفتح ثغرة واسعة في قلب جبهتنا، ينفذ منها الجزء الأكبر من قواتها، ويتابع طريقه باتجاه السويداء، وقد بدأت هذه العملية بنيران المدفعية الثقيلة التي مهدت

---

[1] يقع غربي الدور، وقد سميت الواقعة باسمه.

للمدرعات أن تقوم بدورها الفعّال، ثم أخذت كوكبات الخيّالة وسرايا المشاة، وعربات النقل تتقدم في الثغرة المفتوحة..

لم يكن بوسعنا، بعد أن أصاب جبهتنا ذلك التصدع والانهيار إلا أن نترك الجناح الأيمن من قواتنا متمركزاً في مواقعه الأولى، على أمل أن نشد أزره ببقية القرى المجاورة، وأن ننسحب بالقوات الباقية أمام الجيش الفرنسي الجرار، لنتخذ لأنفسنا مواقع جديدة نحمي بها طريق السويداء، ريثما تصل النجدات من قرى أخرى كثيرة لم يشترك معظم سكانها بالثورة بعد.

وعند وصولنا إلى نبع المزرعة التقينا بنفر من المجاهدين، فأفادوا بأن طريق السويداء ــ المزرعة قد سدّها بعض أهالي السويداء، وأنهم أقسموا على عدم التزحزح من مواقعهم ولو مرَّت آليات الجيش الفرنسي على أجسادهم!..

أنهكنا الجوع والتعب، وكانت الشمس قد أخذت تميل نحو المغيب، فصار البعض يقترح علينا مغادرة المكان، والبعض الآخر يصر على التمركز فيه إلى أن تأتينا النجدات، وأخيرا غلب الرأي الأول بعد أن أجمع عليه معظم الرفاق، فانتقلنا إلى قرية سُليم[1]، حيث وجدنا من أهاليها كل تكريم وحسن استقبال.

وفيما كنا جالسين مساءً.. وإذا بنا نسمع جلبة خيولٍ تدخل القرية، وصيحاتِ فرسانٍ تقول: البشرى لنا !.. البشرى لنا !.. فهب الناس من حولنا، وخرجوا لاستقصاء الخبر، واستقبال القادمين، وبعد لحظات أُدخل علينا بعض المجاهدين، فبادرنل أحدُهم بقول مؤداه: "تعلمك يا باشا، أن أهالي المقرن الغربي، ومن بضيافتهم من المجاهدين قد قاموا بهجوم موفّق على مؤخرة الجيش الفرنسي،

[1] قرية على طريق السويداء ــ دمشق ــ لا تبعد عن أرض المعركة أكثر من كيلومترات معدودة.

فذبحوا عدداً من ضباطها وجنودها، واستولوا على جميع أسلحتها وصناديق ذخائرها ودوابها، وعطلوا عربات النقل، وأحرقوا بعض السيارات، وعادوا إلى قراهم سالمين غانمين.

دبت الحماسة في نفوس الحاضرين، وتعالت الهتافات بحياة الثورة والثوار، تفاءلنا بالخير، وازداد يقيننا بأن هنالك قدرة ربانية أعانت ثوارنا على إنزال تلك الضربة القاصمة بالعدو..

أوفدتُ من فوري (المفازيع) أي الرسل إلى السويداء وقنوات وإلى القرى ليذيعوا الخبر السار على الأهالي، ويستنفروا المقاتلين من جديد، ويضربوا لهم موعداً بالمزرعة في الحال !.. في حين بقيت أنتظر أخباراً مفصلة عن ذلك الهجوم من إخواننا بالمقرن الغربي، وقد وافوني بها قبل انقضاء الهزيع الثاني من الليل، فأفادت بأنهم بعد أن تراجعوا وابتعدوا عن طريق العدو المتقدم نحو المزرعة، راحوا ينتظرون فرصة مؤاتية للانقضاض على مؤخرة قواته، لعلهم يصيبونه بضربة موجعة يقطعون بها طريق مدده، وما هي إلا دقائق معدودة حتى انطلق عدد من أبطالهم[1].. فاصطدموا بمجموعة يتكون منها آخر القسم الأول من الجيش الفرنسي المتقدم، وقتلوا عشرة من جنوده، وغنموا بعض البغال المحملة بالأسلحة والذخائر.. وانقض عدد من الثوار الآخرين بدورهم على مجموعات أخرى من فصائل الجند.. فخاضوا معركة عنيفة حققوا فيها نصراً مؤزراً، وغنموا كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد الحربي.. وساقوا معهم عشرات الأسرى.. وقام رجالُ عددٍ من القرى المجاورة لأرض المعركة[2] بهجمات مماثلة موفقة..

أما في السويداء، فعلى الرغم مما كان سكانُها يتحملونه من أخطار المدفعية الثقيلة المصوَّبة على أحيائهم وبيوتهم باستمرار من القلعة المحاصرة.. فقد هبوا هبة رجل واحد لدفع الخطر الجديد المحدق

---

[1] أغفلنا أسماء أولئك الأبطال اختصارا للبحث.

[2] لم نذكر أسماء تلك القرى اختصارا أيضا.

بمدينتهم، وقرروا استئناف القتال والسير في الليلة لمواجهة الحملة الفرنسية ذاتها.. وما إن بلغوا مشارف المزرعة حتى أخذوا يتأهبون لكبس العدو ومنازلته قبل أن يطلع عليهم النهار.

أما نحن فقد تحركنا من(سليم) عند بزوغ الفجر، يوم الاثنين ٢ آب عام ١٩٢٥، وحين وصولنا إلى المزرعة وجدنا الحملة الفرنسية في حالة تأهب واستعداد لتستأنف زحفها نحو مدينة السويداء، وفي الوقت نفسه رأينا(بيرق) السويداء قد وقف مواجهة مع أرتال الحملة المستنفرة في سهل المزرعة وعلى الطريق العام.. ثم أخذت بيارق القرى تصل تباعا وتتوزع في جبهة طويلة منحنية حول المزرعة..

وقبل أن تطلع الشمس، بدأ بيرق السويداء هجمته الصاعقة الأولى، فاخترق خطوط العدو من جهة القلعة القديمة، والتحم مع مشاته وبعض مصفحاته التحاما مريعا.. ثم أخذت البيارق الأخرى تضع ثقلها تباعا، وتوسع الثغرة في ميدان المعركة، وتنازل الجنود في خنادقهم ومرابض رشاشاتهم بالسلاح الأبيض في أكثر الحالات..كانت الآليات المدرعة تجول وتصول أمام الخنادق والاستحكامات التي باشر العدو بحفرها إثر وصوله إلى المزرعة في الليلة الفائتة، وتمطرنا بقذائفها ورصاص رشاشاتها بصورة متواصلة، كما ازداد نشاط المدفعية التي كانت تقذفنا بحممها من مرابضها الواقعة خلف خطوط العدو، وكذلك الطائرات التسع التي بدأ تحويمها فوق مواقع الثوار، وقصفها لمراكز تجمعهم منذ انبثلق الفجر، ثم قصرت نشاطها على التحويم المنخفض بسبب الالتحام الشامل مع جنود الحملة، ولكنها كانت تستأنفه بسرعة فائقة كلما شهدت مجموعة من الثوار قادمة إلى ميدان المعركة.

كنت أسمع من مكاني، وأنا أراقب سير المعركة، أصوات النخوة الهادرة تنطلق من حناجر المجاهدين فتقول:

"وين راحوا النشاما ! عليهم !.. اليوم ولا كل يوم..[1]

وكان الشبان يتربصون للمدرعات، ويكمنون لها، حتى إذا اقترب منها قلبوها بأكتافهم، وقتلوا سدنتها بخناجرهم ومسدساتهم وأحرقوها.

وعند الضحى أوعزت إلى فريق كبير من فرساننا بتغذية الهجوم، فانقضوا على الجناح الأيمن، وفتكوا بجنوده فتكا ذريعا..

وهنا لاحت لحظة الهجوم على قلب العدو ومراكز الدفاع الرئيسية، فاندفعت قوتنا الضاربة من جديد وهي بيرق السويداء، إلى ميدان المعمعة، يساندها في الميمنة مشاة البيارق، وفي الميسرة فرسانها، فتصدعت بهجماتها الكاسحة جبهة العدو، وتمزقت صفوفه، وانشلت حركته، ودبت الفوضى في مختلف مواقعه، وبذلك فقدت قيادته كل أمل بأخذ المبادهة من أيدينا في تسيير دفة المعركة، كما عجزت عن تنفيذ أية خطة للتراجع المنتظم..

ولم تجد البطولة الخارقة التي كان ضباط الحملة يبدونها، وهم ينطلقون من مكان إلى آخر ببديهتهم لتشديد عزائم الجند وحثهم على الثبات في مواقعهم، وبخاصة عندما حاول بعضهم الصمود في مرابض الرشاشات والمدافع التي قتل رماتها وسدنتها، وظلوا يرموننا بنيرانها الكثيفة حتى تناولتهم يد الفناء، وهم في أماكنهم ثابتون، أو لما نازل فريق من فرسانهم فرساننا بالسلاح الأبيض، وأبدوا من المهارة في الفروسية وأساليب الكر والفر ما يدعو إلى الدهشة ويثير الإعجاب.. ولكنهم وجدوا أمامهم في الوقت نفسه ــ وباعتراف المنصفين منهم ــ أبطالا لا يشق لهم غبار..

هؤلاء وغيرهم من فرسان بني معروف وأبطالهم قد برهنوا للفرنسيين أن في عرب القرن العشرين من لا يزال يجيد استعمال السيف كما كان يستعمله الأجداد في معارك: ذي قار، واليرموك،

---

[1] والمعنى أين ذهب أهل النجدة والنخوة اهجموا على الأعداء، يجب أن نخلد ذكرى هذا اليوم دون غيره من الأيام.

وحطين، وأثبتوا للجنرال غورو أن ثأرهم لمعركـــة ميسـلون لــم يستمهلوا به طويلا أحفاد الصليبييـــن، وأن جوابــهم علــى قولتــه الشهيرة أمام ضريح صلاح الدين قد كان حاسما في ذلـــك اليــوم العظيم..

لقد اندحرت الحملة الفرنسية اندحارا كاملا، وتبعثرت جثث قتلاهــا وهياكل مدرعاتها وآلياتها المختلفة، وأسلحتها الثقيلـــة، واســتطاع العديد من ضباطها وجنودها أن يفلتوا من الأسر، على الرغم مـــن ملاحقة خيالتنا لهم، فوصلت آخر أفواجهم إلى محطة إزرع مســاء ذلك اليوم وهي خائرة القوى، شاردة اللب والتفكير..

لقد اختلفت الروايات وتناقضت في ذكر عدد الجنود الذيــن كــانت حملة "ميشو" تتألف منهم اختلافها وتناقضها فــي ذكــرى عوامــل هزيمتها وأسباب اندحارها..ولا أرى مانعا من أن أذكر مـــا كـــان يؤكده لنا بعض الأسرى من ضباط الحملة نفسها الذين قالوا بأنـــها كانت تتألف من ثلاثة عشر ألف جندي.. وإذا كنا لم نتمكـــن مــن إحصاء عدد قتلى هذه الحملة وجرحاها بالضبط، وقد تركنا ذلك في ذمة التاريخ أيضا، فإنه لمن الواجب أن نثبت هنـــا الحقيقـــة عمـــا يخصنا، ويدخل في نطاق معرفتنا، أي عدد الذين استشـــهدوا مـــن ثوارنا، وكتبوا في سفر أمتنا وتاريخ نضالها أروع صفحات الجـهاد وأبقاها على الدهر، وهو البالغ/٣٤١/شهيدا، عدا الجرحى والذيـــن أصبحوا بعاهات دائمة، وذلك من مجموعـــة أولئـــك المجـــاهدين الأشاوس الذين خاضوا هذه المعركة، وعددهم لا يتجـــاوز أربعـــة آلاف مقاتل من مختلف قرى الجبل.. وذلك ما جعلني أقـــرر مـــن فوري إرسال رسائل مستعجلة إلى دمشق، وقعها معي عـــدد مـــن الزعماء، خاطبنا فيها أمثال نسيب البكري، والدكتـــور الشـــهبندر وغيرهما من زعماء البلاد وقادة الحركة الوطنية، شـــارحين لـــهم أوضاعنا الدقيقة الراهنة، ومذكرين إياهم باتصالاتنا السابقة بهم كي

يتخذوا التدابير اللازمة للمشاركة بالثورة الوطنية والنزول إلى ميدان الجهاد المقدس في أسرع وقت ممكن.

وبعد هذه المعركة الضارية التي أسفرت عن هزيمة ساحقة للفرنسيين، سارع قادتهم إلى أسلوب المفاوضات مع الثوار، للتخفيف من وطأة القتال على جنودهم من جهة، ولكسب الوقت لإعادة تجميع قواتهم واستقدام المزيد منها من فرنسا لاستئناف القتال ضد الثوار من جهة ثانية، وتكشفت أيضا عن أسلوب للمناورة والمخادعة لإعادة توزيع قواتهم على جبهات القتال، ولما فشلت مفاوضاتهم ولم تحقق الشروط المطلوبة التي أمليت عليهم، استؤنف القتال من جديد، ووجه القائد العام للثورة سلطان الأطوش نداءه إلى كافة المواطنين في القطر العربي السوري لحمل السلاح، والنهوض يدا واحدة لطرد المستعمر الفرنسي من سوريا كلها.

ونورد على سبيل المثال أحد هذه البيانات التي تبرهن على الإخلاص والحس الوطني الصادق في قطع الطريق على أهداف المستعمرين لجعل الوطن الواحد ممزقا إلى دويلات تحكمها العشائرية والطائفية، ولتكريس الإقليمية الضيقة بين أبناء البلد الواحد.

البيان الأول: في ٢٣ آب ١٩٢٥ بعنوان: "إلى السلاح إلى السلاح" وهذا نصه:

"يا أحفاد العرب الأمجاد ! هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم، والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم، هذا يوم انتباه الأمم والشعوب، فلننهض من رقادنا، ولنبدد ظلام التحكم الأجنبي عن سماء بلادنا، لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال، فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد أن سكت القلم، ولا يضيع حق وراءه مطالب.

"أيها السوريون، لقد أثبتت التجارب أن الحق يؤخذ ولا يعطى، فلنأخذ حقنا بحد السيوف، ولنطلب الموت توهب لنا الحياة.

"أيها العرب السوريون !
تذكروا أجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومي، تذكروا أن يد الله مع الجماعة، وأن إرادة الشعب من إرادة الله، وأن الأمم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغي، لقد نهب المستعمرون أموالنا، واستأثروا بمنافع بلادنا، وأقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد، وقسمونا إلى شعوب وطوائف ودويلات، وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير، وحرية التجارة والسفر حتى في بلادنا وأقاليمنا.
"إلى السلاح أيها الوطنيون، إلى السلاح تحقيقا لأماني البلاد المقدسة، إلى السلاح تأييدا لسيادة الشعب وحرية الأمة، إلى السلاح بعد ما سلب الأجنبي حقوقكم، واستعبد بلادكم، ونقض عهودكم، ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية، وتناسى الأماني القومية.
"نحن نبرأ إلى الله من مسؤولية سفك الدماء، ونعتبر المستعمرين مسؤولين مباشرة عن الفتنة، يا ويح الظلم، لقد وصلنا من الظلم إلى أن نهان في عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم أجنبي محروم من المزايا الإنسانية، بآخر من بني جلدته الغاصبين فلا يجاب طلبنا، بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج.
"إلى السلاح أيها الوطنيون، ولنغسل إهانة الأمة بدم النجدة والبطولة، إن حربنا اليوم هي حرب مقدسة، ومطالبنا هي:

١. وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما.
٢. قيام حكومة شعبية، تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون أساسي على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة.
٣. سحب القوى المحتلة من البلاد السورية، وتأليف جيش محلي لصيانة الأمن.

٤. تأييد مبدأ الثورة الفرنسوية وحقوق الإنسان في الحرية والمساواة والإخاء، إلى السلاح، ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها أجدادنا من قبلنا.

إلى السلاح والله معنا والإنسانية، ولتحي سوريا حرة مستقلة.(١)

سلطان الأطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

والجدير بالذكر أنه بعد فشل المفاوضات بين الفرنسيين والثوار، تقدم إلى سلطان الأطرش وضيوفه الدمشقيين صحفي ألماني اسمه (فيسل) وتساءل عن سبب فشل المفاوضات وأمور أخرى تهم الثوار فأجابه القائد العام سلطان باشا قائلا:

"إننا لا نرضى أبدا بحكم ذاتي للدروز، إننا لا نثق بالفرنسيين إطلاقا، ونعلم أن ما يعدوننا به في هذه اللحظة العصيبة بالنسبة لهم، لن يفوا به غدا، ينبغي أن نحرمهم من إمكانية إلحاق الضرر بنا، لذا لا يمكننا الاكتفاء بالنضال من أجل جبل الدروز وحده، فلن يهدأ لنا بال ما لم تتحرر سورية بأكملها، إننا نطالب باستقلال سوريا بأسرها، إننا نرفض العودة إلى الظروف التي كنا نعيش في ظلها قبل الانتفاضة، من الأفضل الموت بشرف من الحياة في ذل، إننا نقاتل الآن من أجل حرية سورية كلها، إننا نستجمع الآن قوانا، وسوف تبدأ معارك جديدة بعد أيام معدودات، وعندما سيحصل

---

(١) سلطان الأطرش ـ المذكرات المخطوطة، ص١٣٣-١٣٤

ونشرت هذه الوثيقة في كتاب فلاديمير لوتسكي ـ الحرب الوطنية ص١٨٦-١٨٧ ، وفي كتاب حنا أبي راشد (جبل الدروز) ص٢٨٦-٢٨٧ ، وفي كتاب أمين سعيد (الثورة العربية الكبرى) ج٣ ص٣١٠-٣١١

الفرنسيون على نجدات جديدة وسيبدأون الهجوم علينا، ستكون حملتهم هذه إنذارا لكي تنتفض سوريا بأسرها[1]."
وفي نهاية الحديث قال أحد أعضاء الوفد الدمشقي للصحفي الألماني:"إن هذه الانتفاضة ليست سوى بداية الثورة الكبرى[2]."
هذا ولم تقتصر نداءات سلطان الأطرش على أبناء الوطن وحثهم على حمل السلاح في بياناته العسكرية، والوقوف في وجه المستعمر الفرنسي، بل تجاوزت حدود البلاد، إلى الدول الكبرى، فرنسا وبريطانيا وإيطالية وأمريكا وعصبة الأمم(هيئة الأمم المتحدة الحالية).
وكانت نداءاته على صورة برقيات مستعجلة دخلت آذان الحكومة البرجوازية التي كان يعول عليها في مساندة نضاله البطولي ضد الظلم والطغيان، ولكن ما من مجيب وهذه إحدى برقياته التي بعث بها في الخامس من أيلول عام ١٩٢٥ إلى رئيسي وزراء إنكلترا وإيطاليا، ووزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية، ورئيس مجلس النواب الفرنسي، والصحف الأوربية الكبرى، جاء في هذه البرقية:
"الدروز وعموم السوريين يقاسون أشد آلام الحكم العسكري الفردي و الظلم الإفرنسي منذ الاحتلال بصورة تهدد السلام دائما وتشعل نار الأحقاد بين الشرق والغرب.
إن القوات الفرنسية التي تساق اليوم لخراب بلادنا وقتل الحرية ومبادئ حقوق الإنسان تضرب النساء والأطفال والشيوخ والقرى الآمنة، بقنابل طيارتها ظلما وبغيا، وهذا ما يضطرنا للدفاع عن كياننا وشرفنا حتى الموت، نحمل رجال فرنسا وحدهم مسؤولية

---

(1) فلاديمير لوتسكي- الحرب الوطنية التحريرية في سورية ١٩٢٥ - ١٩٢٧ - ترجمة د. محمد دياب ص ١٨٥.
(2) المصدر نفسه ص ١٨٦.

سفك الدماء البريئة نستنجد الأمم المتمدنة أن تبطل رق الشعوب بعد أن أبطلت رق الأفراد.[1] "

ظلت جميع النداءات الموجهة إلى الحكومات البرجوازية وعصبة الأمم "كصرخة في واد"، ولم تتخذ عصبة الأمم أية إجراءات لإيقاف العمليات العسكرية، تاركة الدولة المنتدبة، أي فرنسا، تتابع تنكيلها الدموي بسكان البلاد، ولم يتلق سلطان الأطرش أي رد من رؤساء حكومات الدول الإمبريالية على رسالته.[2]

وكان المستجيب الوحيد لنداءات زعماء الثورة السورية الشيوعيين الفرنسيين الذين قاموا بنشاط دعائي معاد للإمبريالية داخل القوات الفرنسية نفسها، ودعوا الجنود إلى التآخي مع السوريين.

وكتبت صحيفة "لومانتييه" نداءا إلى الجنود الفرنسيين هذا نصه:

"ينبغي أن يقتدي الجنود الفرنسيون بهذا التصرف الرائع للقوات الجزائرية في بيروت، فليعملوا من أجل السلام الفوري في سوريا، وليرفضوا أن يكونوا قتلة لإخوانهم خارج الحدود وأدوات للإمبريالية الفرنسية.[3] "

وتوجهت الصحيفة إلى الجنود الفرنسيين بالنداءات الآتية مرة ثانية:

"افرضوا بأنفسكم السلام الفوري في سوريا وفي المغرب! تآخوا مع الجماهير! إن الإمبريالية الفرنسية، طليعة الإمبريالية الأوربية، هي عدوكم الوحيد وليس سكان الريف في المغرب ولا السوريين."

وتركت هذه النداءات صدى حيا للغاية لدى جميع الشرفاء في صفوف القوات المسلحة الفرنسية، وعندما أرسل الفوج الخامس

---

[1] أمين سعيد "الثورة العربية.." ج٣ ص٣١٨ . ولوتسكي - الحرب الوطنية التحررية في سوريا ص٢٠٣

[2] لوتسكي ص٢٠٤

[3] L'HUMANITE "٢٥ . AUOT. ١٩٢٥.

والثلاثون في مطلع تشرين الأول من فرنسا إلى سوريا رفض مئة جندي وضابطان المشاركة في المجزرة السورية.[1]

شهود عيان يصفون آثار المعركة:

فمما قاله الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في مذكراته ص ٣٠ - ٣١ طبعة دمشق ١٩٣٣ واصفا ما شاهده بنفسه من آثار تلك المعركة:

"..وقد زرت ساحة هذه الملحمة مراراً، وحاولت أن أحصي عدد الجثث الملقاة فيها بالضبط، فلم أفلح لسعتها، وحسبي أن أقول: إنني مشيت(من عين المزرعة) إلى الطريق المعبّدة مغرّباً نحو ساعتين بين الجثث والعتاد الملقى على الأرض، فلم أنته منها، ورأيت خمس سيارات مصفحة محروقة وقد أمالها الدروز على جوانبها عند الهجوم بأكتافهم، وقتلوا سوّاقيها ومساعديهم بالمسدسات من كواها المرتفعة، وأن رؤية هؤلاء السواقين متعانقين ملتحمين تدل على هول ما لا قوه من المهاجمين.."

ثم يتحدث عن الجنود الفارين من القتال، ويصف وصولهم إلى محطة ازرع على لسان شاهد عيان من المسافرين فيقول:

"وقد وصفهم أحد المسافرين في المحطة، فقال: لا أدلَّ على الاختلال الذي طرأ على عقول هؤلاء في هذه الملحمة من رؤيتهم وهم يلقون بأنفسهم على القطار الذاهب إلى دمشق، فقد كانوا يتمسكون بالمركبات تمسك الغريق بنواتئ الصخور، وكثيراً ما كان الشبح منهم يتراءى عن بعد قادماً إلى المحطة ثم يختفي إما لخور في عزيمته، أو لضلاله الطريق، وكانت الضمائد على جراحهم، واللفائف على رؤوسهم، فيتوهم المرء أنهم أهل مستشفى فروا منه لحريق أصابه."

---

[1] لوتسكي المصدر نفسه ص ٢٠٦ -٢٠٧.

ويصف المؤرخ الشهير منير الريس الثورة السورية الكبرى في كتابه الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي ص١٧٨-١٧٩ فيقول:

"وأذكر أن صحفيين ألمانيين كانا ضابطين في الجيش الألماني، زارا جبل الدروز بطريق عمان أثناء معارك الثورة السورية الكبرى، وطلبا من القيادة السماح لهما بارتياد ساحة المزرعة التي نشبت فيها المعركة، فصرحا بعد عودتهما إلى السويداء بأن ظفر الدروز ومصرع الألوف من الجيش الفرنسي بالأسلحة البدائية التي كان يحملها الدروز أمر ليس له مثيل في الثورات التي نشبت في مختلف أنحاء العالم ضد الجيوش النظامية، فالجيش النظامي بقيادة المارشال "ليوتي" خسر في المغرب الأقصى أكثر من ثلاثين ألف جندي.. ولكن الأمر الذي يكاد لا يصدقه العقل البشري أن يستطيع الدروز بالبنادق العتيقة والسيوف والمناجل أن يستولوا على المدرعات المجهزة بالمدافع والرشاشات، ويحطموها ويحرقوها، فتقف في ساحة المعركة شاهدة على بطولات ومآثر لم يعرف تاريخ الثورات من قبل لها مثيلا.."

وبعد هذا الانتصار المؤزر في معركة المزرعة حاول الفرنسيون بما تبقى لهم من قوة منع امتداد الثورة إلى سائر المناطق السورية، أو على الأقل تأجيلها، معتمدين التضليل في رواياتهم عن المعارك، ضاربين حصارا إعلاميا على المناطق التي يتواجدون فيها، معتمين على انتصارات الدروز الباهرة، بيد أن محاولاتهم فشلت، وما لبثت الثورة أن امتدت إلى حماة ودمشق والغوطة وحمص والنبك والقلمون والإقليم في سوريا، واخترقت الحدود اللبنانية لتصل إلى مرجعيون ووادي التيم، وجهات بعلبك وجبال كروم والضنية، فأصبحت ثورة سورية كبرى، وغدت شأنا عربيا.[1]

---

[1] د.حسن البعيني ــ جبل العرب، صفحات من تاريخ الموحدين الدروز ص٣٤٥

معركة المسيفرة:

والحديث عن معركة المسيفرة يعيدنا مرة أخرى إلى مذكرات المغفور له سلطان باشا الأطرش، حيث دوّن فيها أحداث المعارك كلها بتفاصيلها ودقائقها، وهي خير ما نعتمد عليه في توثيق الحقائق التاريخية التي عاشها جيل الثورة السورية الكبرى، وجابه العدو على أرض الواقع وجها لوجه، وقد سقط على أرض هذه المعركة وحدها حوالي مائتين وخمسين شهيداً.

يقول قائد الثورة السورية الكبرى سلطان باشا الأطرش في مذكراته عن معركة المسيفرة:[١]

"انتقلنا إلى بلدة "عرى" فقرية "سهوة البلاطة" لنتدارس الموقف الخطير المستجد على الحدود الغربية، ونتخذ حياله ما يجب من تدابير، وإذا بخيال قادم من قرية "الثعلة" يحمل كتابا إلينا من محمد عز الدين، جاء فيه ما مؤداه:

"تعلمكم بأن الجيش الفرنسي قد تمركز في قرية(المسيفرة) ونصب خيامه على البيادر والأراضي المجاورة لها، وحفر الخنادق، ومد الأسلاك الشائكة حولها، وقد وصلت طلائعه إلى تلول خليف" بحيث أصبحت تهدد قرانا الغربية بالخطر العظيم، وقد اشتبكت خيالتنا معها مساء أمس وصباح اليوم، نقترح مهاجمة المسيفرة واحتلالها فورا، قبل أن تقوى شوكة الفرنسيين فيها، وتغدو قاعدة حصينة لهم يشنون منها غاراتهم علينا."

لقد بدت لي فكرة الهجوم على المسيفرة مغامرة خطيرة، أو عملية انتحارية لا يجوز أن نقدم عليها، بل أدركت مغزى الخطة الجديدة التي كان الجنرال (غاملان) يتبعها بقصد استدراجنا إلى تلك المنطقة السهلية الواسعة المكشوفة، وتصفية الحساب العسير معنا هناك، بدلا من أن يعطينا الفرصة نفسها التي أعطانا إياها سلفه

---

[١] مذكرات سلطان الأطرش المخطوطة ص١٣٦ وما بعدها.

(ميشو) لمنازلة القوات الفرنسية في أراضينا الوعـــرة وهضابنـــا المنيعة التي لا بد له من اجتيازها وصولا إلى مدنية السويداء.
وبعد أن شاركني رأيي هذا كثير من الإخوان، كان فـــي جملتـــهم: الأمير عادل أرسلان، والدكتور شهبندر، ونسيب البكري، ونزيـــه المؤيد العظيم، وعقله القطامي ، وفؤاد سليم. تقرر الانتقـــال إلـــى قرية (كناكر) القريبة من الحدود الغربية، والواقعة علـــى امتـــداد المسيفرة شرقا، كي نجتمع بعدد أكبر من قادة المجاهدين وأصحـــاب الرأي منهم، ونتداول وإياهم بذلك الأمر الخطير، وهنا أيضا طغـــت الأفكار الحماسية، واستبدت بجمهور المحاربين، وبات الزحف العام على المسيفرة، في ظلمة الليل الحالك، أمرا لا مفر منه، لمباغتـــة العدو وإبادته، قبل أن تطلع علينا شمس اليوم السابع عشـــر مـــن أيلول.
مشينا بعد منتصف الليل بحذر شديد، ولكننا توقفنا قليلا عند (تلـــول خليف) لتصل بيارقنا المتأخرة، ويتكـــامل حشـــدنا، ثـــم اســـتأنفت جموعنا زحفها بعزيمة ثابتة وإرادة لا تقهر، يسير في مقدمتها مـــن أبطالنا الميامين حملة بيارق السويداء، وقرى الجبـــل، ومشـــاهير القادة: محمد عز الدين، نزيه المؤيد العظيم، سليمان نصار، وعمـــي عبد الغفار، وعدد كبير من شيوخ الدين أمثـــال الشـــيخين: ســـعيد الحناوي وسعيد الحجلي..
أما القوات الفرنسية، فقد كانت متحصنة في قلب القرية المطلة على السهول المحيطة بها، وفي المعاقل المنتشرة على أطرافها ومداخلها الرئيسية، تحميها الخنادق وخطوط الأسلاك الشـــائكة العريضـــة، والآليات المدرعة، ومرابض الرشاشات الكبيرة، ومدافع الميـــدان الثقيلة، وقد أجمعت الأخبار الموثوقة يومئذ أن عددها كان يقـــارب الألف وخمسمائة مقاتل، بقيادة الكولونيل (أندريا) في جملتهم جنـــود (الفرقة الأجنبية) ذات الشهرة العظيمة ببأسها وصلابة رجالها فـــي القتال، أما دليلنا في تلك المسيرة الليلية الصامتة، فـــهو المجـــاهد

الحوارني مصطفى أبو الحسنين، الذي كان يسير في طليعة قواتنا المتقدمة.
وفي نحو الساعة الثالثة والنصف صباحا، أشرفت مقدمتنا على خطوط العدو من الجهة الشمالية الشرقية،

.

٣ وإذا بعيارات نارية يطلقها العدو في الفضاء، فتعكر صفاء الليل وسكونه، ويعقبها في الحال شعاع تلك الأضواء الكاشفة التي ملأت الجو وبهرت عيوننا بنورها الساطع، لتفصح لنا عن ذكاء العدو ونجاح خطته في تحويل عنصر المباغتة لصالحه..
انفتحت نيران الأسلحة الخفيفة والثقيلة المعلمة نيرانها مسبقا، على جموعنا دفعة واحدة، قبل أن نتمكن من اتخاذ أي تدبير وقائي، وقد تغطى السهل المنبسط بأكثر من مائتي قتيل وجريح من رجالنا، في اللحظات الأولى من المعركة.
ومع ذلك فقد تمكنت طليعتنا من متابعة زحفها بجرأة عظيمة، فاخترقت خطوط العدو والتحمت معه في بعض المواقع، في حين استطاع فريق من فرساننا الأشداء أن يثبوا بجيادهم الأصيلة من فوق الأسلاك الشائكة، ويحتلوا الأقسام الجنوبية والشرقية من القرية، ويتحصنوا فيها. وعندئذ رأيت من الضروري أن أتراجع بالقوات الباقية إلى قرية أم ولد.
وفي الصباح تقدمت بمن معي إلى (تلول خليف) لنغير منها على القوات القادمة لنجدة العدو، ونخفف الضغط المتزايد على قواتنا الملتحمة مع العدو داخل القرية، فسيطرنا على طريق الكرك المسيفرة وعلى طريق درعا المسيفرة ثم شنت خيالتنا بقيادة أخي علي هجوما كبيرا على جناح العدو الأيسر بقصد تدمير مواقعه الرئيسية، وإخماد نيران أسلحته الثقيلة من هذه الجهة، ولكنها

فوجئت بسيل من القذائف الجوية التي تساقطت عليها من أسـراب الطائرات الحربية.[1]

فتراجعت بعد أن تكبدت خسائر كبيرة بالأرواح، وفقد عدد كبير من رجالها خيولهم أثناء ذلك الهجوم الفاشل، وقد واصل طيران العـدو غاراته علينا في ذلك النهار، ولكننا غالبا ما فوتنا الفرصة عليه فـي إصابة أهدافه، بنيران رشاشاتنا التي أتقنا استعمالها ضد الطـيران بدقة وإحكام متناهيين، بالإضافة إلى ما اشتهر به (قناصتنا) ببنادقهم العادية في هذا المجال!..

وفي الوقت نفسه كان أبطالنا داخل القرية يجهزون علـى القـوات الفرنسية المتمركزة في بعض بيوتها، ويبدون مـن البسـاطة فـي مواجهة الرشاشات المصوبة عليهم من داخل القرية وخارجها، فـي آن واحد، ما يعجز الإنسان عن وصفه، واستمروا على ذلك حتـى ثبتوا أقدامهم فيها، واستولوا على كميـات كبـيرة مـن الأسـلحة والذخيرة، والمواد الغذائية..

وفيما كنت أواصل الجهد لقطع مواصلات العدو مع مراكز إمـداده الرئيسية الثلاثة، الواقعة على الخط الحديدي، وهي: ازرع، خربـة غزالة، ودرعا، لنتمكن بعد ذلك من تشديد الحصار على مواقعه في المسيفرة، وبالتالي من القيام بهجوم صاعق آخر عليه، نحبـط بـه خطته في مواصلة زحفه إلى مدينة السويداء عـن طريـق هـذه السهول المنبسطة التي استدرجنا ببراعته إليها.. أجل، فيمـا كنـت أعد العدة لتنفيذ هذه الخطة قبل فجر اليوم التالي/١٨/أيلـول، وإذا بفرساننا ينسحبون عند المساء من القرية، ويتركون العدو وراءهـم يتنفس الصعداء!..

تأثرت بالغ التأثر لفقدنا ذلك العنصر الهام من عناصر نجاحنا فـي الهجوم المقرر، ولأنه لم يعد بالإمكان القيام بأي عمل يعيد الوضـع

---

[1] ورد في الكتاب الذهبي لمنير الريس ص (٢٥٤)... أن ما ألقته الطائرات من القنابل في هذه المعركة بلغ /٤٧٠٠/ كغ، وأطلقت خمسة الاف خرطوشة.

إلى ما كان عليه، ولكن الدكتور شهبندر هوّن عليّ الأمر بقول مؤاده:

"يجب أن نفاخر كل الفخر بما قام به أبطالنا في هذه المعركة الرهيبة، إذا أن اقتحامهم لمواقع العدو الحصينة عبر السهول المحيطة بالقرية، واختراقهم أسلاكه الشائكة بوسائلهم البسيطة واستيلاءهم على مراكزه في قلب القرية.. كل ذلك بسالة نادرة ومغامرة جريئة قد يعجز عن القيام بها أعظم جنود أوربة شهرة في ميادين القتال.. إنني أعتبر هذا كله نصراً فريداً من نوعه، ليس فيه أي معنى من معاني الهزيمة والانكسار!.."

تراجعنا عن المسيفرة دون أن نتمكن من دفن قتلانا، وإنقاذ البعض من جرحانا، وقد أجهز الفرنسيون على هؤلاء، وأحرقت جثثهم مع جثث القتلى الآخرين، وكان من ضحايا العدو الفرنسي ثلاثة من أعيان القرية، هم: محمد الزعبي، وحمد الموسى، وعبد الحليم المصطفى، أعدموا رمياً بالرصاص في أعقاب المعركة بسبب تأييدهم للثورة.

لقد بلغ عدد الأبطال الذين استشهدوا في هذه المعركة نحو مائتين وخمسين شهيداً، قدموا أرواحهم الطاهرة في سبيل التحرير والاستقلال، منهم الشيخ سعيد الحجلي، والشيخ سعيد الحناوي، والشيخ سلمان حمزة(رساس) وأولاده الخمسة: يوسف سليمان، سليم مهنا، ونصر الدين، ثم لاقت زوجته مدلله بنت سليمان حمزة وجه ربها إثر تلقيها خبر استشهادهم، كما استشهد المجاهد عطا الله العودة من إخواننا المسحين في قرية أم الرمان.

أما قتلى الجيش الفرنسي، فليس لدينا إحصائية دقيقة عنهم، وإنما يقدرهم بعض من حضر هذه المعركة بأكثر من خمسمائة قتيل.

ومع أن الفرنسيين قد حاولوا بأساليبهم الدعائية الماكرة إيهام الدروز بأن معركة المسيفرة قد أفقدت الثورة معظم رجالها، وأنها كارثة عظيمة نزلت بأبناء الجبل، وسوف يعقبها كوارث أخرى

مماثلة إذا هم تابعوا مسايرتهم لقادة الثورة والمشايعين لها، فأننا كنا نرد على دعاياتهم المضللة هذه بأعمال تؤكد ثقتنا الكبيرة بأنفسنا، وإيماننا العميق بالرسالة الوطنية التي صممنا على حملها والمضي بها حتى الرمق الأخير من حياتنا، وذلك باتخاذ القرارين التاليين:

١. تجميع بيارق القرى وحشدها من جديد، لمنازلة حملة الجنرال(غاملان) أثناء تحركها باتجاه مدينة السويداء.
٢. في حال انتصارنا على هذه الحملة، نعمل بكل ما في وسعنا لتوسيع نطاق الثورة، وفتح جبهات قتال أخرى في الغوطة وغيرها من مناطق سورية المجاهدة.

ويعقب الدكتور شهبندر على هذه المعركة في مذكراته (ص٣٩-٤٠) قائلا:

"وكان من نتائج هذه المعركة العظيمة أن فقد الفرنسيون ما يزيد على تسعمائة من الجنود علاوة على الدواب والأعتاد التي لا تدخل في حصر، والذي يهم في هذا الشأن أن العدو بفضل دهائه وتنظيم دعايته استطاع أن يقنع الدروز قناعة تامة بأنهم كسروا وهزموا شر هزيمة.. ولولا معركة السويداء الأخيرة التي حدثت في الخامس والعشرين من نيسان/١٩٢٥/لقلت إن وقعة "المسيفرة" هذه هي ختام الحرب التي ظهرت فيها البطولة الدرزية في الجبل، في أضخم مظاهرها وأعظم شدتها.."

ونشاء الأقدار أن يحمل الفرنسيون معهم إلى فرنسا ثمانية من البيارق الدرزية التي وجدت بين جثث القتلى على أرض معركة المسيفرة، وتوضع في متحف باريس، لتأخذ مواقعها بين الأعلام الأخرى، وفي زيارة لهذا المتحف يقوم بها الحاكم الفرنسي السابق لجبل العرب الكابتن(كاربييه) يتعرف إلى تلك البيارق الثمانية فتأخذه الدهشة مما رأى، ويعقب على ذلك قائلا:".. وفي الحال تعرفت إلى ثمانية من تلك البيارق الدرزية الكبيرة القائمة على صاريات حديدية يتوجها ريش النعام، وقد أوحت طياتها النازلة،

وكأنها تريد الوصول إليّ لتلفني، كانت هذه هـي البيـارق التـي وجدت بين الجثث الدرزية في أرض معركة المسيفرة حيث لمـع نجم الفرقة الأجنبية، وقد جاءت هذه البيارق لتأخذ مواقعـها بيـن الأعلام الأخرى.."

ويتابع كاربييه حديثه هذا الذي دوّنه في مذكراته الشخصية والتـي اطلعنا على نسخة مترجمة منها فيقول.. وفجأة عاد إلى ذاكرتـي، في مدى لحظة، ذلك النسق الطويل من البيارق المتقدم لتحية ممثـل فرنسا في السويداء، وتردد في سمعي أصوات ثلاثـة آلاف طفـل درزي يلهجون بكلمات فرنسية في خمس وثلاثين مدرسة ضائعـة وسط البازلت الأزلي، لقد كنت الشاهد على جـهود كـل أولئـك الرجال نصف العراة المنحين فـوق العتـلات الطويلـة لاقتـلاع الحجارة البازلتية من الأرض الدرزية، ليشقوا شبكة من الطرقـات بطول خمسمائة كيلو متر، ورأيت أولئك العمالقة ذوي العضـلات المفتولة يقتلعون أشجار الجبال ليغرسوا بها مليون غرسه عنب فـي عام واحد، وعبرت بخيالي فوق الخمسة وأربعين جسـرا وعبّـارة المبنية خلال بضعة أشهر فوق كل وديان الجبـل، وتنـاهى إلـى سمعي خرير مياه (القينه) تجري من نافورات السويداء بعد قطعـها مسافة ثمانية عشر كيلو مترا تحت الأرض، وتألمت لجهود أولئـك الشبان الذين نقلوا وهم يغنون بعض المنحوتات البـارزة القديمـة الثقيلة عدة كيلو مترات ليحضروها إلى أحد المتاحف الأثرية السبعة في الجبل، ولا زال الفخر يملؤني حتى الآن للكشف عـن أجمـل لوحات الفسيفساء المعروفة في آسيا وسط أنقاض شهبا القديمة...

كل هذا وكل هذه الجهود، كل هذا الفـرح، كـل هـذه الأشـجار المفروشة، وكل تلك الكنوز الأثرية العائدة إلى النـور مـا كـانت لتقودنـي لحـزن تلـك اللحظـة الحاليـة ولـهذه الرايـات الثمانية(البيارق)الملطخة بالدم الفرنسي والدم الدرزي.

.. توجهت إلى السماء بصلاة مخلصة لأجـــل هـــذا الشـــعب ذي الشجاعة والحماسة الشديدين، الذي سأظل متعلقا به بكـــل أوتـــار قلبي، والذي أريد أن أذهب لأموت بين أحضانه يوما ما ...[١]

نضالهم الوطني في ظل الاحتلال الإسرائيلي:

إن القارئ لكتب التاريخ يجد أن نضال المسلمين الموحدين(الدروز) سلسلة متصلة الحلقات، أو موجات متلاحقة، ولكن نضالهم هذا لـــم ينفصل يوما عن نضال الأمة العربية والإسلامية بل، بل كـــان ولا يزال جزءا لا يتجزأ منه، فما إن تتلاشى على صخـــرة نضالـــهم موجة حتى تلطمها موجة جديدة أشد منها وأعتى، بدءا من نضالـــهم ضد الأطماع الصليبية في المشرق العربي، وانتهاء بنضالهم ضـــد الاحتلال الإسرائيلي، عدو الأمة العربية المشـــترك، ســـواء فـــي فلسطين المحتلة، أو في هضبة الجولان من الأراضي الســـورية، أو في لبنان الشقيق إبان الغزو الإسرائيلي له في أوائل الثمانينات مـــن هذا القرن، حتى إنهم تعرضوا في المـــاضي والحـــاضر لأبشـــع حملات القمع والإبادة من قبل الطغـــاة المســـتعمرين، وتعـــرض تاريخهم وواقعهم لحملات الدس والتزوير، فاتهموا بقوميتهم ودينهم وأخلاقهم وتقاليدهم العربية الأصلية، ليس لذلك من غايـــة ســـوى عزلهم عن العرب والعروبة، وتجريدهم من هويتهم القومية، وشـــل مقاومتهم لجميع أنواع الاستعمار.

ودروز فلسطين لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة من العـــرب الـــدروز، والمخطط الصهيوني الاستعماري يستهدفهم كما يستهدف غـــيرهم، ويتجاوزهم إلى دروز سورية ولبنان، وعروبة المشرق العربي هي المستهدفة في النهاية، فالمخطط الصهيوني تجاه الدروز هو جـــزء من المخطط الشامل للمشرق العربي.

---

[١] مذكرات كاربييه ص ٧٤- ٧٥ من النسخة المترجمة.

ويعاني الموحدون الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ما يعانيه بقية العرب في ظل الاحتلال، ويتعرضون كغيرهم من العرب لجميع أنواع القهر والتنكيل والحرمان، على نقيض ما تحاول أجهزة الإعلام الصهيوني إظهاره.(١)

وإذا كان بين دروز فلسطين من يتعاون مع الاحتلال الإسرائيلي من أمثال جبر الداهش معدي، ولبيب أبو الركن، وكمال منصور وغيرهم، فإن هناك أسماء عربية غير درزية كثيرة العدد غارقة في تعاونها وعمالتها مع العدو الصهيوني، وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان تنشأ فيه مثل هذه الظروف، وعلينا أن نتذكر مقابل هؤلاء الخونة أسماء عربية درزية أضاءت شعلة النضال في ليل الاحتلال الطويل من أمثال الشيخ فرهود قاسم فرهود، سميح القاسم، وكمال كنج أبو صالح، والشيخ أبو عدنان الصفدي، ونايف سليم، ومحمد نفاع، وعاصم الخطيب، وتوفيق فياض.

والعشرات من أمثالهم ممن سقطوا شهداء في صفوف العمل الفدائي وصفوف الجيش العربي السوري، وهم يناضلون ضد الاغتصاب الصهيوني أمثال راجح غرز الدين، وسامي أبو زكي، وطربيه العنز، ومئات غيرهم..١

التوزع الجغرافي لدروز الأرض المحتلة:

يتوزع دروز فلسطين حالياً على ثماني عشرة قرية، اثنتان منها في جبل الكرمل وهما دالية الكرمل وعسفيا، وست عشرة قرية في الجليل وهي: شفا عمرو، المكر، جولس، أبو سنان، جت، يركا، يانوح، كفر سميع، كسرى، البقيعة، حرفيش، بيت جن، عين الأسد، الرامة، ساجور، المغار، وهي قرى جبلية وعرة المسالك فقيرة التربة، وقد بلغ عدد الدروز في نهاية سنة ١٩٤٨ حوالي أربعة

(١) غالب أبو مصلح – الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي – منشورات مكتبة العرفان/١٩٧٥ – ص٦.

١ المصدر السابق ص٦-٧

عشر ألف نسمة؛، أما عددهم في عام ١٩٧١ حسب ما ذكـــر فـــي ملحق جريدة (Jerusalem post) فقد بلغ ٣٤ ألفا.[1]

نضالهم في عهد الانتداب البريطاني :

في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وفرض الانتـــداب البريطـــاني الفرنسي على المشرق العربي، وتمزيقه إلى دويلات عـــدة، وقـــع حوالي ٩٠% من الدروز تحت ظل الانتداب الفرنسي، وتوجـــهت أنظار الدروز إلى مقابلة الاستعمار الفرنسي بعد أن اشتركوا بنشاط في الثورة العربية الكبرى، وكان دروز فلسطين مرتبطين بـــدروز لبنان وسوريا، تشدهم إليهم أواصر القربى والمذهـــب، فمركزهـــم الروحي كان خلوات البياضة، وكانت القلة القادرة منـــهم ترســـل أبناءها للدراسة في الكلية الداودية في(عبيه) التابعة للوقف الدرزي، والعديدون من قيادات الثورة العربية وثورة جبـــل الـــدروز ســـنة ١٩٢٥ وجدوا لأنفسهم ملجأ في فلسطين والأردن من الاضطـــهاد الفرنسي، كما كان دروز فلسطين يتبرعون بسخاء رغـــم فقرهـــم للثورة السورية في جبل العرب، بقيادة سلطان الأطرش الذي انضم إليه فيما بعد عادل أرسلان وفؤاد سليم وغيرهم من قيادات الثـــورة العربية الكبرى،واستمرت هذه العلاقة طيلة الانتداب البريطـــاني.. وشارك الدروز خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين فـــي القتال ضد الاستيطان الصهيوني، والدرع البريطاني الذي يحميه.[2]

ويقول الدكتور كامل محمود خلة في كتابـــه(فلســـطين والانتـــداب البريطاني) ١٩٢٢ ١٩٣٩ ص ٣٠٧ ما يلي:

---

[1] المصدر نفسه، وكذلك حبيب قهوجي: العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ ١٩٤٨، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية - المؤسسة العامة للدراسات والنشر - بيروت/١٩٦٢/ ص٢٢، عن ملحق (Jerusalem past)الأسبوعي في ٣٠-٣-١٩٧١

[2] مجلة الهدى(الصادرة في الأرض المحتلة) العدد ١٤ - كانون ثاني ١٩٧٤ - نشر غالب أبو مصلح في كتاب "الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي" ص ٥١ - ٥٢

"في أوكتوبر ١٩٢٩ تمكن أحمد طافش من تنظيم عصابة(الكف الأخضر) لتعمل في منطقة صفد - عكا - سمخ، وفي نفس الشهر شنت هجوما على الحي اليهودي في صفد بالتعاون مع أنصارها داخل المدينة، وفي نوفمبر من العام نفسه تعززت هذه العصابة بعدد من الثوريين الدروز الذين حاربوا الفرنسيين إبان الثورة السورية عام ١٩٢٥ وبعده، والذين سرعان ما أصبحوا العمود الفقري لهذه العصابة الموسعة التي شنت هجوما على صفد في منتصف نوفمبر، الأمر الذي حمل الإدارة البريطانية على إرسال تعزيزات من البوليس البريطاني والفلسطينيين إلى المنطقة، وبعد وقت قصير من وصول التعزيزات إلى صفد ظهر رجال(الكف الأخضر) في قضاء عكا حيث بدأوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس..

(وبجانب القوات البريطانية قام الفرنسيون) بتسيير دوريات كبيرة من قواتهم على الجانب السوري من الحدود لقطع طرق إمدادات الثوار ومنعهم من الالتجاء إلى منطقة الاحتلال الفرنسي، وبرهنت عصابة(الكف الأخضر) على قدرتها على الحركة والمناورة لأنها كانت تعمل في منطقة كان فيها الكثير من القرويين الذين يعطفون عليها، بيد أن الافتقار إلى التنسيق والتعاون بينها وبين القيادة السياسية الفلسطينية جعل إمكانية اتساع المقاومة وامتدادها إلى مناطق أخرى لا سيما منطقة نابلس أمرا متعذرا.[١]

ويروي المقدم المتقاعد مفيد غصن قائلا:

---

[١] الدكتور كامل محمود خله، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ -١٩٣٩ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث - بيروت - أيار ١٩٧٤ - ص ٣٠٧

"اشترك الدروز في جيش الإنقاذ(٢) بفوج من جبل الدروز وسرية من الإقليم ووادي العجم(الهضبة) علاوة عن اشتراك العديد من دروز فلسطين، وتمركزت القوات العربية الدرزية في الجليل، وتمركز فوج بقيادة شكيب وهاب في شفا عمرو، وسرية بقيادة الملازم أول مفيد غصن في يركا، علاوة عن وجود بعض مفارز درزية موزعة على قطاعات جيش الإنقاذ كالملازم فايز حديفة،[1] وكان العقيد شوكت شقير معاونا لقائد جيش الإنقاذ.

ويتذكر المقدم غصن الذي عمل على تطويع الفوج الدرزي في جبل العرب والإقليم ووادي العجم أسماء بعض أمار السرايا، وهم واكد عامر، وأبو الخير رضوان، وعلي الحناوي(استشهد في معركة المالكية) ونايف حمد عزام..

كانت أهم معركة خاضها جيش الإنقاذ في الجليل هي معركة الهوشي والكساير، والتي خاضتها القوات العربية الدرزية واشترك فيها دروز فليسطين..

ويتابع المقدم غصن قوله:"إن القوات العربية الدرزية خاضت معركتين في الهوشي والكساير، تفصل بينهما فترة أربعة أيام، كانت المعركة الأولى يوم الثلاثاء، وكانت انتصارا ساحقا لقوات الدروز، واشترك فيها العديد من دروز شضفا عمرو، فسقط في هذه المعركة حوالي ستة عشر شهيدا، وأكثر من خمسين جريحا من الدروز، أما المعركة الثانية فقد استعد لها اليهود ليثأروا لهزيمتهم

(٢) جيش الإنقاذ في الجليل الأعلى كان يتألف من فصيلين، فصيل حماة بقيادة أديب الشيشكلي وأكرم الحوارني، وفصيل فلسطين بقيادة أبو ابراهيم الكبير - أبو مصلح - المصدر السابق.

[1] من أهالي بلدة الكفر في محافظة السويداء، كان ضابطا في الجيش العربي السوري، وآمر فصيل مصفحات في القيادة بمعية فوزي القاوقجي، اشترك في القتال ضد اليهود في معركة كعوش أثناء دخول الجيش السوري الأرض الفلسطينية، واستشهد في المعركة عام ١٩٤٨، أقيم له نصيب تذكاري في مدخل قريته تخليدا لذكرى بطولته.

الأولى، فزحفوا ليل الجمعة على الهوشي والكساير، وأبادوا الحرس، وأحاطوا بقوات شكيب وهاب المرابطة على التلال القريبة، وطلب شكيب وهاب النجدة من السرية الموجودة في يركا بقيادة الملازم - يومذاك - مفيد غصن، وكان قد سبق ذلك اجتماع عام لأبناء القرى الدرزية في(يركا) حيث طرح موضوع القتال ضد الإسرائيليين، وكان تجاوبهم منقطع النظير،وعندما علموا أي (دروز الجليل) بتطويق قوات شكيب وهاب في شفا عمرو، هبت جميع القرى الدرزية لنجدته.

وتغير الوضع في الجبهة بعد وصول النجدات، وكانت معركة حاسمة دامت من ليل الخميس حتى مساء الجمعة.. وأجبرت القوات الصهيونية على إخلاء الهوشي والكساير، لكنها نسفت جميع المنازل قبل أن تنسحب، وبلغ عدد شهداء العرب الدروز في هذا القتال البطولي المرير بين ٨٥ - ١٠٠ شهيد، ومئات الجرحى.(١)

صور من واقع نضالهم البطولي في الأرض المحتلة:

وحتى لا يبقى الكلام في إطار العرض التاريخي العام، لا بد من إثبات الأقوال بالأفعال كما يقال، والاستشهاد ببعض الوقائع النضالية والبطولية الفذة التي انفرد بها عدد من أبناء الأرض المحتلة بوجه خاص، ضد العنجهية الإسرائيلية وكشاهد عيان على صمودهم في وجه القمع الإسرائيلي، ومعاناتهم المريرة في هذه الفترة العصيبة من تاريخ نضالهم المجيد.

فهذا هو سميح القاسم، الشاعر المشهور، وهو من أوائل الشباب الحر المناضل من أبناء الطائفة الدرزية في ظل الاحتلال الإسرائيلي، يتعرض للسجن أكثر من مرة، ويحمل أمر إقامة إجبارية شبه دائم، وفي ندوة عقدت في تل أبيب حول موضوع(ثمن العدل في إسرائيل) اشترك فيها كل من فكتوريا أوستروفسكي

---

(١) أبو مصلح - المصدر السابق ص ٥٣ - ٥٤

كوهن المدعية العامة في المنطقة الوسطى، وعضوا الكنيست أيسر هرئيل رئيس الشين بت سابقا ويعقوب هنيغمان، وميخائيل كاسبي من رجال القضاء.

تجاهل أعضاء الندوة ورقة الأسئلة التي قدمها سميح القاسم، ورفضوا الإجابة عليها، وهنا نفد صبر سميح القاسم رئيس تحرير (الجديد).. فوقف ليأخذ الكلام بالصورة العادلة الوحيدة التي بقيت له فقال:

لحظة أيها السادة والسيدات، يجلس هنا أيضا أخ لكم، ولكنه ليس يهوديا كما قال العريف لقد بدأ أيسر هرئيل الحديث عن الأقليات والإقامات الجبرية، ولم يكمل رغم أن الموضوع الذي أراد إثارته هو من صلب الثمن المدفوع مقابل العدل على الطريقة الإسرائيلية.

أنا من الأقلية العربية في إسرائيل، وأقول لكم إن ما نتعرض له منذ اثنين وعشرين عاماً يتنافى مع أبسط قواعد العدل.. انظروا هذه الورقة، إنها تصريح من الشرطة، لا أستطيع بدونه الوصول إلى تل أبيب أو إلى بلدي أو إلى أي مكان خارج حيفا، بدون هذا التصريح أشكل خطراً على كل واحد منكم، وبهذا التصريح يزول الخطر هل هذا من العدل، إن مئات وآلافا من العرب يعانون مثل هذا الوضع وأوضاعا أقسى بكثير بذريعة العدل والأمن، بينما يتعرض الفكر العربي إلى الإرهاب والكبت بشتى الوسائل.. فهل هذا من العدل؟ يصادرون هنا كتاباً بذريعة معينة.. وتزول الذريعة، ويظل الكتاب مصادراً.. فهل هذا من العدل؟

هنا هبط أيسر هرئيل رئيس المخابرات سابقا عن المنصة وتقدم من سميح القاسم بينما تجمهر الجمهور من حولهما، وجرى هذا الحوار:

هرئيل: سمعت بشيء من هذه الأمور ولكنني لا أعرف التفاصيل.

القاسم: إذا كنت أنت لا تعرف التفاصيل فمن يعرفها؟

هرئيل: لماذا تطاردك الحكومة أنت بالذات؟

القاسم: إنها تطارد الآلاف من العرب، هذه هي سياستها المبدئية.
هرئيل: وماذا تقول حول قتل الأطفال اليهود في غزة؟
القاسم: غزة مدينة محتلة وليست مدينة سياسية، ويؤسفني ويحزنني أن يموت الأطفال، ولكن المسؤول الحقيقي هو الاحتلال.
هرئيل: أو.. الآن أعرف لماذا يلاحقونك.
القاسم: وإذا رغبتم في احتلال إيران.. هل أكون عدواً خطيراً إذا حذرتكم من ذلك؟؟
هرئيل: ومن يريد احتلال إيران؟
القاسم: إجابة ذكية ولكنها ليست إجابة.
هرئيل: أنت تؤيد المخربين(أي العمل الفدائي).
القاسم: المقاومة حق لكل شعب احتلت بلاده.
أحد الحضور: إمَّا نحن وإمَّا أنتم.. لا يمكن أن نبقى معاً!
القاسم: معاً.. ولا مفر من ذلك.
أحد الحضور: أنتم تريدون ذبحنا، ونحن نريد ذبحكم، وسأذبحك الآن.. الآن سأذبحك..
أصوات: هس.. هس.. غبي.. كيف تتكلم؟
هرئيل: نحن منعنا الزعران من الاعتداء على العرب.
القاسم: الذي يعتدي على العرب هي الحكومة.. الزعران ظاهرة تزول إذا تغيرت السياسة.
صوت: سأذبحك الآن.
القاسم: إذا كان ذبحي يتمم عدلك فليكن لك ذلك.. الآن.[١]
وفي ظل السجون والاضطهاد المستمر والملاحقة الدائمة والإقامات الجبرية يغني الشاعر سميح القاسم آلامه وأسره وحرمانه من الحرية والوطن فيقول:
أنتقي من سوسن الحقل وشاحاً لحبيبي

[١] الاتحاد، ١٢ كانون الثاني ١٩٧١ – وردت هذه المحاورة أصلا في كتاب(الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي) لغالب أبو مصلح ص ٧٧ – ٧٩.

غير أن الحقل مزروع بألغام جديدة
أنتقي من قصب الوديان نايا لحبيبي
غير أن الجند في الوديان يجرون تمارين جديدة
أنتقي من كرمنا أجمل عنقود
لأهديه حبيبي
غير أن الكرم.. ياعيني
أحاطوه بأسلاك جديدة
يا حبيبي.. أطفئ القنديل
موتي.. مددوه
فترة أخرى.. جديدة

وقد أورد الكاتب الأستاذ غالب أبو مصلح في كتابه(الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي)[1] كثيراً من صور النضال لأبناء طائفة المسلمين الموحدين الدروز في الأرض المحتلة، وتحدث عن معاناتهم هناك، وعما يتعرضون له من التعسف والاضطهاد والإرهاب على يد الصهاينة، وننقل عنه بعض ما أورده من صور هذا القهر والعذاب الذي يعانيه أبناء طائفتنا المجيدة على سبيل المثال لأعلى سبيل الحصر..

"ففي ٢٥-٦-١٩٦٩ حضرتْ إلى قرية بيت جن الدرزية قوة من الشرطة على رأسها الأمباشي(سرور) المشهور بعنصريته لإبلاغ الكاتب التقدمي محمد نفاع (من أبناء الطائفة الدرزية) أمراً يحظر عليه دخول الهضبة المحتلة، والمناطق المحتلة الأخرى. وكان البوليس قد حضر مرات عدة لإبلاغ محمد نفاع هذا الخطر ولم يجده بسبب عمله خارج البلدة، فكان يستغل هذا الغياب ليقوم بحملة إرهاب لأقاربه وأصدقائه في البلدة عن طريق اقتحام المنازل

[1] غالب أبو مصلح الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي منشورات مكتبة العرفان ط ١٩٧٥ ص٧٩.

وتفتيشها، بدلا من أن يترك له تبليغا رسميا.. وفي اليوم السابق ذكره وبينما كان البوليس الإسرائيلي يقوم بحملة الإرهاب المعهودة، حضر محمد نفاع، وبدل إبلاغه القرار اعتقله البوليس ونقله إلى مركز الشرطة في(كرمئيل) وهناك وفي ساحة المركز، وقبل دخول البناية، بدأ حضرة الأمباشي يرفس الكاتب محمد نفاع، ثم ضربه، وأوقفه على رجل واحدة مرفوع اليدين لمدة ساعة ونصف، وتابع خلالها عملية الرفس والضرب والشتائم البذيئة، ثم أدخل إلى النظارة حيث بقي حتى مساء اليوم التالي متعرضا للمعاملة السابقة إياها.. كما أبقوا نوراً كهربائياً قويا مشتعلا طيلة الليل في النظارة حتى يمنعوه من النوم، والغريب بعد كل هذا جرى توجيه تهمة شتم الأمباشي المذكور وعرقلة عمله لمحمد نفاع.[1]

وليس من الضروري أن يكون العربي الدرزي عقائديا ومعاديا لسياسية الاحتلال الإسرائيلي ليصبح عرضة للإرهاب الصهيوني، فالمواطن صالح ملحم من قرية حرفيش الدرزية لم يقم بأي نشاط فكري أو عقائدي، فهو صاحب دكان صغير في قريته يعتاش منه، وقد تعرض في يوم عيد الاستقلال للضرب الشديد من البوليس بقيادة يعقوب، شاويش بوليس ترشيحا، لأنه فتح الدكان في هذا اليوم، فقد ساق البوليس هذا المواطن في سيارته إلى ترشيحا، وهناك شتموه وشتموا الدروز كلهم، وضربوه ضربا مبرحا، ولا تزال آثار الضرب على جلده حتى الآن...[2] كان على هذا المواطن أن يفرح لعيد اغتصاب وطنه فيقفل دكانه، واستحق الضرب المبرح ليتذكر فرحة(عيد الاستقلال).

أما المناضلون الذين اعتقلوا وتعرضوا للتعذيب أثناء توقيفهم على أيدي جلادي الإرهاب الصهيوني فهم كثر، وقد استطاعت المحامية

---

[1] المصدر السابق ص ٧٩-٨٠ نقلا عن جريدة الاتحاد ١-٧-١٩٦٩

[2] المصدر نفسه ص ٨٠ نقلا عن جريدة الاتحاد ١١-٥-١٩٧١

الإسرائيلية لا نغز أن تقابل بعض الموقوفين في سجن كفريونا وأن تأخذ توكيلا منهم وتتحدث معهم، وهذا بعض ما قالوه عن معاملتهم في السجن،(نذكر بعضا منهم على سبيل المثال لا ألحصر):

-محمد علي شمس وأبنه: في سجن(كفريونا) وهو شيخ دين، اتهم أنه كان على علم بأن أبنه نقل معلومات إلى سوريا، تعرض الشيخ إلى الضرب المبرح، وفقد سمعه نتيجة الضرب، ونتف المحققون شعر رأسه، وضربوه على أعضائه التناسلية.

-أحمد خاطر: لم يعرف مصيره خلال أسبوعين(مازال تلميذا)، قابلته المحامية(لانغر) في ١٣-٣-١٩٧٣، كان معصوب العينين، وعندما أزالوا العصبة، كان الشاب خائفا جدا وقال للمحامية أنهم خظروا عليه أن يقص ما جرى له، وكان وجهه منتفخا ويداه ترتجفان من الخوف، وبعد تردد ذكر الشاب أنهم ضربوه بشدة، وكانوا يطالبونه بالاعتراف بالتجسس لسوريا، عذبه المحققون بالتيار الكهربائي.

-صلاح مداح(سجن عكا) فقد سمعه بإحدى أذنيه نتيجة التعذيب طلبوا منه أن يعترف بالتسلل إلى سوريا ونقل معلومات وحمل سلاح، وقال للمحققين: اقتلوني فأنا أفضل ذلك على الاعتراف بشيء لم أفعله نتيجة الخوف..(١)

هذه شهادات بعض الموقوفين من أبناء الطائفة الدرزية التي نقلتها المحامية الإسرائيلية فيلتزيا لانغر.

في هضبة الجولان المحتلة:

بعد احتلال هضبة الجولان سنة ١٩٦٧، وأمام مقاومة أبناء الطائفة الدرزية لهذا الاحتلال بدأت إسرائيل حملة إرهاب قاسية ضد الدروز هناك، وفي بداية سنة ١٩٦٩ تعرض أبناء القريتين الدرزيتين بقعاثا ومسعدة إلى موجة من الاعتقالات وبلغ عدد

---

(١) المصدر السابق ص ٨٦ -٨٨ نقلا عن جريدة الاتحاد ٣٠-٣-١٩٧٣

المعتقلين حتى ٢-٥-١٩٦٩ حوالي ٤٠ مواطنا، وكان من أبـــرز المعتقلين نايف صفدي، وهو من مشايخ الدين، مهنا صفدي، سليمان شمس، والطالبان الثانويان هاني عماشة وحمد نجم من قرية بقعاثـا وتعلق جريدة الاتحاد الصادرة في الأرض المحتلة فتقول: إن سـكان القرى المحتلة يتحدثون عن وحشية المعاملـــة ويؤكـدون أن هــذا الاعتقال ما هو إلا لإرهاب المواطنيـــن للتخلـي عـــن أراضيـــهم وإضعاف مقاومتهم للاحتلال، بعد فشل المحاولات الدينيـــة لـنزع عروبة الطائفة الدرزية[1]

وعند وفاة عبد الناصر عمت الأرض المحتلـــة مسـيرات حــزن، وقامت إحدى هذه المسيرات في مجدل شمس في الهضبة المحتلـــة بتاريخ(١-١٠-١٩٧٠) فتحولت هذه المسيرة إلى مظــاهرة ضـــد الاحتلال الإسرائيلي، وقد سار فيـــها الآلاف مـــن أبنـــاء الطائفـــة الدرزية يهتفون ضد الاحتلال، وأنزل العلم الإسرائيلي ورفع العلـم السوري فوق المدرسة، كما رفعت الأعلام السوداء وصور عبـــد الناصر في مقدمة المظاهرة، وكان المتظـــاهرون يـــهتفون عبــد الناصر حي.. عبد الناصر حي وينشدون:

عبد الناصر يابونا   بغيابك عذبونا
عبد الناصر يابونا   حررونا أنقذونا

واشتركت أربعة مصفحات مع الجنـــود الإســرائيليين فـــي قمـــع المظاهرة التي استمرت أربع ساعات[2]

وكان الحكم على كمال كنج أبو صالح من أقسى الأحكام، فبعـــد أن فضح المخطط الإسرائيلي لإقامة دولة درزية ألقي القبـــض عليـــه ووجهت إليه اتهامات عديدة، فحكمت عليـــه المحكمـــة العسـكرية

---

[1] الاتحاد ١٩٦٩/٥/٢٠
[2] الاتحاد ١٩٧١/١١/٢٠

بالسجن لمدة(٢٠٨ سنوات)، وبعد كل التخفيضات كان عليه أن يبقى في السجن الفعلي مدة ٢٣ سنة، وقد تدهورت صحته نتيجة التعذيب الذي تعرض له، ثم أفرج عنه سنة ١٩٧٣ بموجب تبادل الأسرى في سوريا..[1]

وذكرت جريدة الاتحاد أن أربعة من أبناء الطائفة الدرزية من أهالي مجدل شمس قد قدموا إلى المحكمة بتهمة الانتساب إلى(فتح) والتجسس لصالح سوريا، وحمل السلاح وإرسال رسائل متفجرة، ومن بين المتهمين يوسف شكيب أبو جبل شقيق عزت أبو جبل الذي قتله الجيش الإسرائيلي بتهمة محاولته العبور من قريته مجدل شمس إلى سوريا وابن شكيب أبو جبل الذي حكم عليه بالسجن الفعلي لمدة ٣٠ سنة.

وقد اتهم أعضاء هذه الحلقة من المناضلين بإرسال رسائل ملغومة من إسرائيل إلى الرئيس الأمريكي نيكسون ووزير خارجيته روجرز، وإلى أشخاص داخل إسرائيل أيضا.[2] واكتشاف تنظيم سري ومخازن أسلحة كانت بداية حملة شرسة للبطش بدروز الجولان بغية إجبارهم على السير في المخطط الإسرائيلي. وقد شنت إسرائيل حملة اعتقالات شملت جميع الوجهاء من أبناء الطائفة الدرزية الذين رفضوا التعامل مع قوات الاحتلال الصهيوني.. وقد بلغ عدد زعماء الدروز المعتقلين في الهضبة ٥٩ موقوفا، وتقول جريدة الاتحاد إن السلطات الإسرائيلية قد ألقت القبض على محمود حسن الصفدي أحد شيوخ الهضبة المحتلة بتهمة أنه من القائلين بأن الهضبة السورية المحتلة ستعود إلى سوريا، وأنه يعارض إقامة مجلس محلي في الهضبة تحت رعاية المحتل، ويعارض دفع ضريبة الدخل ويرفض التوجه إلى المحاكم الدينية الدرزية في

---

[1] الاتحاد ١٩٧٢/٥/١٦

[2] GUARDIAN.١FEB.١٩٧٣

إسرائيل.. وادعت النيابة العامة الإسرائيلية بأنه من قيادة المقاومين لنشاطات أعمال الحكم الإسرائيلي وطالبت بمعاقبته أكثر من أي متهم آخر..[1]

وفي ١٩٧٣/٦/١٧، انتهت محاكمة عشرة أشخاص من أبناء مجدل شمس المتهمين بنقل معلومات ذات قيمة إلى الاستخبارات السورية وكتم معلومات، قال المتهمون في المحكمة: إن مما لا يقبله المنطق أن يكون عليهم أن يسلموا شكيب أبو جبل الذي حكم عليه بالسجن ٣٠ سنة، وهو قريبهم جميعا، إلى الشرطة وإلا أصبحوا مخربين.. وتصف جريدة الاتحاد المحاكمة فتقول:

"كان في القاعة مندوب الصليب الأحمر، واعترى الذهول جميع من كانوا في القاعة من فظاعة الحكم، فغادروا القاعة إلى الساحة، وأخذ النسوة والرجال يلوحون بأيديهم، ويهتفون في وجه الجند ورجال الأمن الذين كانوا في الساحة: لماذا تجردتم من الضمائر؟ ما الذي فعلناه بكم؟ هل كان بينهم من يشبه(أيلي كوهن)؟ وقالت النسوة: لن نطلب الرحمة منكم.. لا نريد رحمتكم.. خذوا أيضا أطفالنا فهنا لم تجر محاكمة بل مسرحية.

ومما يجدر ذكره أن دروز الهضبة المحتلة رفضوا حمل الهوية الإسرائيلية.

وقامت من أجل ذلك مظاهرات احتجاج عديدة، وتعرض البوليس الإسرائيلي للمقاومة العنيفة من المواطنين هناك، وقد بث التلفزيون العربي السوري مرات عديدة صور هذا النضال البطولي الذي اشترك فيه الرجال والنساء على حد سواء ضد القوات الإسرائيلية في هضبة الجولان.

---

[1] الاتحاد ١٩٧٣/٦/١٩ عن كتاب الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي لغالب أبو مصلح ص ٨٣-٨٤-٨٥

وكان لسلاح الدين الفعال أثره الإيجابي على كل من قبل الهوية الإسرائيلية آنذاك، حيث أطلق رجال الدين (الحرم) عليه، وفرضوا مقاطعته اجتماعيا، وحرموا الزواج من بناته وتزويج أبنائه، وحتى إلقاء السلام عليه في الطريق العام، والتعامل معه، وكان لقرار التحريم هذا وقع شديد في نفوس معتنقي الجنسية الإسرائيلية، مما اضطر الكثير من هؤلاء إلى إقامة دعوة رسمية أمام القضاء الإسرائيلي لإلغاء هذه الهوية، وعندما عجزوا عن تأمين رسوم القضاء الباهظة، كان من تتمة مظهر التضامن الاجتماعي أن جمع أهلنا في الجولان تلك الرسوم وقدموها لمن تاب وأناب مع التحذير على ألا يتكرر مثل هذا الأمر.

وقد حيا الرفيق المناضل حافظ الأسد صمود أهلنا في الهضبة السورية بخطابه التاريخي الهام في عيد ثورة الثامن من آذار عام١٩٨٢ في دمشق، وأشاد بمواقفهم النضالية وتحديهم لجنود الاحتلال فقال:

"أيها الأبناء.. أن تكسب إسرائيل وجودها أو لا تكسب يعني أن نريد نحن أو لا نريد، وهكذا فإن إسرائيل احتلت بعضا من أرضنا، وشردت بعضا من شعبنا، ولكنها لم تستطع ولن تستطيع أبدا أن تحتل إرادتنا، أو أن تهزم إرادتنا، إن ما تمارسه إسرائيل ضد أهلنا في الجولان من قمع، من حصار، من سجن، من تجويع، لن يفيدها في شيء، لأن الأمر لا يتعلق ببطاقة تفرض، ولا يتعلق بقرار يفرض، وإنما يتعلق الأمر بهوية وطنية، وبانتماء قومي، لهذا لن يفيد إسرائيل في شيء أن تمارس كل أكاذيب القمع ضد أهلنا وأبنائنا في الجولان المحتل."

وفي خطابه في تلك المناسبة، يكبر في أهلنا نضالهم المشرف، وملاحمهم البطولية التي يكتبونها على صفحات تاريخ شعبهم العربي فيقول:

"أيها الأبناء: إن أبناءنا وأهلنا في الجولان يضيفون إلى ملاحم شعبهم قطعا من المجد، ويكتبون في تاريخه تعابير ناصعة من الشهادة والوطنية..فتحية لكم يا أبناءنا في الجولان، تحية لكم يا أهلنا في الجولان، تحية لرجالكم لنسائكم لأطفالكم، تحية لكم في مسعدة، تحية لكم في مجدل شمس، تحية لكم في بقعاتا، في عين قينة، في كل بلدة وقرية من قرى الجولان العظيم."

ويحثهم الرئيس المناضل في خطابه على متابعة الصمود والنضال فيقول:

"يا أهلنا في الجولان، يا أهلنا في الجولان، لتتشابك أيديكم مع أيدي إخوتكم من عرب فلسطين في الضفة والقطاع، لتتشابك أيديكم يا أبناءنا في الجولان مع أيدي إخوتكم من عرب فلسطين، لأن العدو واحد، ولأن الطريق واحد، لأن الهدف واحد، ولأن المصير واحد، لأن التاريخ واحد.

فتحية لكم أيها الأبناء في الجولان، وتحية لإخوتكم من عرب فلسطين، واعلموا أن سورية لفلسطين بقدر ما هي فلسطين لفلسطين[١].

نضالهم في حروب التحرير الوطنية من سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٨٢:

لم يتوقف النضال الوطني لأبناء طائفة المسلمين الموحدين (الدروز) يوما عند حد معين، أو تاريخ معين، ولم يتوانوا في كل زمان ومكان عن الدفاع عن أرضهم وعرضهم كلما دعاهم الواجب إلى ذلك، منذ أن كان لهم وجود على الساحة العربية وإلى يومنا هذا، فما كادوا يلقون سلاحهم ضد الاستعمار الفرنسي آخر موجات الظلم التي دفع بها الغرب إلى بلادنا، حتى فوجئوا بالغزو الصهيوني لفلسطين، فهبوا من جديد للدفاع عنها ونصرة قضيتها،

(١) مجموعة خطب الفريق القائد حافظ الأسد ـ الكتاب الثاني عشر ـ مطابع الإدارة السياسية /١٩٨٣/ دمشق

وخاضوا في سبيل تحريرها معارك طاحنة مع إخوانهم العرب في كل مكان تواجدوا فيه، وقدموا خلال ذلك مئات الشهداء، ولن يهدأ لهم بال أو تقر لهم عين، والدم العربي يغلي في عروقهم، ما لم يتحرر آخر شبر من أرضنا العربية المغتصبة في فلسطين والجولان المحتل، وحيث لا يتسع المجال للحديث وسرد التفاصيل عن نضالهم في كل الحروب التي خاضوها في العصر الحديث، وتحديدا منذ سنة ١٩٤٨ وحتى ١٩٨٢م جنبا إلى جنب مع اخوتهم في صفوف القوات العربية السورية المسلحة، ومع أبناء وطنهم في لبنان ضد الغزو الصهيوني له في أوائل الثمانينات، وضد قوات المارينز الأمريكية، ومع إخوانهم الفلسطينيين داخل الأرض الفلسطينية المحتلة دفاعا عن وجودهم هناك، نكتفي بلمحة موجزة عن نضالهم البطولي في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣، وما قدموه فيها من تضحيات جسام، وإذ اخترت هذه الفترة الزمنية من تاريخ نضالهم، فلأنه كان لي شرف المشاركة في تلك الحرب وكنت يومذاك أحد جنودها المقاتلين، وشاهد عيان أرى وأقرأ وأسمع كل ما كان يجري في تلك الآونة عن حرب كانت في ضرواتها لا تقل شأنا عن الحربين العالميتين، بل كانت في تقدير الخبراء العسكريين أحدث وسائل وأشد فتكا منهما، خاضتها قواتنا العربية المسلحة على الجبهتين السورية والمصرية في آن واحد.
ونذكر في الوقت نفسه بعض من نال من مقاتلينا الأبطال من أبناء طائفة المسلمين الموحدين الدروز حصرا، أو سمة الشرف والبطولة، الشهداء منهم والأحياء، ومن استشهد منهم من الضباط من أعلى رتبة إلى أدناها، ممن تمكنا من الحصول على أسمائهم، أما من استشهد من صف الضباط والأفراد فلم نذكر أحدا منهم لأن كتابا خاصا سيصدره أحد أبناء هذه الطائفة المناضلة لهذا الغرض، تحت عنوان "**الشهادة والشهداء في محافظة السويداء**" يشمل كل

الشهداء الذين رووا بدمائهم تراب وطننا العزيز، كل مع صورته الشخصية، وفي محافظة السويداء وحدها.
وقد ذكرت صحيفة البعث السورية في عددها رقم /٣٣٨١/ الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٣/١١ أن السيد الرئيس حافظ الأسد قائد هذه الأمة وباني نهضتها الحديثة، أقام حفلا تكريميا مهيبا على شرف المناضلين الأبطال من أفراد قواتنا المسلحة، وقلدهم فيه أوسمة الشرف والبطولة تقديرا منه لتضحياتهم وبطولاتهم في حرب تشرين التحرير، وأوردت الصحيفة المذكورة خطابه الكامل في تلك المناسبة، ودونت أسماء عدد ممن نالوا الأوسمة ومما قاله السيد الرئيس في خطابه التاريخي:
"إنها لمناسبة سارة أن نلتقي اليوم لنحيي ولنحيا لحظات خاصة من لحظات المعركة ولنقلد الأوسمة تقديرا لبعض الأخوة العسكريين ممن بذلوا جهودا كبيرة في سبيل القوات المسلحة، وممن مارسوا أعمالا بطولية خلال سير المعارك، وممن ضربوا المثل في تضحيتهم وتفانيهم.
"إنني إذ أهنئ الإخوة العسكريين الذين تقلدوا الأوسمة في وقت سابق بعد حرب تشرين، والذين تقلدوا الأوسمة هذا اليوم.. إنني إذ أهنئ جميع هؤلاء الأخوة أريد أن أؤكد ما أشعر به وما تشعرون جميعا به.. ما نعتقده جميعا من أن الأوسمة التي تقلدناها هي: أولا تكريم لقواتنا المسلحة، تكريم لجيشنا البطل قبل أن تكون تكريما لأي عنصر منا، وإننا نحن الذين قلدنا الأوسمة في الماضي أو قلدناها الآن لسنا إلا جزءا من إخوتنا العسكريين المقاتلين، في طول هذا الوطن وعرضه. فتحيتي لكل جندي في هذا الجيش، وتهنئتي لكل جندي في هذا الجيش بهذه المناسبة.."
أما الأبطال الذين قلدوا الأوسمة من أبناء طائفة المسلمين الموحدين وأوردت أسماءهم صحيفة البعث المذكورة فهم على التوالي:

١. أوسمة الشهداء: النقيب الشهيد بيان حسن حديفه
٢. وسام بطل الجمهورية:
ــ المقدم نسيب بن قاسم الزغبي (وقد أنهى خدمته العسكرية برتبة عميد ركن)
ــ الرائد الجوي مجيد بن قاسم الزغبي (وهو اليوم برتبة لواء ركن أيضاً)
ــ النقيب نايف بن طلال العاقل (وقد تقاعد برتبة عميد ركن أيضا) (وهو كذلك أول من رفع العلم السوري على مرصد جبل الشيخ في عملية بطولية لاحتلاله)
٣. الوسام الحربي من الدرجة الممتازة:
ــ العميد الركن متعب بن محمد العبدالله (وقد تقاعد برتبة لواء)
٤. وسام الشرف العسكري برتبة فارس:
ــ الرائد الجوي:عادل بن سلامة الطويل(وقد تقاعد برتبة عميدركن)

وحيث لم نتمكن من إحصاء كل الذين نالوا أوسمة بطولية رفيعة من أبناء الطائفة في حرب تشرين في مناسبات سبقت هذه المناسبة، اكتفينا بما أوردته صحيفة البعث المذكورة آنفاً، واعتبرنا ذلك دليلا واضحا على أن الكثيرين من أبناء طائفة المسلمين الموحدين وغيرهم من أفراد قواتنا المسلحة الباسلة كانوا قد أبلوا البلاء الحسن في أداء واجبهم في المعارك التي خاضوها، وقدموا فيها التضحيات الجسام،ن ونالوا أرفع الأوسمة، وليس بدعاً أن يكون نضالهم هذا وتضحياتهم استمراراً لنضال وتضحيات أسلافهم، وهذا ما يؤكد عمق محبتهم لوطنهم الذي نشأوا على أرضه وتغذوا بلبانه، فاستوجب منهم الدفاع عن كرامته والحرص على أن تظل رايته عالية خفاقة بين الأمم.

وفي الحقيقة إن الشهادة في سبيل عزة الوطن وكرامة أبنائه هي الوسام الأكبر الذي يحظى به المرء في حياته.

وإنصافا للحقيقة والتاريخ، وتذكيرا للأجيال المقبلة، لا بد لنا ــ ونحن في صدد الحديث عن نضال أبناء طائفة المسلمين

الموحدين وفي هذه المرحلة التاريخية بالذات ـ من الاعتراف للملأ، والإقرار بأنهم لم ينصفوا في عهد من عهود القيادات الوطنية السابقة التي توالت على قطرنا العربي السوري، ولم يكرموا ويقدر جهادهم حق تقدير، مثلما أنصفوا وأكرموا وقدر جهادهم وجهاد كل مواطن في هذا القطر، في ظل القيادة الحكيمة للرئيس المناضل حافظ الأسد، الذي رعى الشهادة والشهداء، وكرم الأحياء، وأعلن أن الشهداء "أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر"وقد آل على نفسه إلى جانب ذلك أن يزين صدر كل مدرسة ومؤسسة من مدارس ومؤسسات هذا القطر بوسام من أوسمة الشهادة والبطولة، تخليدا لاسم كل شهيد من أبناء سوريا العزيزة، جاد بروحه في سبيل عزة وطنه وكرامة أمته، وأضاء مشعلا من مشاعل الجهاد المقدس على طريق الشهادة والنصر.

وقد أبر السيد الرئيس بقسمه ووفى بعهده.



نصب تذكاري شيد تخليداً لشهداء
الثورة السورية عام ١٩٢٥

صور من بطولات حرب تشرين

والحديث عن حرب تشرين يقودنا إلى استعراض عدد من صور البطولة النادرة التي سجلها أبناء طائفة المسلمين الموحدين أثناء قيامهم بواجبهم الوطني إلى جانب إخوتهم في السلاح، في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣، وتناقلتها الصحف ووكالات الأنباء العربية والأجنبية، نقتطف بعض ما أورده منها على سبيل المثال الكاتب هاني الشمعة في كتابه "مذكرات جندي في حرب تشرين"، حيث جاء في الفصل الثاني ص٢٤ وما يليها:

"حينما أتحدث عن البطولات التي سجلتها قواتنا المسلحة في حرب تشرين التحريرية، الجماعية منها أو الفردية، فلا يعني ذلك أننا نصنع أمجادا، أو أن نستعيد ذكريات، كي نعرضها صورا جامدة أو لوحات باهتة.. بل نحن نقف عند عتبتها، نأخذ بعبرها، ونستخلص دروسها..ونخاطب من خلال وقائعها عقول أجيالنا وأفئدتهم، كي يتابعوا رسالة الأبطال.. كي يستمروا في درب البطولات، من أجل الوصول إلى هدفنا الكبير في تحرير أرضنا واستعادة ما اغتصب من حقوقنا.. ومهما حاولنا فإننا لن نستطيع أن نحصر الصور الكاملة عن البطولات والأبطال، ولكن القليل من اللمحات والصور يعبر عن عظمة ذلك الإنسان المقاتل الذي سجل أروع صفحات المجد والخلود في تاريخ أمتنا المعاصر.

وتلك هي صور جديدة عن مقاتلينا الأبطال في أيام تشرين الخالدة..

- المقاتل نسيب الزغبي، بطل الجمهورية من سلاح المدرعات، وهو أخ الطيار مجيد الزغبي بطل الجمهورية الذي أسقط ثماني طائرات معادية، بدل دبابته خمس مرات.
- المقاتل نجيب بركات: رفع إلى رتبة أعلى تقديرا لما قدمه من أعمال قتالية كان لها الأثر في التشبث بالأرض وصد هجمات العدو ودحره إلى العمق. يقول هذا المقال في ليلة١٩/١٠ تلقيت

المهمة بقصد الهجوم على العدو في قرية أم باطنة، وتم التحـــرك ليلا، وكان بدء القتال عند أول ضوء، اشتبكنا مع العدو على مسافة /١٤٠٠م/ بواسطة الدبابات، وكانت النتائج الأولية تدمـــير ثمـــاني دبابات سنتريون، وقاعدتي صواريخ، وعندما حاول العدو القيـــام بهجوم معاكس كانت النتيجة النهائية للهجوم إحباط خطـــة العـــدو ومنعه من تحقيق هدفه بعد أن تكبد حوالي خمـــس عشـــرة دبابـــة سنتريون، وأربع آليات مقابل أربع دبابات صديقة، واستشهاد مقاتل وجرح اثنين من رفاقي.

- هناك البطل الشهيد الملازم الأول مرسل مســـعود ــ بطـــل الجمهورية، استطاع بالفعل تمزيق صفـــوف العـــدو، فقـــد قـــاتل بضراوة، واقتحم أصعب المواقف، وكان ينتقل من دبابة إلى دبابـــة أخرى دون أن يبالي بقدمه المكسورة وعينه التي فقدها.. لقد كـــان مشهده رائعا، وينم عن بطولة خارقة.
- الرقيب أول سلمان ملحم: يمكن القول إنه "أبو الكمائن" فـــي "الدلهمية" فقد كان يترصد الأعداء، ثم يكمن لهم مع عنـــاصره ولا يلبث أن يفاجئهم، دمر الرقيب الأول سلمان ثلاث دبابـــات للعـــدو على مسافة خمسين مترا، ثم تابع تحركه ليصطـــاد المزيـــد مـــن الدبابات المعادية التي كانت تشكل كمينا نصب لقواتنا، وقـــد تـــم بالفعل القضاء على الكمين مع عناصره، ورفع الرقيب الأول ملحم إلى رتبة مساعد أول.
- المقاتل جهاد الحلبي ووحدته مثلا، أظهرا كما قال قائدهمـــا كفاءة نادرة خلال المعركة، قال جهاد:عندما انتقلنا إلـــى مربـــض متقدم نفذنا رمايات غزيرة دعمت تقدم القـــوات الصديقـــة، وقـــد واجهنا في أحد مراحل القتال هجوما كثيفا من دبابات العدو علـــى مربضنا، وقد أعطيت لنا الأوامر من قبل القـــائد بالانتقـــال إلـــى المربض التبادلي، ورغم أن مدفعيتنا ذات عيار كبير فقد نفذنا قبـــل الانتقال رمايات مباشرة على العدو مما أدى إلى تدمير عدد منـــها

شوهدت تحترق، وهذا أدى بدوره إلى جمود الدبابات الأخرى وشل تقدمها.

وسألناه: ــ لقد علمنا أن لك أخا في سلاح الطيران، وأن والدك عسكري سابق استدعي خلال المعركة للخدمة.. فما هو شعورك إزاء هذا الجو..؟

أجاب: ــ لقد كنت أشعر أن كل طائرة صديقة تحمي أعمال قواتنا هي الطائرة التي يقودها أخي، وكان هذا الشعور يزيد من حماسي لأقاتل بضراوة أكبر.. الوطن كله أسرة واحدة، وفي المعركة كان لكل فرد من هذه الأسرة دوره في تحقيق النصر.

• ومن البطولات الفذة لأفراد قواتنا الباسلة في حرب تشرين، بطولة المقاتل الرقيب المجند ذوقان أنيس أبو ترابي، قابلتها أيضا مكافأة نادرة له تحقيقا للمبدأ الذي أقره الرئيس المناضل حافظ الأسد بمكافأة وترقية كل جندي أبلى البلاء الحسن في القتال، وسجل في نضاله الوطني بطولة تذكر.

كان المقاتل ذوقان يخدم في السلاح المضاد للدرع، واشترك في أكثر من عملية قتالية في حرب تشرين، كوفئ على إثرها بترفيعه أثناء المعركة من رقيب مجند إلى رتبة ملازم شرف، ثم أرسل بعد وقف إطلاق النار إلى الكلية الحربية ليتابع دراسته العسكرية ويتخرج فيها من جديد برتبة ملازم عامل، ثم توالى ترفيعه أثناء خدمته إلى أن وصل إلى رتبة عقيد، وهي الرتبة التي أنهى خدمته العسكرية فيها.

يقول المقاتل ذوقان عن المهام القتالية التي أسندت له في حرب تشرين، وما حققه فيها من نتائج: "كلفت وحدتي بالتقدم لحماية القطاعات العسكرية في قرية "أم باطنة" في القطاع الشمالي من جبهة القتال، وقد تمكنت في حينها من وقف زحف العدو، وفي اليوم الثاني للمعركة أعطيت الأوامر إلى وحدتي لتتابع تقدمها وتدخل الأرض المحتلة في القطاع الجنوبي ــ منطقة خسفين ــ

وتجابه العدو وجها لوجه لتدمير أهدافه وقطع الطريق عليه للحيلولة دون تقدمه باتجاه قواتنا التي دخلت الأرض المحتلة، وقد أشـــرفت بعربتي القتالية على أرض المعركة من مكان مرتفع كنت قد كمنـت فيه، وتلقيت أثناء ذلك أمرا بتدمير آليات العدو المتقدمة باتجاهنـــا، فبدأت بقصف آلياته من الخلف لأقطع طريق العودة عليه، ثم لأدمر بعد ذلك أكبر عدد ممكن من دباباته، فدمرت له في تلـــك اللحظـــة خمس دبابات من نوع سنتريون بخمس قذائف خلال خمس دقـــائق، فتوقف زحف العدو نحو قواتنا في الحال، وبعد ذلك كلفت وحدتـــي بمهمة قتالية ثانية لإيقاف زحف العدو الخارق في منطقة غبـــاغب، فاشتبكت معه في القتال ودمرت له آليتين من آلياته شرقي تل عنتر بعربتي التي كنت أقاتل بها، وفي نبع الصخر في مهمة قتالية ثالثة، تلقينا أمرا بمباغتة العدو المتمركز في تل المال وتل مسحرة لمنعـــه من التقدم نحو قواتنا الأمامية، فتمكنت في هذه المهمة مـــن تدمـــير آليتين له وهما بلدوزر وسيارة لاندروفر، ليصبح مجموع ما دمرته للعدو في المهمات الثلاث تسع آليات.

ويتابع المقاتل ذوقان حديثه فيقـــول: وأثنـــاء حـــرب الاســـتنزاف اشتركت شخصيا في عملية قتالية في جبل الشيخ وكان النجاح فيـــها حليفنا، وأثناء الغزو الاسرائيلي للقطر اللبناني الشقيق سنة /١٩٨٢/ كلفت وحدتي بالدخول إلـــى الأرض اللبنانيـــة لاحتـــلال منطقـــة المديرج، ومنع تقدم قوات العدو باتجاه عين دارة، وكنت آنذاك قـــد أصبحت برتبة نقيب، فاشتبكت وحدتي مع قوات العدو في (عيـــن دارة) وتمكنت من إيقاف زحفها إلى عمق الأرض اللبنانية نهائيا.[١]

(١) ـ مقابلة شخصية معه في ١٩٩٧/١/١٧ ـ المؤلف.
ـ مقابلة شخصية معه أيضا لمندوب جريدة الثورة السورية في شهر تشرين ثاني من عام ١٩٧٣ مع الصور.
ـ مقال صحفي كتبته عنه صحيفة البعث السورية في ١٩٨٢/٦/٢٥

- كثيرون هم المقاتلون الأبطال الذين نالوا مكافآت وترقيات شبيهة بمكافأة وترقية المقاتل ذوقان، تقديرا لأعمالهم البطولية التي انفردوا بها في حرب تشرين، ولكن المجال يضيق عن إحصائها وسرد وقائعها، وإنما نذكر واحدة منها على سبيل المثال نالها المقاتل سلمان الصفدي، فقد رقي أثناء عملياته القتالية البطولية إلى رتبة ملازم، وطلب منه الالتحاق برفاق السلاح في الكلية الحربية، ليضاعف معلوماته العسكرية ويغنيها، وتوالت ترفيعاته بعد ذلك إلى أن وصل إلى رتبة عقيد، الرتبة التي أنهى خدمته العسكرية فيها، وقد كتبت عنه صحيفة تشرين في عددها رقم /١٦٥٣/ تاريخ ١٥/١٠/١٩٨٠ الحديث التالي:
- المقاتل سلمان الصفدي: تجرع نكسة الخامس من حزيران.. وعض على جرحه بكبرياء، شأنه في ذلك شأن باقي أبطال قواتنا المسلحة، وأخذ يعد العدة لليوم الموعود، وقد كانت له تجربة مع عدونا الغاصب، الذي دنس أرضنا، واحتل ديارنا، وذلك حينما قام بالهجوم على بعض آليات للعدو بعد الخامس من حزيران، حينما كانت تقوم بإنشاء التحصينات على الخط الأول، حيث استطاع تدمير بعض هذه الآليات، والاشتباك مع دبابات العدو، وإصابة اثنتين منها، منذ ذلك الوقت ترسخت لديه القناعة السابقة بأن قواتنا متى أتيحت لها فرصة القتال فلن تكون إلا كما عهدها شعبنا، وقد جاءت مكافأة السيد الرئيس حافظ الأسد آنذاك له حيث رفعه لرتبة ملازم، وطلب منه الالتحاق برفاق السلاح في الكلية الحربية، ليغني معلوماته استعدادا لليوم الموعود، والتحق سلمان بزملائه، كان مثالا للانضباط العسكري، وللروح المعنوية العالية، وتخرج بعد أن أصبحت معلوماته العسكرية أكثر غنى، والتحق بإحدى قطاعاتنا المحاربة، وبدأ مع جنوده التدريب المستمر والشاق، والكل يتطلع إلى إشراقة يوم يثبتون فيه للعالم جدارة المقاتل العربي، وجاء فجر السادس من تشرين وحقق سلمان حلمه، سيما

معركة الخشنية حينما التقى أحد تشكيلاتنا المدرعة بتشكيل العدو، ودارت رحى المعركة، وتراجع تشكيل العدو مدحورا، وبقي سلمان ينتقل من دبابة إلى أخرى، يقاتل ببسالة الرجال، فكان عند حسن ظن القائد به، إلى أن أصيب بإصابة غادرة، نقل على أثرها إلى المشفى، حيث احتضن بعطف ومحبة شعبنا وقيادتنا التي لم تبخل على جرحانا وأسر شهدائنا بشيء، وقد لبت القيادة رغبته بالعودة إلى صفوف قواتنا المسلحة رغم إصابته القاسية." وقد توالى ترفيعه من رتبة إلى رتبة وهو على رأس عمله إلى أن أنهى خدمته العسكرية برتبة عقيد (المؤلف).

وها هو نص القرار الصادر عن وزارة الدفاع لإرساله إلى الكلية الحربية كما ورد حرفيا:

..لاحقا للأمر الإداري رقم ٦٩/٩٧٧ المعمم برقم ٢/٣١١/١١٧٤٦ تاريخ٢٧/١٠/١٩٦٩ المتضمن قبول طلاب الكلية الحربية ــ الصف المستجد، دورة عام (٧٠ ــ ٧٢) أقر مايلي:

١. يقبل الرقيب الأول المتطوع سلمان عبدالله الصفدي رقم ٤١٧٣٥ من مرتبات اللواء٨٦ الكتيبة ١٦٥ في الكلية الحربية ــ الصف المستجد دورة عام ٧٠ ــ ٧٢ بصورة استثنائية تقديرا لشجاعته الفائقة التي أبداها أثناء الاشتباك مع العدو في ١٩٦٩/١٢/٨.
٢. على اللواء ٨٦ تسيير الرقيب الأول المذكور أعلاه للالتحاق بالكلية الحربية فورا.

الفريق الجوي حافظ بن علي سليمان الأسد
وزير الدفاع

وقد أوردت صحيفة تشرين المذكورة تحقيقا عن بطولات عدد من مقاتلينا الأبطال في حرب تشرين نذكر منهم على سبيل المثال:

الشهيد المقاتل زيد كرباج:

في مدرسة المدرعات كان مثالا في سرعة تلقي المعلومات العسكرية واستيعابها، استطاع رشف تلك المعلومات لدرجة أهلته ليكون الأول على دورته، فقد أصبح من أبرع المتعاملين مع الدبابة، بمتطلباتها كافة، والتحق بالخط الأول للجبهة، وأخذ يطبق بشدة ما تلقاه من تلك المعلومات، يدرب وينتظر بشوق ولهفة اليوم الذي سنثأر به، حتى جاء السادس من تشرين، فشفى غليله، قاتل ببسالة الرجال بعد أن اندفع بدبابته كرأس سهم وكأنه ذاهب إلى عرس، لم يستشهد مقهورا وإنما تحقق ما تمناه، بعد أن رأى اندحار العدو وتراجعه، وشاهد طائراتنا التي كانت تلعب في سماء الجولان متحدية فخورة، ولم يكن سائق دبابته أقل شجاعة عندما استطاع وسط الليل الدامس إسعاف زميله الجريح الذي كان يرفض الإسعاف على الرغم من جرحه الخطير، ولكن قائد التشكيل احتضنه وأرسله إلى المشفى، بعد أن قال إنني أعرف أنكم أبطال، وما من أحد منكم إلا وكان مثالا للرجولة الحقة.

- المقاتل الشهيد معذى الدبيسي: استطاع هذا المقاتل تلقين العدو العديد من الدروس خلال تواجده في النسق الأول، سواء في حرب تشرين التحريرية من خلال الاشتباكات التي وقعت قبل السادس من تشرين، لقد استطاع مع رفاقه في حرب تشرين أن يقهر العدو الذي تراجع أمام ضربات قواتنا، وبقي معذى يقاتل مع جنوده كأروع ما يكون القتال، إلى أن استشهد برصاصة غادرة."
- المقاتل الشهيد كمال عبيد: وقد روى شاهد عيان في جبهة القتال عن بطولة النقيب الشهيد كمال عبيد، الذي كان من أكفأ المدربين العسكريين في كلية الضباط الاحتياط بحلب، أنه رآه بأم عينه يلاحق دبابات العدو المتراجعة بقاذفه المضاد للدرع الذي كان يحمله على كتفه، ويقفز به من مكان إلى مكان عاري الصدر،

ويرميها بقذائفه وجها لوجه، وقد دمر للعدو عدة دبابات قبل أن يستشهد بنيران إحداها ــ المؤلف ــ

• ومن البطولات النادرة التي حققها الرائد الشهيد كمال نصر، ما رواه الكاتب هاني الشمعة عنه في كتابه الثاني "معارك خالدة في تاريخ الجيش العربي السوري" ص١٦٦ وما بعدها:

"جاءت شقيقته (شقيقة كمال نصر) وهي تحبه كثيرا، جاءت عام /١٩٧١/ ترجو السيد قائد القوى الجوية بأن يحوله إلى عمل آخر في القوات المسلحة غير عمله كطيار، لأنه كما قالت "جريء إلى الحد الذي يخيفها على مصيره.." وقد قدرت قيادة القوى الجوية في حينه مشاعر شقيقته ووالدته أيضا، وقررت نقله إلى عمل آخر في القوى الجوية، إلا أن البطل كمال نصر أصر على أن يبقى بطلا طيارا في الأسراب القاذفة المقاتلة، وقد أبلى في حرب تشرين التحريرية بلاء حسنا، وانطلق البطل نصر على رأس تشكيل قاذف مقاتل في عملية جريئة لضرب مقر القيادة الرئيسية للقطاع الشمالي في "ميرون" قرب صفد، وكان مع البطل كمال نصر الطيار المشكل زكريا ضماد، وبعض الطيارين الآخرين، وقد وصل نسورنا إلى المقر وقصفوه بالصواريخ والقنابل، ويروي الطيار زكريا ضماد أن البطل كمال نصر طاف حول المقر للمرة الثانية، وما تزال في طائرته بعض الذخيرة، ثم انقض على المقر، وشاهده الطيار زكريا ضماد وقد أصبحت طائرة كمال نصر وهي من نوع "سوخوي" كتلة من اللهب اختلطت في الانفجارات التي انطلقت من "ميرون"

ويضيف زميله الطيار زكريا ضماد قائلا:

"بعد أن نفذت المهمة، تذكر قائد الرف كمال نصر أن قذيفة واحدة بقيت لديه، سألته ما هي؟ ، أجاب كمال: إنه قلبي.. القنبلة الأخيرة، ودار حول الهدف، ودخل فيه مفجرا القنبلة الأخيرة !!

وفي اليوم التالي من تنفيذ مهمة تدمير "ميرون" استشـــهد الطيـــار البطل زكريا ضماد.

وكتبت مجلة "الأسبوع العربي" إبان حرب الاستنزاف عام /١٩٧٣/ تحقيقا عن حرب تشرين وتحت عنوان "بطولات دمشقية" جاء فيه:

"استمعت في دمشق إلى قصص بطولية عن حرب تشرين يرويـــها الرواة دون أن يهتز للراوي جفن، وهـــي قصـــص تفـــوق فـــي صعوبتها وأسطوريتها أية قصة سينمائية شـــاهدها أي منـــا فـــي حياته..

"أما قصة الرائد الطيار كمال نصر فـــهي مثـــال فـــي البطولـــة والتضحية، الرائد الشهيد كمال نصر عربي سوري من السويداء.. وحيد بين ثلاث شقيقات.. في الأيام الأولى للقتال قاد الرائد نصـــر سربا من قاذفات "ســـوخوي" المعـــدة أساســـا لتســـهيل تحـــرك المدرعات.. وقد قامت القاذفات بمهمتها التدميرية، وبعد ســـاعات اتصل الرائد نصر بالقيادة مبلغا إياها نجاح مهمته ونفاذ ذخيرتـــه، فأمرته القيادة بالعودة إلى المقر العام.. أشار الرائد البطـــل علـــى رفاقه بوجوب العودة.. ثم صوب قاذفته إلى مقر قاعدة صواريـــخ العدو وانقض عليها مدمراً القـــاعدة ومستشـــهداً علـــى الطريقـــة اليابانية.."

هذا وتكريماً للشهادة والشهداء أوعز السيد الرئيس حـــافظ الأســـد القائد العام للجيش والقوات المسلحة بالخطوات التالية:

١. تسمية دورة جوية بمعهديها الجوي والفني باسم الشهيد كمال نصر بتاريخ ١٩٧٥/١٠/٢ في الكلية الجوية بحلب.
٢. إنجاز نصب تذكاري وتمثال نصفي من البرونز للشهيد.
٣. إقامة حفل تأبين لائق ببطولة الشهيد وتضحيته يرعاه نـــائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة السيد وزير الدفاع.

٤. تسمية مدرسة باسم الشهيد في مسقط رأسه في قرية عرمان /محافظة السويداء/[1]

جدول رقم ــ ١ ــ

لائحة بأسماء عدد من الشهداء الضباط من أبناء محافظة السويداء وحدها، ممن تمكنا من الحصول على أسمائهم، وقد نالوا شرف الشهادة في الحروب التي خاضتها قواتنا العربية السورية المسلحة ضد العدو الصهيوني منذ سنة ١٩٦٧ وحتى سنة ١٩٨٢، السنة التي غزا فيها الإسرائيليون لبنان الشقيق.

مسلسل	اسم الشهيد	رتبته	بلدته	تاريخ استشهاده
١	رفيق حلاوة	عقيد	صلخد	١٩٧٣
٢	شامل المصفي	عقيد	امتان	١٩٧٣
٣	أجود أبو رايد	مقدم	طربا	١٩٩٣
٤	سلمان الصفدي	رائد	صلخد	١٩٧٣
٥	حكمت السعدي	رائد طيار	صلخد	١٩٨٢
٦	كمال الحجار	رائد	شنيرة	١٩٧٣
٧	مهنا جادو مطرد	مقدم	الدويرة	١٩٨١
٨	كمال نصر	رائد طيار	عرمان	١٩٧٣
٩	كمال عبيد	رائد	السويداء	١٩٧٣
١٠	أيمن مداالله هنيدي	نقيب	المجدل	١٩٨٢
١١	سليمان عبد الدين	نقيب طيار	السويداء	١٩٧٣
١٢	مروان أسعد كيوان	نقيب	سهوة الخضر	١٩٧٣
١٣	بيان حسن حديفه	نقيب	الكفر	١٩٧٣
١٤	رياض فواز أبو مغضب	نقيب	بهم	١٩٨٢
١٥	مرسل مسعود	نقيب	الرحي	١٩٧٣
١٦	غازي الدبس	نقيب	القريا	١٩٧٣

[1] صالحة نصر ــ شقيقة الشهيد كمال نصر: الضابط الطيار كمال نصر مناضلا وشهيدا، بمناسبة مرور عشر سنوات على استشهاده ص٣٥ -٣٩ ــ دمشق ــ مطابع ألف باء الأديب /١٩٨٣/

جدول رقم ـــ ٢ـــ

مسلسل	اسم الشهيد	رتبته	بلدته	سنة استشهاده
١٧	جميل فهد أبو صعب	نقيب	الرحى	١٩٨٢
١٨	كمال مسعود	مقدم	الخرسا	١٩٨١
١٩	سليم شيّا	ملازم أول	قراصة	١٩٦٧
٢٠	مشهور عامر	نقيب	السويمرة	١٩٦٧
٢١	زيد شلغين	ملازم أول	صميد	١٩٧٣
٢٢	فواز البدعيش	ملازم أول	السويداء	١٩٧٣
٢٣	هايل مرشد	ملازم أول	السويداء	١٩٧٣
٢٤	ابراهيم سليم زين الدين	ملازم أول طيار	شهبا	١٩٦٧
٢٥	تركي صالح الصفدي	ملازم أول	الدويرة	١٩٧٣
٢٦	صقر أبو عساف	ملازم أول	سليم	١٩٦٧
٢٧	فاضل عبد السلام الدعبل	ملازم أول	المنيذرة	١٩٧٣
٢٨	معذى محمود أبو عاصي	ملازم شرف	الحريسة	١٩٧٣

جدول رقم ـــ٣ـــ

مسلسل	اسم الشهيد	رتبته	بلدته	تاريخ استشهاده
٢٩	غالب العيسمي	نقيب	امتان	١٩٨٢
٣٠	**منصور العلي**	ملازم أول	تعلا	١٩٨١
٣١	**عصام خضر**	ملازم أول	السويداء	١٩٦٧
٣٢	**منير قصوعة**	نقيب	وقم	١٩٧٣
٣٣	**عصام حرب**	ملازم أول طيار	المجيمر	١٩٧٧
٣٤	**محمد نصر**	نقيب	نجران	١٩٧٣
٣٥	**زيد كرباج**	ملازم أول	أم الزيتون	١٩٧٣
٣٦	**توفيق العطار**	ملازم أول	المتونة	١٩٧٣
٣٧	**سلمان خيو**	نقيب	رضيمة	١٩٧٣
٣٨	**معذى الدبيسي**	نقيب	عرمان	١٩٧٣
٣٩	**ممدوح خالد نصار**	ملازم أول	السويداء	١٩٧٣
٤٠	**نزيه حمود النمر**	نقيب	البثينة	١٩٨١

جدول رقم – ٤ –

هذا ، ولم يقف عدد الشهداء الذين جابهوا العدو وجها لوجه – حسب تعريفهم للشهيد –عند هذا الرقم ، بل هناك الكثير منهم ممن لم نحظ بأسمائهم ولما لم يكن لنا في ذلك غاية احصائية ، نذكر عددا آخر ممن استشهدوا على رأس عملهم أثناء قيامهم بمهمات تدريبية قتالية ، وصُنّفوا في سجلات خدمتهم العسكرية تحت عنوان : (حالة مشابهة).

١ – أكرم حسين سلام	رائد طيار	طربا	١٩٨٨
٢ – رياض الحسين	رائد طيار	السجن	١٩٨٦
٣ – نسيب سليم	نقيب طيار	عتيل	١٩٨٦
٤ – هيثم زيد ريدان	نقيب طيار	حبران	١٩٨٧
٥ – يحيى القنطار	ملازم أول طيار	داما	١٩٧٦
٦ – حسين فارس الحلبي	ملازم أول طيار	عتيل	١٩٧٤
٧ – فهد فاضل الضاهر عزام	ملازم أول	عريقة	١٩٧٣
٨ – عصام نايف البعيني	ملازم أول طيار	السويداء	١٩٦٧
٩ – عبد الله عواد	ملازم أول	شهبا	١٩٧٣
١٠ – حمود عايد أبوحسون	ملازم أول	شقا	١٩٧٣
١١ – حمدان عمرو	ملازم أول طيار	السويداء	١٩٦٩
١٢ – عارف أبو هدير	ملازم أول طيار	القريا	١٩٨٦
١٣ – سميح فواز عماد	ملازم أول طيار	امتان	١٩٨٦
١٤ – تيسير غزالة	ملازم أول طيار	ملح	١٩٧٨
١٥ – فريد الصحناوي	ملازم أول طيار	الجنينة	١٩٧٧
١٦ – أحمد عزام	ملازم أول طيار	الدويرة	١٩٧٢
١٧ – سالم أبو خير	رائد طيار	أم الرمان	١٩٧٧

نضال المسلمين الموحدين "الدروز" السياسي

لم يكن نضال المسلمين الموحدين الدروز الوطني وقفاً على الحروب والمعارك التي خاضوها ضد الاستعمار عبر تاريخهم الطويل، بل كان لهم نضالهم الواسع في الميادين السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، أما في الميدان السياسي، فقد كان لهم نشاطهم الواسع داخل أوطانهم وخارجها، ومشاركة كبيرة في الأحزاب القومية والمؤتمرات الإسلامية، منذ العهد العثماني وحتى يومنا الحاضر، تلك الأحزاب التي عملت في سورية ولبنان، وخارجهما من أجل توحيد الأقطار العربية، أو جزء منها واستقلالها.

وقد ساهم الموحدون الدروز في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٢٦و١٩٣٦ في نشاط الأحزاب التالية:

١. حزب الاستقلال: الذي كان الممثل السياسي العلني لجمعية العربية الفتاة، والذي دعا إلى توحيد سورية واستقلالها في مطلع عهد الانتداب الفرنسي، وكان من أعضائه البارزين: أمين وعادل أرسلان، وسعيد طليع، وعارف النكدي، وفؤاد سليم، وقد ترأسه رشيد طليع[1].

٢. حزب الاتحاد السوري اللبناني: الذي كان خليل سيف من مؤسسيه، وشكيب أرسلان، أمين سره، وطعان العماد أحد أعضائه، وأحد أعضاء الحزب الوطني العربي الذي نادى باستقلال الأقطار

---

(١). سميح شبيب: "حزب الاستقلال العربي في فلسطين" ١٩٣٢-١٩٣٣، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨١،ص٥٠-٥١، وعجاج نويهض "رجال من فلسطين " ص٣٥٤،ودروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي الذي أخذت منه هذه الفقرة، وحسن البعيني ص٢٢٩

العربية بدون حماية أجنبية أو انتداب، واتخذ(بونس آبـــرس) فـــي الأرجنتين مركزا له وكان له فروع في معظم دول أميركا.[1]

٣. حزب سورية الجديدة: أســـس فـــي الولايـــات المتحـــدة الأمريكية لمؤازرة الثورة السورية الكبرى، وقد ناصرها منـــاصرة فعالة بما قدم لها من دعم معنوي وسياسي ومادي، ودعـــا لوحـــدة لبنان وسورية، وشكل الموحدون الدروز المهاجرون نسبة كبـــيرة من أعضائة ولجنته التنفيذية، وكان عياش أبو شقرا أمين سره[2]

٤. حزب الاستقلال العربي: شارك عجاج نويهض في تأسيســه عام ١٩٣٢، وكان مركزه القدس، ومبادئه تتلخص بالعمل لاستقلال البلاد العربية وتوحيدها، والنهوض بها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بما في ذلك فلسطين التي هي جزء طبيعي من سورية[3]

٥. حزب الكتلة الوطنية: كان هذا الحزب في الأصـــل تجمعـــا لشخصيات وطنية انطلقت من مبدأ وحدة العمل بين سورية ولبنـان، وتعود بدايته إلى مؤتمر بيروت في ١٩ تشرين الثاني عـام ١٩٢٧، الذي عقده مندوبون عن بيروت وطرابلس ودمشق وحمص وحلـب للرد على بيان المفوض السامي(بونسو) لكن نشـــاطه تركـــز فـــي سورية، وأنضم إليه عدد كبير من المسلمين الموحدين الدروز حيث عملوا بقيادة محمد عز الدين الحلبي على ربط الجبـــل بالحكومـــة السورية، وضع قانونه الأساسي في مؤتمر حمص في ٤ تشـــرين

---

[1] "مسعود ضاهر" (تاريخ لبنان الاجتماعي) ص ٢٦٧، (البيان) بيروت عـــدد ٣٠ أيـــار ١٩٢٦/ والمرجع السابق، د.حسن البعيني ص٢٢٩.

[2] المصدر السابق ص ٢٢٩

[3] المصدر السابق ص ٢٣٠سميح شبيب(حزب الاستقلال العربـــي) صفحـــات متفرقـــة، ومبادئ حزب الاستقلال العربي محمد دروزه،(القضية الفلسطينية في مختلف مراحلـــها) ج - بيروت ١٩٥٩/٢٠٩.

الثاني/١٩٣٢/ وهو ينص على تحرير البلاد السورية وتحقيق استقلالها وسيادتها، وتوحيد أراضيها المجزأة[١].

٦. حزب الشباب الوطني: وهو إحدى منظمات الكتلة الوطنية، مركزه دمشق، أسس له فرع في جبل العرب برئاسة علي مصطفى الأطرش، برنامجه وطني وحدوي[٢].

٧. الحزب القومي العربي: شارك في تأسيسه محمد علي حماده وفريد زين الدين، وكانا من أعضاء قيادته العليا السبعة كما يذكر أحد مؤسسيه منير الريس، وكان وراء تأسيس النادي العربي في دمشق عام ١٩٣٦، وهو يقوم على مبادئ عربية شاملة، ويعمل بشكل سري لتحرير أجزاء الوطن العربي[٣].

٨. الجمعية العربية السورية: أسست في أوربا من الطلبة السوريين واللبنانيين، وهي ذات توجه عربي وحدوي، تسلم رئاستها محمد علي حماده، وانتسب إليها حليم أبو عز الدين، واختير نائبا لرئيسه[٤].

٩. حزب عصبة العمل القومي: أسس في اجتماع قرنابل في ٢٤ آب ١٩٣٣، الذي حضرته شخصيات وطنية من لبنان وسورية ومصر والعراق، مركزه مدينة دمشق، يرمي إلى وحدة البلاد العربية واستقلالها والنهوض بها، كان علي ناصر الدين أحد مؤسسيه وأحد قادته الثلاثة وأمين سره العام في لبنان، ومسؤوله

---

[١] د.حسن البعيني – المصدر – نفسه ص ٢٣٠

[٢] د.حسن البعيني – المصدر نفسه ص ٢٣٠

[٣] المصدر السابق ص ٢٣١ – ومنير الريس في الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي(ص١٥٠)

[٤] دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠ – ١٩٤٣ – د.حسن البعيني.

العام في دمشق فهمي المحايري، وأمين سر فرع العصبة في جبل العرب سعيد أبو الحسن[1].

المؤتمرات الإسلامية:

أما المؤتمرات الإسلامية التي شارك فيها المسلمون الموحدون الدروز فكانت:

- مؤتمر دمشق في ٢٣ حزيران ١٩٢٨، وقد أكد هذا المؤتمر على تحقيق الوحدة السورية وإعادة الملحقات إلى سورية[2].
- مؤتمر ١٨ كانون الثاني ١٩٣٢ في بيروت: وقد انتخبت لجنة من ثلاث أعضاء يمثلون السنة والشيعة والدروز، مهمتها اتخاذ الوسائل الشرعية لتأمين سير الإحصاء المزمع القيام به، وإنصاف المسلمين، والمطالبة برئاسة الجمهورية[3].
- مؤتمر بيروت في ١٠ آذار ١٩٣٦، تمثل الموحدون الدروز فيه بعلي ناصر
- الدين وأمين خضر اللذين وقعا على مذكرة مرفوعة إلى المفوض السامي (دي مارتيل) تؤكد مقررات مؤتمر الساحل السابقة، لاسيما منها ما يتعلق بالوحدة مع سورية.
- المؤتمر الإسلامي العام في القدس الذي انعقد لإعلان تضامن المسلمين في العالم مع الفلسطينيين وحضره شكيب ارسلان، وعلي ناصر الدين، وعلي عبيد، وعجاج نويهض، وكان من أهداف المؤتمر: الوحدة، ومقاومة عمل التجزئة، ورفض الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه[4]

---

[1] نفس المرجع السابق.

[2] نفس المرجع السابق.

[3] نفس المرجع السابق.

[4] نفس المرجع السابق.

كان هذا نشاط المسلمين الموحدين(الدروز) السياسي في عهد الانتداب الفرنسي.

أما اليوم فقد برز نشاطهم السياسي في ميادين أشمل وأعم. وكان لهم نشاط متميز في ميادين متعددة، علمية واقتصادية واجتماعية وفنية، وغيرها من سائر الميادين.

أما نشاطهم السياسي فقد انحصر في انتساب معظم أبنائهم لحزب البعث العربي الاشتراكي، القائم في مبادئه الأساسية وأهدافه الاستراتيجية على تحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية بين دول الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، ومن بين المنتسبين إلى هذا الحزب الذي يقوده أمينه العام الرئيس المناضل حافظ الأسد مجموعة كبيرة من أبناء المسلمين الموحدين الدروز كما ذكرنا، ونشاطاتهم فيه تتوزع على القطاعات التالية:

١. القيادات السياسية، وتشمل قيادات حزب البعث العربي الاشتراكي القومية والقطرية وقيادات فروعه.
٢. الوزراء والسفراء وقناصل الدول، والملحقين بالسفارات الخارجية في كافة مناحي النشاطات والواجبات الوطنية.
٣. المؤسسات الدستورية، وتشمل القضاة والمحامين ورؤساء الدوائر.
٤. القيادات العسكرية: وتشمل المنتسبين إلى صفوف القوات السورية المسلحة من رتبة لواء ومادون، موزعين على كافة فروع الاختصاص.

- **نشاطاتهم في بقية الميادين العلمية والاقتصادية والاجتماعية**

وتشمل القطاعات التالية:

القطاع العلمي ويضم :

- الأساتذة الجامعيين والمعيدين في جميع الفروع العلمية
- المدرسين والمعلمين في المدارس الثانوية والمعاهد العلمية والمراحل الابتدائية، والجدير بالذكر أن أعلى نسبة في القطر العربي السوري بين المثقفين والمتعلمين بالنسبة لعدد السكان هي من أبناء المسلمين الموحدين الدروز، ولتأكيد ذلك نذكر هنا على سبيل المثال آخر إحصائية لعدد أفراد الكادر التعليمي في محافظة السويداء وحدها حتى عام ١٩٩٥م

عدد المعلمين والمعلمات:	٣٠٤٢
عدد المدرسين المساعدين والمدرسات المساعدات:	٢٥٤٣
عدد المدرسين والمدرسات:	١٠٢٩
عدد معلمي الحرف:	٠٤٦٧
المجموع:	٧٠٨١
عدد الذكور من مجموع ما ذكر:	٣٣٤١
عدد الإناث:	٣٧٤٠

وقد بلغ عدد المدارس والتلاميذ حسب آخر إحصائية في هذا الصدد كما يلي:

١. المرحلة الابتدائية حتى سنة ١٩٩٢

عدد المدارس ٢٢٢ عدد التلاميذ ٤٩٦٣٥ عدد المعلمين ٢٦١٨

ونسبة الذكور بين تلاميذ المرحلة الابتدائية حوالي ٥٢% والإناث ٤٨%

أما الذكور بين المعلمين فهي ٢٨% ونسبة الإناث ٧٢%

٢. المرحلة الإعدادية-حتى سنة ١٩٩١

عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد المدرسين
٦٠	٢١١٤٨	١٦١٥

نسبة الذكور بين طلاب هذه المرحلة ٥٢%، ونسبة الإناث ٤٨%

٣. المرحلة الثانوية حتى سنة ١٩٩٢

عدد المدارس	عدد الطلاب
٢٣	٥٧٥٤

٤. المدارس الثانوية والمهنية لعام ١٩٩٢ كانت كما يلي:

عدد المدارس	عدد الطلاب
٢٣	٢٧٦

٥. التعليم الصناعي الفني والمهني في العام الدراسي ١٩٩٢/١٩٩٣ التعليم الصناعي المهني- التعليم التجاري- التعليم النسوي الفني- التعليم النسوي المهني

٢٧٤ طالبا	٤٣٦طالباوطالبة	٧٤٨طالبة	٣٩٨طالبة

مجموع طلاب هذه المدارس ١٢١٤

وعدد المهندسين والمدرسين فيها ٢٠٩

أما في وقتنا الحاضر فقد تطورت العملية التربوية تطوراً ملحوظاً في مجالاتها المختلفة، وذلك لتطور مرافق الحياة الأساسية كالكهرباء التي وصلت إلى كل بيت في قرى محافظة السويداء وبقية المحافظات التي يتواجد فيها أبناء المسلمين الموحدين الدروز، وطرق المواصلات، ومشاريع المياه، ووسائل النقل الحديثة، ووسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية، وغير ذلك، وهذا ما تؤكده الدراسة التالية:

١. البناء المدرسي الذي غطى أكثر من ٩٠% من حاجة المحافظة إلى البناء المدرسي.
٢. تنوع التعليم وتعميمه، فإلى جانب التعليم الثانوي العام يوجد التعليم الفني التجاري والصناعي والنسوي، وضمن التعليم الصناعي توجد حرف متنوعة، منها الكهرباء، الإلكترون، الخراطة والتسوية، الميكانيك، التجارة، الحدادة..

وافتتحت دار المعلمين والمعلمات التي أسهمت في تأمين الكادر التعليمي من أبناء المحافظة المؤهل للمرحلة الابتدائية بصورة كافية، ومعهد إعداد المدرسين والمدرسات، الذي يضم أقساماً متنوعة تلبي حاجات المحافظة من المدرسين المساعدين في كافة الاختصاصات..

٣. استقرار الكادر التعليمي والتدريسي، إذ أن كل معلمي المدارس الابتدائية هم من أبناء وبنات المحافظة.

ومحافظة السويداء هي إحدى محافظات ثلاث في القطر العربي السوري تتميز بهذه الخاصية (استقرار الكادر التعليمي والتدريسي)

٤. تأمين الخدمات الصحية للطلاب من خلال دائرة الصحة المدرسية التابعة لمديرية التربية، ولها مراكز صحية تابعة لها في عدد من الأحياء والقرى، تقدم الخدمات العلاجية المجانية للطلاب.

٥. الأنشطة الثقافية والترويحية من خلال مسرح التربية في المحافظة، والتي ترعاها مديرية التربية [١].

والحديث عن الأنشطة الثقافية يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الحياة الفكرية والثقافية في مجالات الإبداع المتنوعة والدراسات والأبحاث المختلفة لدى العديد من أبناء الموحدين الدروز في سورية ولبنان معا، ونذكر عددا من المثقفين الذين نشر نتاجهم في كتب خاصة بهم داخل القطر وخارجه.

- **العلامة الأمير شكيب أرسلان**

أمير البيان، الذي قيل عنه إنه كان أمة في رجل، فحياته ملحمة جهاد في سبيل العروبة والإسلام،وفي سبيل حرية الشعوب في كل قطر و في كل بلاد، وفي سبيل نصرة المظلوم كائنا من كان، وفي سبيل نشر العلم والمعرفة على كل صعيد، كان أعجوبة في غزارة إنتاجه، كتب الأمير في السياسة والاجتماع، والتاريخ والسيرة، والأدب واللغة، والشعر والترسل وغيرها، فخلف تراثا هو ثروة

[١] "سويداء سورية " إعداد الأساتذة: اسماعيل الملحم، وهيب سراي الدين، هايل القنطار، رياض نعيم ص ٣٩٠-٣٩٤-منشورات دار علاء الدين- دمشق/١٩٩٥/

بقيمته، وبحر بوفرته، وموسوعي في تنوعه وعمـــق موضوعاتـــه وأصالة الرأي فيه[٢].

وقد قال فيه الشاعر بشارة الخوري:

هذا الذي رفع اليراع منارة غمرت سماء الشرق بالأنوار
لو دان أحرار البلاد لسـيد ناديته ياسـيد الأحــرار

ولد الأمير شكيب في الشويفات في لبنان، عام ١٨٦٩م، وتوفي فـي ٩ كانون الأول سنة ١٩٤٦ من نزف أصابه في دماغه من فـــرط الإجهاد.. ومن آثاره الأدبية المطبوعة:

- تحقيق المختار من رسائل أبي اسحق الصابي١٨٩٨
- تحقيق الدرة اليتيمة لابن المقفع وتصحيحها١٩٨٧
- آخر بني سراج (ترجمة)
- تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة
- وقائع سقوط الأندلس
- حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض من أربعة أجزاء.
- الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ١٩١٣
- ديوان شعره ١٩٣٥
- تعليق على تاريخ ابن خلدون ١٩٣٦
- شوقي أو صداقة أربعين سنة ١٩٣٦
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ثلاثة أجزاء١٩٣٩[١]..

□ **الأمير عادل أرسلان : ١٨٨٧-١٩٥٤م - الشويفات - لبنان.**

سياسي ورجل دولة، كان أديبا وشاعرا، وقائدا محكنا وشـجاعا لا يبارى، أتقن اللغتين الفرنسية والتركية إلى جانب العربية.

في سنة ١٩١٩ قدم إلى الشام والتحق بالملك فيصل، فعينه معاونـــا للحاكم العسكري، فما لبث أن استقال، فعينه مستشارا سياسيا فـــي دار الإمارة.

---

[٢] محمد علي الطاهر: ذكرى الأمير شكيب أرسلان، ص٧،ط- الدار التقدمية-بيروت/١٩٨٨م/

[١] محمد خليل الباشان، معجم أعلام الدروز ص ١٥١- الدار التقدمية -لبنان.

في سنة ١٩٢١ عينه الأمير عبد الله رئيس ديوانه ومستشاره الخاص في الأردن، فوقع الخلاف بينه وبين الأمير، فنفته حكومة رضا الركابي مع رفقائه الأحرار إلى الحجاز سنة ١٩٢٣.

ورحل بعد ذلك إلى مصر، ثم إلى القدس، ثم التحق بالثورة السورية سنة ١٩٢٥،وقاد المقاتلين في عدة معارك ناجحة، وتولّى بصفة خاصة جبهة إقليم البلاّن ، ثم انتقل مع سلطان باشا الأطرش إلى النبك، ثم إلى الأزرق، وبقي مع المجاهدين يشاطرهم حياة الشظف والشدة،ثم أخرجهم ضغط الإنكليز إلى قريّات الملح سنة ١٩٢٦.عند انتهاء الثورة سافر إلى أوربا ينتقل بين سويسرا وفرنسا، ويعمل في القضايا العربية عين سنة ١٩٣٧ سفيراً لسوريا في أنقرة.

في عهد الاستقلال تقلد وزارة المعارف في ١٧ حزيران سنة ١٩٤٦.

في سنة ١٩٤٧ انتخب نائبا عن الجولان في البرلمان السوري، وكلف في ٨ كانون الأول سنة ١٩٤٨ تشكيل الحكومة السورية فاعتذر.

عين وزيراً للخارجية في حكومة حسني الزعيم سنة ١٩٤٩، وفي نيسان سنة ١٩٤٩ عهد إليه برئاسة الوفد السوري إلى الأمم المتحدة.

وفي سنة ١٩٥٠ انتخب عضواً للأكاديمية الدبلوماسية السياسية الدولية.

أحيل على التقاعد سنة ١٩٥١ فعاد إلى مسقط رأسه لبنان.

آثاره المطبوعة:

- مذكرات الأمير عادل في ثلاثة أجزاء بيروت ١٩٨٣
- عدد من القصائد نشر أكثرها في الصحف والمجلات.
- ذكريات الأمير عادل أرسلان عن حسني الزعيم- بيروت١٩٧٢

- الأمير أمين ناصر الدين[1]: ١٨٧٦-١٩٥٣-كفرمتى- لبنان.

من أكابر أعلام اللغة والبيان في عصرنا الحديث، لقب بـ(أمير الدولتين) دولة الشعر ودولة النثر.
أصدر مجلة الصفاء، في بيروت سنة ١٨٨٦م، ومجلة(الإصلاح) في عاليه سنة ١٩١١م.
من مؤلفاته المطبوعة:

- ثمرات الأفكار: ديوان شعر طبع سنة ١٩٠٠م يمثل مرحلة طفولته من ١٠-١٥ سنة.
- صدى الحاضر:ديوان شعر طبع سنة ١٩١٣م شعره في شبابه.
- الإلهام:ديوان شعر طبع سنة ١٩٣٧ منظوماته من سنة ١٩١٣-١٩٣١م
- البيّنات:الجزء الأول كتاب في النقد اللغوي والأدبي، طبع سنة ١٩٣٧
- دقائق العربية:كتاب في أسرار اللغة العربية وخصائصها.
- الرافد:معجم لغوي للإنسان والحيوان والطير والهوام.طبع سنة ١٩٧١
- الفلك:ديوان شعره الرابع طبع سنة ١٩٨٣ في ٥٥٨ صفحة.

وله مؤلفات أخرى مطبوعة أحجمنا عن ذكرها اختصاراً، وله مؤلفات غير مطبوعة بلغت أثني عشر مؤلفا، منها على سبيل المثال:

- نثرا لجمان،نجوى اليراع ،غرض المنشئ،الثمر اليافع،عين الثلاثي..

- سلامة عبيد(١٩٢١-١٩٨٢)-السويداء.وله مؤلفات عديدة في الشعر والقصة والرواية والأبحاث التاريخية. من مؤلفاته:
  - لهيب وطيب(ديوان شعر)
  - أبو صابر (الثائر المنسي مرتين): رواية
  - الثورة السورية الكبرى، على ضوء وثائق لم تنشر
  - ذكريات الطفولة
  - الأمثال الشعبية..

[1] نجيب البعيني، رجال من بلادي- دار الريحاني- بيروت ١٩٨٤ص ٩٥..

- **سعيد أبو الحسن: مواليد عرمان ١٩١٢:**

من الكتاب البارزين في محافظة السويداء، كتب القصة القصيرة ونظم الشعر، وترجم عن الفرنسية..

من مؤلفاته:

- بنو معروف بين السيف والقلم – دراسة
- (غزة ، هانوي ، تشرين) – شعر
- الديوان–شعر
- نيران فوق القمم–سيرة ذاتية

- **الدكتور ذوقان قرقوط** : مواليد قرية ذيبين–أستاذ جامعي في كلية الآداب قسم التاريخ، كاتب ومؤرخ ومترجم.

صدر له:

- تطور الفكر العربي في مصر
- تطور الحركة الوطنية في سورية
- تكوين الأمة العربية

- **يوسف الدبيسي:** السويداء١٩٢٦– من المدرسين الأوائل في محافظة السويداء كاتب وباحث تاريخي صدر له:

- أهل التوحيد وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية في خمسة أجزاء
- مذكرات سلطان الأطرش
- نشر بعض الدراسات في عدد من الدوريات.

- **الدكتور صابر فلحوط:**عتيل ١٩٣٥،شاعر وكاتب، رئيس الصحفيين، وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب.

صدرت له مجموعات شعرية عديدة منها:

- البراكين – شعر ١٩٦٠
- مرج البطولة – شعر ١٩٦٥
- نشيد الثورة – شعر ١٩٦٥
- بيدر النجوم س– شعر ١٩٦٧ ..

- المسألة الفلسطينية والموقف الأدبي السوري - دراسة ١٩٧٧
- نحو الوحدة العربية دراسة ١٩٧٩..

- **وهيب سراي الدين:** المجيمر ١٩٣٤ - كاتب وقاص وراو
صدر له:
- قرية رمان– رواية ١٩٦٥
- حفنة تراب على نهر جعجع–رواية– اتحاد الكتاب العرب ١٩٧٨
- الرقيق - مجموعة قصص - اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٨
- الرجل والزنزانة رواية - اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٠
- الحل - مجموعة قصص – دار علاء الدين ١٩٩٢
- المهندسون - قصص طويلة - دار علاء الدين - دمشق ١٩٩٤..

- **فؤاد كحل:** سهوة البلاطة ١٩٤٩ شاعر وكاتب:
صدر له:
- صرخات للرقص العاري - شعر ١٩٧٤
- حصار الحب والموت - شعر ١٩٧٤
- العشق في الزمن الضحل - شعر ١٩٧٦
- أتولد بيروت وجها جميلا - شعر - بيروت ١٩٧٧
- سبعون جمرة -شعر - بيروت ١٩٧٧
- الجبل - شعر - دمشق ١٩٨٢
- سراج الليل - شعر - دمشق ١٩٨٢

- **بيان الصفدي:**الغارية ١٩٥٦ شاعر وكاتب، من بعض ما صدر له:
- ويطرح النخل دما - شعر - دمشق ١٩٧٦
- حكايات جميلة(١٠ أجزاء) شعر وقصص للأطفال - ١٩٧٨
- الأغاني - شعر للأطفال - دمشق ١٩٨٢ - اتحاد الكتاب العرب

- التفكير بالمقلوب - شعر للأطفال - دمشق ١٩٨٦ - اتحاد الكتاب العرب[1].

▫ **جميل أبو ترابي** - السويداء ١٩٤٢ - مؤلف هذا الكتاب:

من قدامى مدرسي المرحلة الثانوية في محافظة السويداء، له العديد من المخطوطات التي لم تطبع بعد، منها على سبيل المثال:

- شيوخنا الأعلام: ترجمة علمية لعدد من رجال الفكر الديني خلال ستمائة عام
- تقاليدنا بين الأصالة والتكليف - دراسة نقدية للعادات والتقاليد
- كلمات مضيئة - جزءان - دراسات دينية
- التصوف- علمه وأعلامه - دراسات صوفية
- القصة الصوفية - مجموعة مختارة من الحكايات الصوفية
- مناقب العارفين - جزءان - دراسات صوفية
- من هم الموحدون الدروز – دراسة تاريخية اجتماعية - وكتب أخرى

وهنالك العديد من المبدعين الكتاب والشعراء من أبناء المذهب الإسلامي التوحيدي ممن لم يتسع المجال لذكر أسمائهم وإحصاء مؤلفاتهم[2].

نشاطهم في القطاع الصحي

نذكر في هذا المجال التطور الصحي الذي شهدته محافظة السويداء وبقية المناطق التي يتواجد فيها أبناء مذهب التوحيد في النصف الأخير من هذا القرن، وإذ ليس لنا غاية إحصائية في بحثنا هذا نكتفي بأن نعطي للقارئ فكرة عامة وموجزة عن عدد من جوانب النهضة الحضارية التي يحياها الموحدون الدروز، وأنهم ليسوا كما يتخيل البعض على هامش التاريخ بل هم في مسيرتهم الحياتية

---

[1] سويداء سورية – المصدر السابق. النشاط الفكري والثقافي ص ٣٩٥

[2] راجع لهذه الغاية المصدر السابق ص ٣٩٥ وما يليها..

يواكبون ركب الحضارة المتطورة في جميع مناحيـــها، وبســرعة تفوق حد التصور.

ولنبدأ بالنهضة الصحية التي شهدتها مناطق سكناهم، فقـــد تطـــور مشفى الشهيد زيد الشريطي في مدينة السويداء تطورا ملحوظـــا، إذ تزايد فيه عدد الأسرة من(٢٠١) ســـريرا إلـــى (٤٤١) ســـريرا، وأحدثت فيه أقسام جديدة مجهزة بأحدث الأجهزة الطبية، ويشـــرف عليها كادر صحي مؤهل، من هذه الأقسام المحدثـــة علـــى ســـبيل المثال:

قسم للداخلية، وقسم للجراحة العامة، وقسم للتوليد، وأقسام للعينيـــة والأذنية والبولية ولمعالجة الأطفال الفيزيائية، كما أدخلت إلى هـــذا المشفى أجهزة للمعاينة القلبية والســـنية، وأجـــهزة لغســـل الكليـــة الاصطناعية، وشهدت سنوات التصحيح في قطرنا العربي السوري على يد الرئيس المناضل حافظ الأسد إقامة مدرسة للتمريض بكلفـــة قدرها /١٤/ مليون ليرة سورية، وتخرج هذه المدرسة سنويا مـــن /١٥٠-٢٠٠/ ممرض وممرضة في كافة التخصصات الطبية، كما ازداد عدد الأطباء الأخصائيين والصيادلة والمخدرين في مشـــافي ومستوصفات المحافظة بشكل ملحوظ بما تفوق نسبته من حيث عدد السكان نسبة أية محافظة أخرى من محافظات القطر، يضاف إلـــى ذلك كثرة عدد الأطباء والجراحين الذيـــن تفوقـــوا فـــي ميـــادين تخصصهم من أبناء مذهب التوحيد بوجه خاص، وعمت شـــهرتهم على الصعيدين المحلي والوطني، وإذ يضيق المجال عـــن حصـــر أسمائهم نذكر أشهرهم على سبيل المثال وهو الدكتور كمال عـــلمر، جراح القلب المشهور ولقمان هذا العصر دون مبالغة ، ففي مجـــال اختصاصه يعد في مصاف الأطباء العـــالميين، وعلـــى الصعيـــد الإنساني يداوي الفقراء والأغنياء بالمجان، إلا ما يبقيه لنفسه لســـد الرمق وبذله لكل ما يكسبه في أوجه الخير وصل حد الخرافة، ومع بذله وسخائه لا يملك بيتا يؤويه .

وإذا قلنا أن صوفية الأوائل وعزائمهم تجسدت في شخصه فلا نغالي فيما نقول، وأعماله المنظورة والخفية لا تحتاج إلى شهادة أحد، وإنصافا للحقيقة، ما أكثر الذين يحاولون أن يحذوا حذوه في البذل والعطاء والمعالجة المجانية، ولكنهم كما أعلم لا يحبون أن تذكر أعمالهم أو تنشر أسماؤهم حرصا منهم على أن لا تعلم الشمال ما أنفقت اليمين.

كما تم تطوير المستوصفات لتصبح مراكز صحية متقدمة، وقد بلغ عددها/٢٥/مركزا تقدم الخدمات الوقائية والعلاجية واللقاح الطبي والمساعدات الغذائية للحوامل والمرضعات والأطفال حديثي الولادة، وافتتح في مدينة السويداء مركزين صحيين لهذه الغاية، وتم فتح نقاط طبية في ريف المحافظة، ومن بين المشاريع الحيوية الجديدة التي أحدثت في محافظة السويداء مشروع مشفى مدينة صلخد، وقد بلغت سعته/١٢٠/ سريرا، ومشروع تطوير مركز شهبا الصحي[١].

أما عن نشاط الموحدين الدروز في بقية القطاعات فالحديث فيها يخرج عن موضوع بحثنا هذا، وإنما نكتفي بتعديد هذه القطاعات المتطورة، ونحيل القارئ الراغب في معرفة التفاصيل إلى كتاب(سويداء سورية)الموسوعة الشاملة عن محافظة جبل العرب، ففي هذا الكتاب الكثير عن معالم نشاط أبناء هذه المحافظة في كافة الميادين الحضارية العصرية.

-قطاع الخدمات السلكية واللاسلكية.
-قطاع تنمية الريف والوحدات الإرشادية.
-الاتحاد النسائي.
-اتحاد الحرفيين.
-الاتحادات الرياضية.

---

[١] سويداء سورية – المصدر السابق – ص/٤٤٢/بتصرف.

-المراكز المالية والمصرفية الحديثة لمختلف فروع الاستثمار.
-النقابات التي تمثل مختلف بقية القطاعات، كنقابة المعلمين، ونقابة الأطباء، ونقابة المهندسين، ونقابة المحامين، ونقابات العمال والفلاحين والمقاولين، وغيرها من بقية النقابات..

نشاطهم في المهاجر الأميركية والعربية

كانت الهجرة في بدايتها وسيلة لسد الرمق والقضاء على الفقر والعوز، فصارت بعد أن لمس الناس فائدتها وذاقوا حلاوتها، بابا من أبواب الثراء، وإقامة المشاريع، والنهوض الاقتصادي للوطن لما توفره له من دخل وفير بالعملة الصعبة.وكان المسلمون الموحدون أينما وجدوا - أول من شقوا طريق الهجرة والاغتراب عن الوطن إلى المهاجر الأمريكية، قبل وبعد جلاء القوات الفرنسية عن بلادنا، تعويضا لما ألحقته بهم الحروب التي خاضوها لتحرير البلاد، من أضرار مادية بالغة، لم يعوضها لهم إلا الهجرة إلى بلدان متعددة بحثا عن مصادر جديدة للرزق، إذ كانت مصادر دخلهم آنذاك تعتمد في معظمها على زراعة الحبوب وتربية الماشية والتجارة المحدودة ببعض المصنوعات اليدوية، مما دفعهم أمام هذه الظروف المعيشية الضيقة، وشح الموارد الاقتصادية، وتوالي سنوات الجفاف على مناطقهم، إلى الهجرة نحو مختلف دول العالم الغنية كدول أميركا اللاتينية، البرازيل وفنزويلا والأرجنتين.. وإلى كندا والولايات المتحدة الأميركية، وأستراليا.. كما اتجه فريق آخر منهم إلى بعض دول إفريقيا كنيجيريا وساحل العاج وليبيا.. وقصد آخرون دول الخليج النفطية والمملكة العربية السعودية وغيرها من الدول ذات الموارد الغنية ، وقد عملوا جميعهم في البلدان التي هاجروا إليها في مختلف الأعمال التجارية والصناعية والزراعية والمهن الحرة، فحققوا في ذلك نجاحات كبيرة، وعادوا بما جنوه من أرباح إلى أوطانهم لينهضوا بأوضاعهم المادية من جديد في كافة الميادين،ويبنوا مستقبل أبنائهم على أسس حضارية وعصرية،

ويقيموا المشاريع العمرانية والصناعية والزراعية، وغير ذلك مما يعود عليهم وعلى وطنهم بالفائدة.
كل ذلك كانت قبل أن تتحسن أحوالهم المعيشية في العصر الحديث، ويتعرفوا إلى أساليب الزراعة الحديثة، ويستخدموا أحدث التقنيات والآلات لاستصلاح أراضيهم وتطويرها بغية زراعتها بمختلف أنواع الأشجار المثمرة وعلى نطاق واسع عاد عليهم بمداخيل مالية كبيرة أغنت الكثير منهم عن الهجرة والنزوح عن الوطن.
كما كان الحال عليه في الثلث الأول من هذا القرن، والآن، وفي ظل الحركة التصحيحية المباركة التي قادها الرئيس المناضل حافظ الأسد، تحسنت الظروف المعيشية لدى الموحدين الدروز أضعافاً مضاعفة كما كانت عليه في عهود سابقة، إذ حظيت مناطق سكناهم في القطر العربي السوري، بقسط وافر من العناية والرعاية في جميع القطاعات ومناحي الخدمات الحياتية، ووفرت لهم سبل العيش الكريم إقامة العديد من المشاريع الاقتصادية في مدنهم وقراهم، وطورت القطاعات العامة والخاصة تطويرا يجعل منها مثلا يحتذى ليس في القطر العربي السوري فحسب، بل في الكثير من أرجاء الوطن العربي.
وهذا بعض ما نعمت به مناطقهم في الثلث الأخير من هذا القرن:
-أنيرت جميع مدنهم وقراهم بالكهرباء.
-أحدثت فيها شبكة من طرق المواصلات الحديثة لم تعرفها من قبل.
-أنشئت في مناطقهم السدود الكثيرة لتأمين مياه الشرب والري، إضافة إلى شبكات الري التي نقلت المياه النقية إلى مدنهم عبر مسافات شاسعة.
-بنيت المدارس الحديثة والمعاهد في كل مدينة وقرية لتأمين التعليم الأساسي والمجاني لأبنائهم.

-وكذلك المشافي والمستوصفات في كافة المناطق لتأمين العلاج الصحي وعلى أفضل ما يكون، والجدير بالذكر أن الوعي الصحي بينهم وسلامة الأسرة من الأمراض المعدية والفتاكة ليس لها مثيل في قسم كبير من دول الوطن العربي بل في العالم.

-غطت منطقتهم شبكة حديثة من الاتصالات السلكية واللاسلكية لم يكن لها وجود من قبل.

-أقيمت المصانع التي توفر للسكان دخلا ممتازا تشغلها الأيدي العاملة من أبنائهم، كمصنعي السجاد والموكيت الآليين، ومصنع تقطير العنب، ومصنع الأحذية، وأنشئت أيضا المخابز الآلية الحديثة في العديد من مدنهم وقراهم.

-أمدتهم الدولة في ظل الحركة التصحيحية بالقروض اللازمة لإقامة المشاريع الزراعية وتطوير الأرض البور، والمشاريع السكنية الخاصة بهم. وأمدتهم كذلك بالآليات الحديثة لهذا التطوير وقدمت لهم الخبرات الفنية اللازمة.

-أنشئت في أرياف مناطقهم الوحدات الإرشادية الزراعية التابعة لمديرية الزراعة العامة وذلك لتقديم الخبرات والمعونات اللازمة للفلاحين والمزارعين، كما أنشئت إلى جانبها وحدات العلاج الصحي وتلقيح الأطفال ورعاية الحوامل وأفراد الأسرة من الأمراض، وتقديم العلاج والإرشادات اللازمة.

يضاف إلى ذلك ما أسهم به أبناء محافظة السويداء وحدهم من إقامة المنشآت الصناعية بأموالهم الخاصة كإنشاء معمل عصير الجبل الطبيعي للتفاح والعنب، ومعمل صناعة البلاستيك والأدوات المنزلية، وغير ذلك من الصناعات التي هي قيد الإنشاء، والتي سيتم إحداثها في المستقبل القريب بفضل ما تقدمه حكومة الجمهورية العربية السورية لمواطنيها من دعم مادي وفني وتسهيلات إدارية لإنجاح كل المشاريع الاقتصادية.

هذا عن وضع الموحدين الدروز في سورية وحدها، وتحت رعاية حكومتها الرشيدة وحزبها القائد حزب البعث العربي الاشتراكي،أما عن أوضاعهم في لبنان ونهضتهم الحضارية فهي لا تقل شأنا عن أوضاع اخوتهم المعيشية ونهضتهم في سورية، ولكن المجال لا يتسع للحديث عن كل شيء، وقد كتب عنهم في هذا الصدد الشيء الكثير.

ونعود بعد ذلك إلى الحديث عن نشاطهم في مغتربهم، فقد احتلوا في البلدان التي استقروا فيها مراكز اجتماعية مرموقة، وبرز الكثير منهم على الصعيد العلمي والثقافي، وظل لهم ارتباط وثيق بأسرهم وأوطانهم، وكان حنينهم إلى الأهل والوطن يتزايد في نفوسهم كلما طال عليهم أمد الغربة.

وكانوا في الوقت نفسه لا يتخلون - وهم في مهاجرهم - عن أصالتهم التي طبعوا عليها، والمتمثلة في عادات أهلهم في الكرم والسخاء، وتكريم الضيوف، كما أنهم بقوا على صلة قوية مع رجال الحركة الوطنية في سورية، وانتسب بعضهم إلى بعض الأحزاب الوطنية، وأصبحوا في مراكز مرموقة في هذه الأحزاب.

وقد لخص أحد أبناء محافظة جبل العرب نشاط المهاجرين الموحدين في مغتربهم بمايلي[1]:

بدأت هجرة أبناء الوطن إلى فنزويلا على سبيل المثال عام ١٩٣٤،وبلغ عدد المهاجرين إليها ثمانية وخمسين ألف مهاجر/٥٨٠٠٠/، وقد لاقى المهاجرون الأوائل كسبا ماديا باهرا، وحصل بعضهم على ثروات طائلة خلال فترة قليلة من الزمن..

وكانت الهجرة إلى تلك البلاد - فنزويلا - لاتحول دونها أية صعوبة، فأخذ الشباب يهاجرون إلى تلك البلاد ويعملون في التجارة والصناعة والزراعة.. وأصبحوا يشكلون مع بقية المغتربين العرب

---

(1) سويداء سورية – المصدر السابق ص ٣٧٢ وما يليها..(بتصرف)

من الأقطار العربية شريحة اقتصادية ناشطة، ومجموعـــة بشـــرية امتزجت مع أهل تلك البلاد، وتعايشت معهم في حياتهم الاجتماعيـــة والاقتصادية والسياسية، وقد تبوأت هذه الجاليات المكـــان اللائـــق بها.. وبرز عدد منهم في نشاطهم السياسي والاجتماعي والمشاركة في الانتخابات النيابية والمحلية.. ونبغ الكثير منهم في ميادين الطب والهندسة والحقوق، ونقل أبناء الجبل إلى مغتربهم عـــادات الآبـــاء والأجداد، وحافظوا على تراثهم بصبر وعناء..

وترافق سمات الكبرياء والأنفة والوطنية التي يتحلى بها المغـتربون من أبناء الجبل موقف البذل والسخاء في سبيل القضايـــا الوطنيـــة والمؤسسات الخيرية، فتبرعوا من أجل نصرة القضية الفلســطينية، والثورة الجزائرية على الاستعمار الفرنسي، وتبرعوا كذلك لإشـادة مأوى للأيتام والعجزة في مدينة السويداء، وغير ذلك من التبرعـات السخية للمواقف والمصالح العامة كلما دعتهم الحاجة إلى ذلك..

وانتسب عدد منهم إلى اتحاد العمال في فنزويلا، ويروى أن أحدهـم وهو السيد نجم ملحم الفقية من أبناء مدينة السويداء استأجر ســاعة زمنية كاملة في محطة إذاعة فنزويلا ليبث فيها من هناك أخبـــار الوطن العربي كل ليلة.

وأصدر السيد سالم شكر زين الدين من قنوات مجلة شـــهرية فـــي عاصمة فنزويلا سماها (الجبل) وفي مدينة(ما ثورين) أسس الســـيد أحمد عطاالله أبو سعيد من بلدة (امتان) مع رفاق له مـــن الأدبـــاء العرب، النادي العربي في فنزويلا، وأصبح هذا النادي يجمع فـــي رحابه نخبة من الأدباء والشعراء العرب والأجانب.

(وفي أوستراليا انضم الكثير منهم إلى(رابطة إحياء التراث العربي) التي أنشأها عدد من أبناء الأقطار العربية ممن جمعتـــهم العروبـــة تحت لوائها، ومن أهداف هذه الرابطة الحفاظ على اللغة العربيـــة وقيم الحضارة العربية ووصل المغتربين العرب بوطنهم الأم..)

مِنْ أعْلامِ المُسْلِمِيْنَ المُوَحِدِيْنَ"الدُّرُوز"

١.الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي.
٢.الأمير سيف الدين التنوخي.
٣.الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين.
٤.الشيخ محمد أبو هلال. المعروف بالشيخ الفاضل.
٥.الشيخ جابر الحلبي.
٦.الشيخ محمد الأشرفاني.
٧.الشيخ ابراهيم الهجري.
٨.سلطان باشا الأطرش.
٩.كمال جنبلاط .

في ختام هذا البحث التاريخي ندرج أسماء عدد من الأعلام البارزين لطائفة المسلمين الموحدين الدروز، في كافة الميادين الروحية والعلمية والسياسية، وذلك خلال حقبة زمنية لا تتجاوز خمسمائة عام، أي منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي حتى الربع الأخير من القرن العشرين، مع موجز عن حياة كل علم منهم، وأول هؤلاء الأعلام هو:

١.الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي(الملقب بالأمير السيد) (١٣٩٢ - ١٤٧٩م)

هو الأمير جمال الدين عبدالله ابن الأمير علم الدين سليمان ابن الأمير بدر الدين محمد.. التنوخي اللخمي القحطاني[١].ولي من أولياء الله العارفين، وقطب من الأقطاب الروحانيين، وقمة شامخة من قمم الفكر الإنساني، ولد في بلدة(عبيه)في لبنان عام ١٣٩٢م وتوفي فيها سنة ١٤٧٩م، ونشأ وترعرع في بيت أمير من أمراء الغرب التنوخي اللبناني، توفي والده وهو طفل، وتولت رعايته وتربيته والدته الأميرة ريمة بنت الأمير شهاب الدين أحمد بن صالح ابن الحسين بن الخضر.. فلاحت فيه منذ طفولته مخايل النبوغ، وظهرت فيه معالم النجابة ونبل الصفات، وكان له ميل شديد لاكتساب العلم والتبحر فيه، فسافر في طلبه إلى دمشق، وقضى من عمره اثني عشر عاما يتلقى العلم فيها على أيدي مشاهير علماء عصره، وانعكس هذا على نشاطه العملي، فأنشأ مكتبة غنية جمع فيها مختلف أنواع العلوم في عصره، واحتوت على حوالي ٣٤٠ مخطوطة، فذاع صيته، وطبقت شهرته آفاق

[١] عمدة العارفين - للأشرفاني ص ٦٨٩

البلدان، وأقبل الناس إليه ينهلون من علمه ومعرفته مـــن أقـــاصي البلاد، ويحكمونه في قضاياهم الخاصة والعامة، ويستشيرونه فـــي كل أمرمهم، فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه..

وقد وصفه المؤرخ المشهور ابن سباط قائلا:"..إذا مر يغض طرفه، يديم الجلوس والاحتشام، كثير اليقظة، عـــذب المنطـــق، فصيـــح اللسان، وقور في مجالسه، ثابت في مواقفه، قليل الكلام في غـــير الحكمة، لايرى بهجة إلا لربه، ولا يبذل مسعاه إلا لقربه، صحيـــح العقل، سليم القلب، قليل الهفوات..[1]

أول ما رغب في حفظ كتاب الله العزيز، فحفظه ثم جـــوده ثانيـــا، ودرس معانيه وكان يطوف.

القرى في طلب العلم والحديث وهو صغير السن، وتورع يافعا بمـا لا تصل إليه الكهول من أولي العزم،وأطاعه أكابر الجهات ومشايخ البلاد، وكان له تلامـــذة كثـــيرة فـــي أمـــاكن عديـــدة،يـــأتمرون بأمره،وينتهون بنهيه في الأمور الشرعية والحقوق الواجبة..وأصلح بين الرعية، وأمر بالسداد، ومهد البلاد..وأنهى عن شرب الخمـــر والمسكرات، فتاب الناس على يده، وكانت نواهبه وإرشاداته تبـــث بواسطة تلاميذه في جميع القرى..

ثم أمر بعمارة المساجد فـــي القـــرى وتجديـــد الجوامـــع، وأنشـــأ الأوقاف.. ثم جلب الفقهاء إلى النواحـــي، وأقـــام الخطـــب أيـــام الجمعيات في كل قرية.. ثم شدد على القراءة الصحيحة في القـــرآن الكريم.. ثم جعل فقهاء لتعليم الأولاد في أماكن عديدة، وكان يعطي أجر التعليم عن جميع الأيتام في جميع البلاد قريبا وبعيدا..

وكان يسهر الليل في طاعة ربه، وينام ثلثه، يجلس في أكثر لياليـــه لا يشتغل بأمور دنيوية، ولا حكايات في غير الحكمة، ثم يعظ ويفيد

---

[1] صدق الأخبار – ابن سباط ص ٦٩..

من حضر إلى نحو ثلث الليل، ثم ينام ثلثه فينام من في المجلس، ثم يقوم الثلث الأخير يتنحلو في طاعة ربه..
وكان يعتني كثيرا بأخبار الأولياء الصالحين والعلماء والزهاد، مثل سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وابن عيينة، ومالك بن دينار،عبدالله بن المبارك، وحاتم الأصم، وأمثالهم في الأحكام والمواعظه والزهد والورع..[1]
ألف الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي كتبا عديدة بلغت حسب بعض الروايات حوالي ثلاثمائة كتاب، ولم يبق من هذه المئات إلا القليل، وقد كتب في مواضيع متعددة، دينية ولغوية وفقهية، ومن أشهر كتبه في أدب سياسة النفوس كتاب(سياسة الأخبار) وله كتاب كمالات النبي المختار صلى الله عليه وسلم، وفي ميدان اللغة له كتاب(اللغة العرباء)وكلها محفوظة لم تطبع.
تزوج الأمير السيد ابنة الأمير سيف الدين أبي بكر بن أحمد بن صالح.. ورزق منها أربعة أولاد، لم يسلم منهم غير الأمير سيف الدين عبد الخالق الذي كان مقررا أن يخلف والده في سياسة الموحدين الدينية، ولكن القدر عاجلة قبل أن يتحقق حلم والده فيه، فتوفى ليلة عرسه وهو في التاسعة عشرة من عمره، وكان صبر والده على فقده مثالاً يحتذى، إذ ألقى في المؤتمين خطبة رائعة يوطن فيها نفوسهم على الصبر والتمسك بالإيمان والرضى والتسليم، وهو رابط الجأش معتصم بالصبر متمسك بعروة الإيمان، صادق التوكل قوي اليقين.

من أقواله المأثورة:

-المعرفة أساس الخير جميعه.
-من لم يكن صادقا بلسانه فهو بالقلب أكذب.

---
[1] ابن سباط – صدق الأخبار.

-قيل عن لسان الصدقة أنها قالت للمتصدق بها: كنتُ قليلة فكثرتني، وفانية فأبقيتني وكنت تحرسني فصرتُ أحرسك، وكنتُ عندك فصرت عند الله.

-الدنيا ميدان، والأجسام خيل، والنفوس فرسان، والسباق هو إلى الله.

٢.الأمير سيف الدين التنوخي
(١٣٨٧ ـ ١٤٥٩م)

ولد في بلدة(عبيه)عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، وفيها نشأ وترعرع، ويذكر أنه عاش خمسا وسبعين سنة في ظل الإمارة التنوخية الإقطاعية في جبل لبنان، وفي عهد حكم المماليك الجراكسة.

عاصر الأمير سيف الدين خاله الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي، وصحبه زمانا طويلا، بل كان يعد من تلاميذه الأفذاذ الأوائل، وكان لتأثير خاله أثر بالغ في توجيه مسار حياته،حيث قضى رحمه الله قسطا وافرا من حياته في التغزل والتشبيب والنسيب،فتمكن الأمير السيد من نقله من مرحلة الانحراف عن النهج الديني إلى مرحلة التدين والاقتداء بتعاليمه.

كان شاعرا ملهما مطبوعا على نظم الشعر، وكان أيضا خطاطا بارعا،لا يفرق الناس خطه عن خط ياقوت المستعصمي، وقد برع بتجويد الخط الفارسي براعة فائقة ويروي عنه أنه كان لدقته يكتب سورة(الحمد)على حبة الرز، ومن آثاره القيمة أنه خلف مصحفا بخط يده لا يزيد حجمه عن حجم راحة اليد، وسمكه لا يزيد عن سنتمتر واحد.

وإلى جانب براعته في الخط كان صائغا بارعا بصنعه الصياغة، وأنشأ لها قوالب فائقة الحسن، وصنع تحفا يقصر عن وصفها اللسان، فقضى قسما كبيرا من حياته في صحبة خاله الأمير السيد، ودأب على خطته في السلوك الديني وتوفى قبله بعشرين سنة، وكان قد بلغ في قومه آل معروف مقاما رفيعا، فدعوه صائغ الدارين.

وكان كاتب الدارين، وشاعر الدارين، أي(مصر والشام).

انصرف في الشطر الثاني من حياته إلى نظم الشعر الحكمي، والتغزل بالحضرة الإلهية كما فعل الصوفيون الأوائل، ومما قاله في هذه المرحلة التي تمثل مرحلة النضج الروحي والفكري عنده:

تجري الأمور وما للمرء معتبــرُ   حتى تحل به في نفســه العِبــرُ
لا حيلةٌ في قضاءٍ ساقه قـــدرٌ   ففي المقادير يعمى القلب والبصر
والمرء مادامت الأيامُ مُـــدْبِرةٌ   عنه تساوى لديه النفع والضـــررُ
عدوُ كلٌ لبيب نفســه فــــإذا   ما استحكمتْ منه لا تُبقي ولا تَذرُ
فجاهِدِ النفس عصيانا وكن رجلا   ما عنده للـــهوى إثـــرٌ ولا خـــبرُ
لذاذةُ المرء في دنـــياه مُـــدْبِرةٌ   تفنى ويبقى عليها الذّنبُ والوزرُ
والنفسُ أعدى عدّوٍ تتقيه فـــكن   من شرها دون كل الشـــر تحتذرُ

ويروي أنه كان قد تحصل لديه مال وفير من حزمة الصياغة، فكان يطوف في أنحاء لبنان، متنقلاً بين قراه على جواده، وقد ملأ خرجاً من أمواله، فكان إذا أتى الفقراء والمعوزين أشار إليهم بأن يـأخذوا من الخرج حاجتهم، وإذا التقى الأغنياء طلب إليهم أن يضعوا فـي الخرج ما زاد عن حاجتهم من المال قائلا(حُط بالخُرج).

وهكذا حتى لا يبقى في البلاد معسرٌ أو ذو حاجة،ودام علـى تلـك الحال إلى أن بات يُعرف تاريخ تجواله من كل سنة، فيجتمع النـاس في ساحات قراهم ويقولون(زيد يضع في الخُرج، وعمرو يأخذ مـن الخُرج) ولما تحسنت الحال لدى الجميع أصبح كـل واحـد يقـول لغيره(حط بالخرج) فذهبت مثلا، وظل الأمير يتجول كعادته في كل سنة ومعه خرج مملوءٌ نقودا، فيعود والخرج مملوء كما كان، فعلـم أن الحال قد تحسنت عند الجميع.

أما المثل(حط بالخرج) فقد حُوّر معناه على مر الزمـن، وصـار يعني إبطال كل زعيم.

أما عن سائر نشاطاته الأخرى فيروي أن خاله الأمير السيد جمـال الدين عبدالله التنوخي كان قد أرسله إلى مصر لدراسة معالم الآثـار التاريخية فيها، ونقل بعض الوثائق التي كان يحتاج إليها.

توفى رحمه الله في سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م قبل وفاة خاله السيد بعشرين عاما عن عمر يقرب من خمسة وسبعين عاما، قضى معظمها في التوبة النصوح والعمل المثمر [1].

[1] شيوخنا الأعلام – للمؤلف – مخطوطة ١٩٩٢م

الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين
(١٤٩٥ - ١٥٥٨م)

ولد في بلدة(بعقلين) في لبنان، عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م، وكان من أكبر المجتهدين في مذهب التوحيد بعد الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، ومن كبار علماء عصره، يشهد له بذلك ما خلفه لنا من آثار علمية جليلة لا زالت دليلا ممتازا على نبوغه وغزارة علمه، ومرجعا هاما من المراجع المعتمدة إلى يومنا هذا، وهو أول من بسط القول في تاريخ مذهب التوحيد وشرح نظرياته..

أقام الشيخ في بلدة كفرمتى، وانصرف إلى الدرس والبحث والتأليف، فكتب عددا من المراجع الهامة، كما ذكرنا، منها على سبيل المثال قاموس لغوي، وكلها لا تزال مخطوطة لم تطبع بعد.

أسند إليه منصب مشيخة العقل، نظرا لفضله وسعة علمه، وتوفى سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٨م، وشيع جثمانه في مأتم مهيب حافل بالوفود من مختلف نواحي البلاد، ودفن في كفرمتى، وله فيها ضريح يزار للتبرك به..[١]

[١] المصدر السابق - للمؤلف - ١٩٩٢ ومعجم أعلام الدروز - محمد خليل الباشا ص

الشيخ محمد أبو هلال، المعروف بالشيخ الفاضل
(١٥٧٨ - ١٦٤٠م)

فريد عصره، وإمام زمانه بلا منازع، ما ذكر يوما أنه تقدمه في رتبته الدينية إلا الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، ولا وصل إلى حد تقواه وورعه أحد من المتقدمين، ولا طاوله في مسلكه واجتهاده أحد من المتأخرين، ولا يوجد من يتصف بصفاته إلا في القليل النادر، وفي دهر مرير بين أمة جمة العدد.

ولد رضي الله عنه في قرية الشعيرة من وادي التيم في لبنان، عام ٩٨٧هـ/١٥٧٨م، ونشأ في بيت فقير، وربي يتيما، ولم يكن في بلدته معلم يتلقى منه مبادئ القراءة والكتابة، وإنما تعلمها منه بجهده الشخصي وهو يرعى الماعز،ومن كل من كان يلقاه من المتعلمين، فكان إذا التقى متعلما طلب منه أن يكتب له حروف المعجم على لوح أعده لهذه الغاية، ودأب على هذه الحال إلى أن أتقن القراءة والكتابة رغم يتمه وانقطاعه عن المفيدين، وانشغاله برعي الماعز، هذا ما رواه عن نفسه الكريمة حيث كان يقول: (أنا ما صار لي مثل ما صار لكم)يعني بذلك المعلم والمدرسة النظامية.

اتصل بعد هذه المرحلة من حياته بالشيخ أبي عبادة محمد زاكي في منطقته، وعمل عنده بحراثة الأرض وتربية القز، ولم يكن يشغله عمله عن متابعة الدرس وتحصيل العلم والعبادة، وقضى في هذا العمل شطرا من حياته، ثم انتقل بعد وفاة شيخه أبي عبادة إلى دمشق في طلب العلم، فدرس فيها الفقه وفن التجويد، والنحو والحديث،على يد عالم مشهور، وحصل نتيجة ذلك على زاد وفير من التعليم، ولما عاد من دمشق تفرغ لدراسة القرآن الكريم، وحفظه عن ظهر قلب، وألم بجانب كبير من معاني آياته، وفي هذه المرحلة من حياته تألق نجمه، وعلت منزلته، وبلغ ذروة الشهرة الدينية، وكانت هذه المرحلة من حياته لا تقل عن عشرين سنة، أخذ

بعدها في الزهادة والورع والعفاف والانفراد في الجبــال للعبــادة، ورافقه في سياحته هذه عدد من المشايخ الأجلاء.

واكب عصر الشيخ الفاضل وجود الحكم التركي، وأمارة الأمـير فخر الدين المعني الكبير، وعانى إلى فترة من الزمن مـــن تسـلط بعض القادة الأتراك عليه، إلا أن هذا الأخير كـف عـن محاولــة الإساءة إلى هذا العابد الزاهد، لما توقعه مـــن ردود فعـل سـيئة، وانتقام على أيدي أبناء عشيرته، الذين لم يكن يقوى على مجابهتــهم أحد في ذلك الوقت.

ومن بعض صفاته أنه كان رحمه الله مفرطا في الزهد والتقشف إلى حد أن مؤونته السنوية لم تزد عن مدي قمح،ورطلـــي زيــت، ورطلي دبس(مربى العنب)،وكان يكره التبذير والإسراف في كــل شئ، ويحض على القناعة والكفاف، ويثني على صاحبهما، ويذكـوه بقول الله تعالى في كتابـــه العزيــز(إن المبذريــن كــانوا إخــوان الشياطين..)[1]

وكان جم التواضع، يسعى لطلب العلم والاستزادة منـــه مــهما بعدت المسافة وشق المزار، ولا فرق عنه في ذلك بيـــن صغـير وكبير، المهم عنده هو الفائدة التي يجنيـــها، بغـض النظـر عـن مصدرها، ومما قاله في هذا الصدد: (يا ليت لنا مفيد ونكون نحـــن وإياه في سرداب تحت الأرض، أو يوصف لنا مفيد ولو كان فـــي أقصى مكان لنسعى نطلب الفائدة منه..)

لم يؤثر عنه أنه ألف كتابا مستقلا، رغم سعة اطلاعه،وإنما جمع مريده وكاتبه الذي لازمه شطرا من حياته بعض أد بياته الدينيـــة، وأشعاره الروحانية، وشروحات موجزة حــول عــدد مــن الآداب الدينية، ولعل انهماكه في شؤونه الخاصة، واستغراقه فـــي التــأمل والعبادة، ونظره من جانب آخر في أمور الناس، وســهره الدائــب

[1] سورة الإسراء - ٢٧

على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك منعه من التفرغ للكتابة، إن لم يكن مانعه الأكبر هو زهده وتصوفه، ورغبته الشديدة في البعد عن الشهرة وحب الظهور.

ومن بعض ما أثر عنه من الواجبات الدينية التي كان يحث الناس عليها:

-تقوى الله سبحانه في السر والعلن.

-الاجتهاد على درس كتاب الله العزيز غاية الاجتهاد.

-معرفة الفرائض الإلهية والواجبات الدينية.

-حسن المعاملة في الأمور المادية.

-ترك الدعاء أجمع سواء كان على إنسان أو حيوان.

-ترك التزين ظاهراً وباطناً، فالزينة الباطنة هي الرياء، والظاهرة ما يتحلى به الإنسان في نفسه أو في ولده أو في بيته من متاع الغرور..

-نبذ الكبر والتكبر.

-ترك الحسد.

-التحرز من حب الجاه.

-ترك الغيبة والنميمة.

-مداومة الصلاة في كل يوم، ودرس القرآن الكريم بتعمق وفهم.

-التقيد بآداب اللباس رجالاً ونساء، بحيث يكون اللباس ضافياً ساتراً للعورة.

توفي رحمه الله يوم الجمعة سنة ١٦٤٠م، وقد أكد على أصحابه ومرافقيه قبيل وفاته ألا ينعوه إلى أحد، وألا يشاد له ضريح مشهور، ولم يتوفر له من المال بعد وفاته سوى عشرة قروش، لأنه كان ينفق كل ما يصل إليه على الفقراء والمساكين..وقد نقل عنه قوله:

(ما في عمري كله صررتُ قرشا لأجل الادخار، بل ما أعجل إنفاق الدراهم بعد وصولها..)[1]

---

[1] المصدر السابق – ص التنوخي والشيخ الفاضل – عجاج نويهض ط١٩٦٣

الشيخ جابر الحلبي[1]

(؟ - ١٠٥٠هـ * ؟ - ١٦٤٠م)

نشأ الشيخ جابر رحمه الله في معرة الإخوان التابعة لمحافظة إدلب، وكان معاصراً للشيخ الفاضل محمد أبي هلال.. وكان من كبار علماء عصره، فقد روي عنه أن والي حلب التركي استدعاه يوماً للمناظرة في أمور فقهية مع بعض علماء حلب آنذاك، وخاصة في مذهب الموحدين الدروز، فدار بين الشيخ وبين مناظريه حوار عميق، وسئل عن مسائل متنوعة، فأجاب عنها بدقة ولم يعثر بجواب واحد، ثم إنه سأل الحضور سؤالاً واحداً فقط وهو(ما أول البناء وقبة النهاء) ؟ فعجز الجميع وأفحموا عن الجواب، وكان الشيخ جابر قد سدَّد أقواله التي أثبت فيها عقيدة الموحدين الدروز وإيمانهم العميق بالإسلام وبنبوة النبي محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام وفضل صحابته الكرام، ونفى عن الموحدين أقوال المغرضين الباطلة بحجج دامغة وبراهين قاطعة، فأحبه الوالي وأكرم وأثنى عليه دون سواه، وأسند إليه منصب(مفتي الإسلام الأكبر في الديار الحلبية) لم يؤثر عن الشيخ جابر آثار علمية مدونة، رغم سعة ثقافته، سوى بعض المقطوعات الشعرية في الزهد والتصوف.

توفي رحمه الله صباح الجمعة في ٢٨ شوال سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠/م بعد وفاة أستاذه الشيخ الفاضل بخمسة وستين يوماً، ولما وصل خبر وفاته إلى والي حلب، أخبر هذا الأخير السلطان ابراهيم خان التاسع عشر من سلاطين آل عثمان بوفاة الشيخ جابر وسيرته ، فأمر السلطان ببناء قبة ومحراب على ضريحه، جعلت طينتها من الرصاص، وكتب فوق الباب أربعة أبيات هذا نصها:

---

[1] شيوخنا الأعلام - للمؤلف - مخطوط - ١٩٩٢

ولدا جابـر منمـق خـط سكنا في التراب تحت اللحود
فخردين وراشد ذواعتصام من كراماتـه انفكاك القيـود
نـوره لاح في ظلام ليال لعيـون القريب مثـل البعيد
ولهذا التاريخ في آخر هـو وضـبطنا لجمـل موجـود

سنة ١٠٥٠هـ

هذا وللشيخ جابر مقام مشهور في بلدته معـرة الإخـوان، يـزار ويتبرك به إلى يومنا هذا.

الشيخ محمد مالك الأشرفاني[1]

(؟ - ١١٠٠هـ * ؟ - ١٦٨٨ م)

عالم من كبار علماء مذهب التوحيد في عصره، وباحث محقق، وفقيه مدقق، وأديب متعمق، عاش في القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي - في عصر مضطرب، وعاصر الشيخ الفاضل(محمد أبو هلال) رحمهما الله، عاش في الأشرفية قرب دمشق، لم يعرف له تاريخ ولادة محدد، لكن العصر الذي عاش فيه عرف من خلال مؤلفه النفيس(عمدة العارفين) والذي قضى في تصنيفه سبع سنوات، وانتهى من وضعه كما روى هو عن نفسه سنة ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م، ولا نعلم بالتحقيق كم عاش بعد الفراغ من كتابه.

وإلى جانب كونه عالما واسع الاطلاع، ومن الشخصيات النادرة في عصره، كان أيضا رحالة بحاثة، يدلنا على ذلك أنه وصف كثيرا من البقاع من بلاد العرب، وصف من تظن أن صاحبه قد شاهد الموصوف بأم العين.

ومن الجدير بالذكر أنه لم يؤلف كتابه المذكور والذي يقع في ثلاثة أجزاء إلا بعد أن قرأ عددا من المراجع تقدر بأربعة وسبعين كتابا من أمات الكتب في مائة وخمسة أجزاء مكنته من إنجاز كتابه (عمدة العارفين) في خلوة خاصة بعيدة عن الأنظار وفي كهف من كهوف أحد الجبال غربي الدير علي .

يتضمن كتابه المذكور الأبواب التالية:

١.قصص الأنبياء والرسل وفريق من الصحابة حتى القرن الخامس الهجري.

٢.قصص الحكماء وأهل المعرفة، وفريق من فلاسفة اليونان.

---

[1] المصدر السابق ص - التنوخي والشيخ الفاضل - عجاج نويهض ص ٢٣٩ -٢٤٠

٣.تراجم رجال حركة مذهب التوحيد من القرن الخامس مع آخر القرن الرابع. ويضم هذا الباب الكلام على معارضي المذهب.
٤.تراجم مختلفة.
٥.معلومات جغرافية.
٦.مختارات من التوراة والإنجيل..

اظهر في كتابه قدم بني معروف، وأن كيانهم في الشرق الأوسط يبتدئ سنة ١٤٢هـ عند قدوم القبائل اللخمية لاحتلال المناطق الجبلية في لبنان، ومقاومة عصابات ملوك الروم، ومنع المردة من الدخول إلى فلسطين زمن خلافة أبي جعفر المنصور

توفي رحمه الله في سنة ١١٠٠هـ/١٦٦٨م ودفن في بلدته الأشرفية.

الشيخ أبو حسين ابراهيم الهجري[1]
(١٨٠٤ - ١٨٤٠م)

من الشخصيات الدينية النادرة في تاريخ محافظة جبل العرب، ولد في أشرفية صحنايا إحدى ضواحي دمشق عام/١٨٠٤/ ثم ارتحل به والده وهو صغير السن إلى السويداء مركز جبل العرب، وتلقى على يده مبادئ القراءة والكتابة، إذ كان والده يزاول مهنة التعليم آنذاك، في ظل زعامة آل الحمدان على الجبل، فظهرت في نجله مخايل النجابة والنبوغ المبكر،وتميز من بين أترابه بحيويته ونشاطه ورهافة حسه وميله إلى الروحانيات، ولما بلغ سن الرشد اجتهد في دراسة كتاب الله العزيز، وتعمق في فقه العلوم الدينية، واشتهر بالورع والتقوى ونقاء السريرة، وشفاف البصيرة وأصبح في عصره إمام زمانه بلا مدافع ، وطبقت شهرته آفاق البلاد ، وتجاوزت حدود الجبل إلى لبنان وفلسطين، وامتد تأثيره إليهما.

وبعد أن اشتد عوده اختار أن يرحل عن السويداء ليستقر في بلدة قنوات إحدى ضواحي المدينة لموقعها المتميز ومناخها اللطيف وخصوبة أرضها، فصارت بوجوده فيها قبلة الزوار، وتزايد عدد سكانها فيما بعد حباً بالفوائد الدينية التي كانوا يقتبسونها منه، والنهل من معين علمه الفياض، وتبركاً بالقرب منه، إذ كان رحمه الله مدرسة دينية قائمة بذاتها، وصارت قنوات مركز إشعاع روحي ومعهداً من معاهد العرفان الديني ، وأصبح هو السيد المطاع ، والمرجع المتميز ، والمعلم الروحي لدى كافة أبناء طائفته زاول بادئ الأمر مهنة الحياكة، ثم تخلى عنها فيما بعد ليتفرغ للمهام الروحية والاجتماعية التي أنيطت به.

خاض غمار حرب ضروس استمرت تسعة أشهر ضد ابراهيم باشا المصري أثناء زحفه على سورية ولبنان، دارت رحاها في وعر

---

[1] المصدر السابق – للمؤلف مخطوط. ص ٢٧٦

اللجاة، فتمكن مع فئة قليلة من الفرسان الميامين من صد هجومه على الجبل، وانتصر بعون الله على جيوشه الجرارة في معارك عديدة، وألحق به خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، مما اضطر ابراهيم باشا إلى إيقاف تلك الحرب وعقد صلح مع الشيخ وأعوانه من الثوار، قام على وضع حد لسياسة البطش والتوسع التي كان ينتهجها ابراهيم باشا، وإلغاء التجنيد الإجباري لأبناء الجبل، وإسقاط كثير من الضرائب التي كانت تثقل كواهلهم.

كان المرحوم الشيخ يتحلى بصفات روحية نادرة، منها أنه كان من ذوي الكرامات مستجاب الدعوة، نير البصيرة، واسع المعرفة، جم التواضع، صوفي النزعة والمسلك، مخلصا لله في السر والعلن، صادقا في توكله، حازما في فراسته، قلما توافر لغيره في عصره من الصفات والمؤهلات الروحية ما توافر له.

خلف عددا من المتفرقات النثرية والمراسلات الشخصية، وديوان شعر باللغة الدارجة، يفيض بصدق العاطفة والوجدان، ويمتاز بعمق الفكرة وسهولة النظم وبساطة الألفاظ، قصائده مترعة بالمحبة، مشحونة بالوجد والحنين لاستشراف الملأ الأعلى والتوقل على معراج نجاة الموحدين.

استدعاه أحد ولاة دمشق الأتراك قبيل وفاته بزمن قليل، وحاول أن يستميله بشتى المغريات للحصول على تأييده لسياسة الحكم التركي القائمة على البطش والإرهاب، ولما لم يفلح في كسب وده، دس له السم في حذائه، فلما تعرقت قدماه من السير الطويل لدى عودته إلى بلدته، سرى السم في جسده، ولم يلبث غير أيام قلائل حتى فارق على إثر ذلك الحياة، ودفن في بلدته قنوات، على بعد ستة كيلومترات إلى الشمال من مدينة السويداء، وله فيها ضريح يزار ويتبرك به إلى الآن.

سلطان باشا الأطرش
(١٨٩١ -١٩٨٢م)

ولد في(القرية) إحدى مدن محافظة السويداء، عام ١٨٩١م من والدين ينتميان إلى الأسرة الطرشانية، والده هو ذوقان بن مصطفى الأطرش الذي قاتل الأتراك، وأعدم شنقا في دمشق عام ١٩١١م، ووالدته هي شيخة بنت منصور الأطرش.

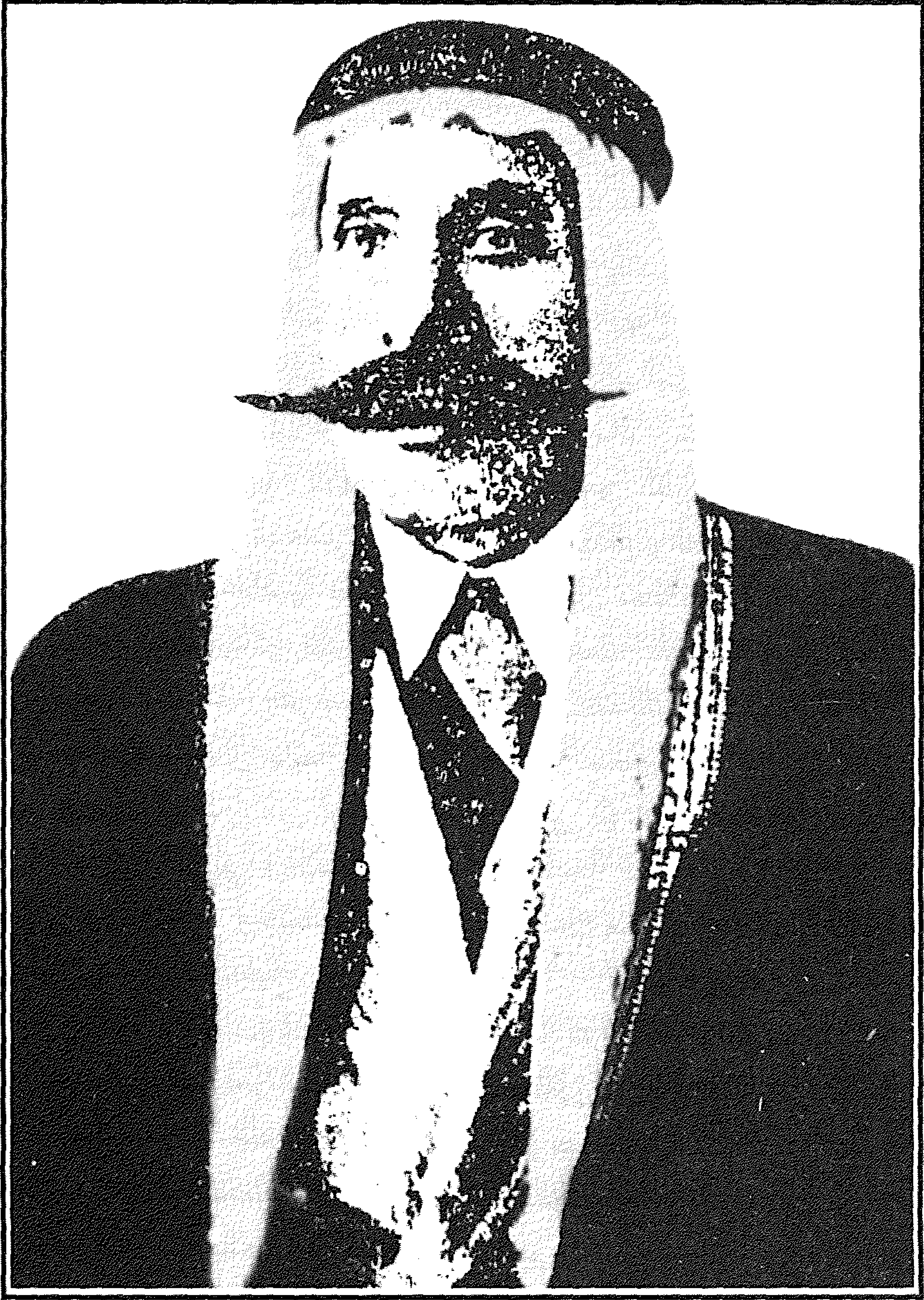
وسلطان كبير إخوته علي ومصطفى وزيد، تمرس بالفروسية منذ نعومة أظفاره، واشترك وهو في الثامنة من عمره في محاربة الأتراك تحت راية والده، فكانت تجربته النضالية الأولى في معركة(الكفر) - إحدى قرى محافظة السويداء - عام ١٩٢٥م.

قاد الثورة السورية الكبرى ضد المستعمر الفرنسي، فكان رمزا من رموز النضال الوطني، وثورة على الظلم والطغيان.

سيرة حياته لا تكفيها صفحات قلائل، بل تحتاج إلى مجلد كامل، ولكننا نكتفي هنا بذكر نبذة موجزة عن نضاله الوطني ضد الحكم التركي والاستعمار الفرنسي، وعن بعض صفاته الشخصية.

لقد سطر سلطان باشا الأطرش ملاحم أسطورية في معاركه التي خاضها، وكان من أوائل الداعين إلى الوحدة القومية الكبرى في العالمين العربي والإسلامي، وفي طليعة العاملين على نبذ التفرقة والتجزئة. وجسد بنضاله المتواصل مطامح الأمة العربية من المحيط إلى الخليج.

كان ثائرا صلبا، وقائدا حكيما، مدافعا عن الحق، عاش حياة الثورة على المستعمر الفرنسي،وكان ينتقل من موقع إلى موقع، مناضلا في سبيل الحرية والاستقلال ووحدة البلاد، وقد عرف إلى جانب ذلك وفي مختلف مراحل حياته بالعفة والنزاهة والاستقامة التامة، والتمسك بالعادات والتقاليد والقيم والشهامة العربية الأصلية، فكان لا يسكت على ضيم، ولا يقبل إهانة الضيف، ولا يبخل على الوطن والأمة بشيء يملكه،حتى الروح والدم.



عطوفة قائد الثورة السورية العام سلطان باشا الأطرش

بعض ما قيل فيه:

لقد وصف المغفور له سلطان باشا الأطرش بأوصاف كثيرة، وعدد مناقبه المشاهير من معاصريه من القادة والسياسيين، ووصفه الكتاب والشعراء على حد سواء بأوصاف كثيرة وقالوا فيه الكثير مما لا يستطيع حصره في هذه الصفحات، لكننا نقتطف بعض ما وصفه به معاصروه من القادة والمؤرخين البارزين،

فمما قاله المجاهد حسن الحكيم رئيس مجلس وزراء سورية عام ١٩٤١م.

(وسلطان باشا ربع القامة مع ميل قليل إلى الطول، حنطي اللون، ممتلئ الجسم، أزرق العينين، عريض المنكبين، غزير الشاربين، جهوري الصوت، حاد النظر، مهيب الطلعة، قليل الكلام، كثير التفكير..صحيح المبدأ راسخ العقيدة، يحب الثورة، ويعتمد آراء العقلاء والمفكرين.. شديد التحفظ في حديثه، ولا يمكن لأحد أن يسمع منه كلمة نابية..)

(بعيد عن العادات المتفشية، فلا خمر ولا ميسر ولا تدخين.. يغضب لكرامته، ويتمسك أشد التمسك بتقاليد أمته، فالشهامة والوفاء والنجدة، وبصورة خاصة حماية الضيف والمستجير من هذه التقاليد هي من أبرز صفاته..)

(نعم، إن هذه السجايا النادرة، والعروبة الأصيلة الصافية التي قل أن تجتمع في زعيم، هي التي حببت هذا المجاهد العظيم والبطل الكبير إلى القلوب، وسدّدته في بني قومه، وجعلت منه قائداً عاماً للثورة السورية، فسجلها بكثير من الإعجاب والتقدير والثناء الجميل..)[1]

---

[1] مذكراتي، ج١ ص ٣٧٠ -٣٧١(بيروت - دار الكتاب العربي الجديد ١٩٦٥) وكذلك وردت في مقدمة مذكرات سلطان الأطرش-صياغة الأستاذين يوسف الدبيسي وصلاح مزهر (ص٦ -٧)

وقد وصفه المؤرخ أدهم آل جندي في كتابه(تـــاريخ الثـورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي) في الإهداء الذي قدمه إليه مـن خلال الحلقة التاريخية التي تحدث فيها عن نضال الموحدين الدروز فقال:

(إلى سيد الأبطال والمجاهدين(سلطان باشا الأطرش) القائد العام للثورة السورية)

-إلى الذي امتشق مهنده منذ نشأته في ســبيل القوميــة العربيــة، وتحرير بلاده واستقلالها.

-إلى باعث البطولات الكامنة في نفوس المجاهدين.

-إلى الطود الشامخ الذي يمثل الكرامة العربية بأجلى مظاهرها.

-إلى أرواح الشهداء الأبرار الذين مشوا إلــى ســاحات المــوت، وهدروا دماءهم للذود عن حياض الوطن.

-إلى كل درزي عربي ثائر، هو سلطان الأطرش فــي بطولتــه." أهدي هذه الحلقة التاريخية الخالدة "[1]

وقال فيه المحامي الدمشقي ظافر القاسمي في كتابه(وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى)[2].

لم يكن سلطان واحداً من الضباط الذين تخرجوا من أية مدرســة عسكرية، في أي بلد من بلدان الدنيا، وإنما كان رمزاً للحرب ضــد الانتداب، تخرج من مدرسة التمرد على الظلم وإباء الضيم والأنفــة التي تثور على جرح الكرامة، كذلك لم يكن سلطان واحداً من الذين تخرجوا من إحدى الجامعات، ولكنه كان من أعمق الناس وطنيــة،

---

[1] تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي – أدهم آل جندي ص ١٨٩ – مطبعة الاتحاد – دمشق /١٩٦٠/

[2] ص ١٠٣ وما بعدها – بيروت – دار الكتاب الجديد ١٩٦٥/ومذكرات سلطان باشا الأطرش ص ٧م(المصدر السابق)

وأفهمهم لمطالب البلاد، وأدركهم لحاجاتها، وأشدهم تألما لحرمانها من حقوقها..

فلقد علمه الجبل وتقاليده معنى الحرية الحقيقية، ولقنته طبيعة الحياة فيه، روح الكرامة الأصيلة، وثقفته عاداته وأعرافه بما هو أشد غناء من الكتاب والمدرسة..

(وإذا كان الدروز عامة من أشد الأقوام بأسا في القتال، وأهزئهم بالموت، وأكثرهم استخفافا به، لاسيما إذا كانوا مجتمعين، فإن سلطان كان من أشجع هؤلاء الشجعان إن لم يكن أبا الشجاعة قاطبة، ومازال الأحياء من الذين شهدوا المعارك الرهيبة التي دارت بين المجاهدين والجيش الفرنسي يشهدون لهذا البطل العظيم، بأنه كان فارسا معلما، لا يهاب الموت، ولا يرهب الردى، فإذا ما اضطرمت نيران القتال، وأضحى المحاربون وسط جحيمها، انقلب سلطان هادئ الأعصاب، بادي السيطرة على النفس إلى بأس ما بعده من بأس، باسلا يهزأ بالأخطار، راسخا كالطود الشامخ، لا تزعزعه الحمم، ولا تقلقه أفواه البراكين المفتوحة..)

نضاله الوطني في العهد التركي:

بعد عودته من خدمته الإلزامية في القوات التركية عام ١٩١٠ التحق بالثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين، واحتفل بحضور عدد من أحرار العرب ورجالاتها ومجاهديها برفع العلم العربي فوق داره(بالقرية) وباشر جمع حملة من الثوار، وتوجه بها إلى(العقبة) لتلتحق بالجيش الفيصلي، وكانت تتألف من ثلاثة آلاف هجان، سار على رأسهم المجاهدون: حمد البربور، ومعذى المغوش، وأسد الأطرش، وعبدالله العبدالله، كما سير حملة إلى (بصرى) فاستسلمت له حاميتها دون أية مقاومة تذكر مستوليا على الأسلحة والذخائر والعتاد الحربي، وجند مجموعات من شباب بلدته ومن القرى المجاورة في الجبل لتكون طليعة الثورة العربية في فتح الشام، وفي الخامس من أيلول عام/١٩١٨م/ واصل سلطان زحفه

إلى دمشق مع قوات الجيش العربي، واشترك في معركة (الدير) حيث هزم جحافل الجيش التركي في معركة(تلال المانع) قرب(الكسوة) وأسر قائد الحملة يومذاك رضا باشا الركابي، وكان في طليعة القوات التي دخلت دمشق، قبل وصول الملك فيصل ببضعة أيام، ورفع العلم العربي على دار الحكومة وعلى دار البلدية في ساحة المرجه بدمشق، ولقد أعلن سلطان جهارا تأييده المطلق للشريف حسين في بيان أذاعه قال فيه:

(لم نتخذ قرارنا بتأييد الشريف حسين عن فورة عاطفية أو هوى، وإنما لأننا كنا نستلهم من تاريخ طائفتنا الطويل مواقفها السياسية والحربية المماثلة ضد العناصر الأعجمية التي تمكنت بنا في الداخل، والغزاة الطامعين الذين جاءوا لاستعمارنا وسلب خيراتنا من الخارج، وكذلك لأننا كنا على يقين من أن للحركة العربية جذورا راسخة في جبلنا منذ أن كانت تنشط في الخفاء ببلاد العرب أو في عاصمة الدولة العثمانية، وكانت لنا صلات وثيقة بمعظم المجاهدين أمثال:

عبد الرحمن الشهبندر، وأحمد قدري، وزكي الدروبي، ونزيه العظيم، ورستم حيدر وغيرهم [1].

نضاله في عهد الانتداب الفرنسي: أما نضاله الوطني في ظل الانتداب الفرنسي ومقاومته الشديدة للفرنسيين فقد أتينا على ذكرهما في فصل سابق من "النضال الوطني للمسلمين الموحدين الدروز" فلا حاجة للتكرار، وإنما نعدد هنا بعض أشهر معاركه التي خاضها ضدهم وهي:

- معركة الكفر في ٢٠ تموز عام ١٩٢٥.
- معركة المزرعة في ١-٢ آب عام ١٩٢٥ .
- معركة المسيفرة .   معركة تل الحديد تموز ١٩٢١.

---

[1] نجيب البعيني – رجال من بلادي – مؤسسة دار الريحاني ط١ ١٩٨٤ ص ٢٢٠

-معركة تل الحديد تموز ١٩٢١.
-معارك إقليم البلان ومجدل شمس ووادي التيم.
أما أهدافه الثورية الوطنية في كل المعارك التي خاضها فقد تجلت على أوضح ما يكون في بياناته الوطنية التي كان يصدرها للمناضلين الأحرار في جميع أنحاء القطر العربي السوري، وتتلخص بما يلي:
١.وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها، والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما، وقبولها في عصبة الأمم.
٢.قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون أساسي على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة.
٣.سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش محلي لصيانة الأمن.
٤.تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان في الحرية والمساواة والإخاء.
اضطرته أحداث الثورة وضغط المستعمرين على الثوار للعيش خارج وطنه على أرض المملكة العربية السعودية لمدة عشر سنوات عاد بعدها عام ١٩٣٦ ليشترك في الجهود المبذولة من أجل استقلال سورية عام ١٩٤٥. وفي عام ١٩٤٨ دعا إلى إنشاء(جيش الإنقاذ) لتحرير فلسطين، كما دعم قيام الوحدة بين سورية ومصر وأيدها، وكان له لقاء مع الرئيس جمال عبد الناصر في السويداء، مركز جبل العرب.
منكلماته المأثورة:
له كلمات وأقوال مأثورة قالها في مناسبات كثيرة بيّن فيها رأيه السديد وجرأته النادرة، ونظره الثابت، وطموحاته التي تعطي الدليل القاطع على مدى عمق الثورة في ضمير ودماء وعزيمة قائدها حيث يقول:

(أيها المواطنون العرب: أناديكم من معاقل الجبل المنيع، وهو داركم وسلاحكم وحرزكم وملاذكم، أن هبوا إلى المنافحة عن أوطانكم أوطان آبائكم وأجدادكم، وحطموا أغلال الاستعمار في دياركم، فيا أيها العرب الاماجد، صابحوا العدو الجائر خلال دياركم ببارود الثورة، وخذوا عليه الطرق وارصدوا له المكامن، واقطعوا الأسلاك، وانسفوا الجسور، واهبطوا على مخافره في كل مكان، واقتلوه حيث ثقفتموه، واغنموا سلاحه وعتاده).

وقال أيضا:

(إن المستعمرين نهبوا أموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا، وأقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد، وقسمونا إلى شعوب وطوائف ودويلات، وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى في بلادنا وأقاليمنا).

وفي بيان له يعلن عن رفضه عزل الموحدين الدروز عن الوطن العربي، مصرا على الصلات القومية التي تجمعنا بالوطن العربي، متجاوزا الفروقات المذهبية أو الطائفية، حيث قال:

(لا تنافس في الأهواء ولا خصومات، ولا أحقاد طائفية بعد اليوم، إنما نحن أمة عربية سورية، أمة مستضعفة قوية في الحق، قد انتبهت إلى المطالبة بحقها المهضوم، أمة عظيمة التاريخ نبيلة المقاصد..تريد الحياة، والحياة حق طبيعي وشرعي لكل الأمم التي قسمها الاستعمار الأجنبي فوحدتها مبادئ حقوق الإنسان وأعلام الحرية والمساواة والإخاء، نعم ليس هناك درزي وسني وعلوي وشيعي ومسيحي، ليس هنالك إلا أبناء أمة واحدة وتقاليد واحدة ومصالح واحدة، ليس هنالك إلا عرب سوريون).

وفي بيان آخر توجه به إلى كل العرب فقال:

(إن العرب فاتتهم فرص كثيرة للوحدة، وإذا لم ينتصر الفريق الوحدوي، وانتصاره محتم، فسوف ندمر آمال الشباب العربي،

ومهما طالت الأيام فسيأتي يوم يتماسك فيه العرب، ونحن ممن لا يقيمون اعتبارا للسنين في مسيرة التحرر والوحدة).

لقد وهب هذا القائد العظيم حياته للكرامة الوطنية والقومية رافضا كل عروض الاستسلام التي كانت تقدم له، ولم ترهبه قوة الأعداء وأسلحتهم وعتادهم، لأن عقيدته القتالية تقوم على الإيمان العميق والإرادة الصلبة والنزعة الإنسانية.

وصيته الأخيرة:

كانت وصيته الأخيرة التي أعلنها قبيل وفاته عام/١٩٨٢/الوصية السياسية، وهي وثيقة نضال، تختصر حياته عبر ثمانين عاما من الجهاد والعمل، ونقتطف منها مايلي:

(إخواني أبناء العرب، عزمت وأنا في أيامي الأخيرة، أنتظر الموت، أن أخاطبكم مودعا وموصيا، لقد أولتني هذه الأمة قيادة الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي الغادر، فقمت بأمانة القيادة، وطلبت الشهادة وأديت الأمانة، انطلقت الثورة من الجبل الأشم، جبل العرب، لتشمل وتعم، وكان شعارها:

الدين لله والوطن للجميع، وأعتقد أنها حققت لكم عزة وفخارا، وللاستعمار ذلا وانكسارا.

وصيتي لكم اخوتي وأبنائي العرب، هي أن أمامكم طريقا طويلة، ومشقة شديدة، تحتاج إلى جهاد وجهاد، جهاد مع النفس، وجهاد مع العدو، فاصبروا صبر الأحرار، ولتكن وحدتكم الوطنية، وقوة إيمانكم، وتراص صفوفكم، هي سبيلكم لرد كيد الأعداء، وطرد الغاصبين، وتحرير الأرض، واعلموا أن الحفاظ على الاستقلال أمانة في أعناقكم، بعد أن مات من أجله العديد من الشهداء، وسال بالوصول إليه، الكثير من الدماء، واعلموا أن وحدة العرب هي المنع والقوة، وأنها حلم الأجيال، وطريق الخلاص، واعلموا أن ما أخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ، وأن الإيمان أقوى من كل سلاح، وأن كأس الحنظل بالعز، أشهى من ماء الحياة مع الذل..

(الحمد لله، ثم الحمد لله، لقد أعطاني عمراً فقضيته جهاداً، وأمضيته زهداً).

(أسأله المغفرة، وبه المستعان، وهو حسبي ونعم الوكيل، أما ما خلفته من رزق ومال، فهو زهد فلاح متواضع تحكمه قواعد الشريعة السمحاء)[1]

[1] المصدر السابق ص ٢٢٨-٢٣٠

كمال جنبلاط
(١٩١٧ - ١٩٧٧)

كثيرون هم الذين كتبوا عن المرحوم كمال جنبلاط وأرّخوا له، ولكنهم لم يوفوه حقه في البحث والاستقصاء، وظلت كتاباتهم وتاريخهم في إطار الوصف العام لشخصيته التاريخية النادرة، إذ لم يقفوا بعد على كافة أبعادها، ولم يسبروا أغوارها، لاسيما بعدها الروحي، وغوره العميق، وهو أهم ما يميزه من بقية أبعاد شخصيته، ويطبعها بطابع لا يمحى أثره من ذاكرة الأجيال، وعلى كل حال، لا بد لنا، قبل أن نتحدث عن الجانب الذي يعنينا، من إطلالة سريعة على مسار حياته العامة، والتعريف به، وفيما يلي نبذة موجزة عما دُوّن عنه في عدد من المصادر التي ترجمت له.

فهو من أبرز الزعماء اللبنانيين في العصر الحديث، ويعد في طليعة رجال الثقافة والعلم في المشرق العربي، تميز بقوة شخصيته، وببساطة معيشته، وبترفُّعه ونزاهته وعمق تفكيره ونظرته الفلسفية الخاصة إلى الحياة.

ولد في قرية المختارة في لبنان، في ٦ كانون الأول عام ١٩١٧، وتلقى دروسه الثانوية في مدرسة عينطورة، فأتقن اللغة الفرنسية، وتبحّر في آدابها، ثم انتقل إلى باريس سنة/١٩٣٨/ودرس في جامعة السوربون، فأحرز فيها شهادتين، الأولى في علم الاجتماع والثقافة العامة، والثانية في علم النفس التربوي، ثم أنهى درس الحقوق في الجامعة اليسوعية، ومارس بعدها المحاماة سنة واحدة في مكتب الرئيس إميل إدّة سنة ١٩٤٢.

لم يكن يحب السياسة ولا يميل إليها، لكن ظروف البيت الجنبلاطي فرضت عليه العمل في هذا الميدان في مجلس النواب، وتكرر انتخابه بعدئذ مراتٍ عدة، حارب الفساد وانحراف السياسة اللبنانية داخلياً وخارجياً، ودعا إلى توثيق التعاون العربي.

أسس الحزب التقدمي الاشتراكي سنة/١٩٤٩/وكان رئيسا له، ثـم أسس الجبهة الاشتراكية الوطنية/١٩٥١/كما دعا إلـى التضامن الآسيوي الإفريقي ومحاربة الأحلاف العسكرية الغربيـة، وكـان مقاوماً عنيداً للانحراف في الإدارة والحكم على أشكاله، ولسياسة الهيمنة والتسلط والطائفية، ومقاوماً لإسرائيل وأهدافها التوسعية العدوانية.

وقد احتلت القضية الفلسطينية الجانب الأكبر من اهتمامه، فـرأس عدة هيئات تُعنى بهذه القضية، وكتب وحاضر واشتغل كثيراً مـن أجلها.

شغل مركز الوزارة مرات عدة، فكان وزيراً للاقتصـاد الوطنـي والزراعة عام/١٩٤٦/ووزيراً للتربية عام/١٩٦٠/ووزيراً للأشغال العامة والنقل/١٩٦١/ووزير دولة/١٩٦١/أيضا، ووزيراً للأشـغال العامة والبريد والبرق والهاتف عـام/١٩٦٦/ووزيـراً للداخليـة عام/١٩٦٩/.

ومن بعض صفاته الشخصية، أنه كان نحيل الجسم، مديد القامـة، هادئاً رصيناً متزناً، قوي الشخصية، صلب الإرادة، كثير البسـاطة في المأكل والملبس والمسلك، غضيض الطـرف، حـاد الذهـن، حاضر البديهة، شديد الذكاء، عفّ الكف واللسان،دينـاً وممارسـاً بطريقته الخاصة، لم يعـرف المسـكر ولا التدخيـن، حتـى ولا المسكنات الطبية، وكانت له فلسفة خاصة اقتبسها من ينابيعها، مـن المعرفة المصرية واليونانية والهندية، ومـن الحكمـة التوحيديـة الدرزية، فلسفة ترمي إلى تحقيق الأنـا الجوهريـة فـي التوحيـد المطلق، فينجاب الحجاب القائم بينها وبين الحقيقة لتصبح في بـهرة النور الحقيقي حرةً من الذات ومن وهم المادة...

ومن صفاته الشخصية أيضاً أنه كان سياسيا فذاً، وعالماً موسـوعياً، وكاتباً وأديباً وشاعراً وفيلسوفا ومصلحا اجتماعيا، وكـان وطنيـاً

صادقاً مخلصاً، لا تلين قناته في نصرة العدالة والحق والسلام وحرية الشعوب.

تزوج الأميرة ميّ ابنة الأمير شكيب أرسلان، فرزق منها وليداً الذي أخذ مكانه في الزعامة اللبنانية، وفي رئاسة الحزب التقدمي الاشتراكي، وفي الدور السياسي الفاعل في البلاد، فحمل الرسالة بكفاية وذكاء وجرأة.

استشهد المرحوم كمال جنبلاط في ١٦ آذار سنة ١٩٧٧، وفي كمين نصب له قرب بلدته المختارة، فذهب شهيد مبادئه ووطنيته وإخلاصه[١].

نشاطاته العلمية:

كان المرحوم كمال جنبلاط معروفاً في الأوساط العالمية والعلمية أكثر من معرفته في الوسط اللبناني، وكان شخصية عالمية بقدر ما كان شخصية لبنانية وعربية،وكان سياسياً بقدر ما كان إنسانياً، وفيلسوفاً بقدر ما كان في قرارة نفسه من بساطة وطيبة، وما في روحه من صفاء ولطافة وشفافية.

أسس جريدة الأنباء الناطقة باسم الحزب التقدمي الاشتراكي سنة/١٩٥١/وكتب لها افتتاحياتها، وكثيراً من بحوثها ومقالاتها، وألف العديد من الكتب في مختلف المواضيع، وخلف للأجيال ثروة ضخمة من نتاج عبقريته تعد بحق مدرسه للأجيال الصاعدة.

ومن مؤلفاته العديدة في اللغة العربية:

- غاندي والعالم المعاصر ١٩٧٠
- ديوان شعر باللغة العربية بعنوان(فرح) ١٩٧٣
- أدب الحياة ١٩٧٤
- ثورة في عالم الإنسان ١٩٧٨
- لبنان وحرب التسوية ١٩٧٧

---

[١] محمد خليل الباشا، معجم أعلام الدروز ج١ ص ٣٩٢ - ٣٩٧

- فيما يتعدى الحرف ١٩٧٨

ومن مؤلفاته باللغة الفرنسية والمترجمة إلى اللغة العربية:

- الديمقراطية العالمية والسلام ١٩٤٧
- الوجه الأخلاقي للدروز ١٩٤٩
- لبنان والعالم العربي
- الديمقراطية ١٩٥٠
- نحو اشتراكية أكثر إنسانية ١٩٧٦[1].

أما الكتب التي وضعت عن كمال جنبلاط فقد زاد عددها على العشرة حتى الآن، نذكر منها على سبيل المثال:

- كمال جنبلاط - التحدي الكبير - لنبيل هادي ط١ ١٩٧٨
- كمال جنبلاط - وحقيقة الوجود - رياض سليم ط١ ١٩٨٩
- كمال جنبلاط - واليوغا والحكمة الهندية - د.قيس غوش - ط١ ١٩٩٥
- كمال جنبلاط - ثورة الأمير الحديث - د.خليل أحمد خليل - ط١ ١٩٨٤

وإذ قد ذكرنا في مقدمة البحث عنه أن البعد الروحي لديه هو البعد الذي طغى على جميع أبعاد شخصيته، ووسمها بطابع متميز، فسنورد له هنا مقتطفات من آرائه مما كتبه وكتب عنه، في مختلف مناحي الحياة، خاصة نظرته في الأديان والمذاهب الفلسفية، ونتوجها بحوار له مع أشهر حكماء الهند في رحلة قام بها إليها عام ١٩٥١ ١٩٥٢، لنتبين من خلاله توقه الروحي إلى الإنعتاق من ربقة المادة والتحرر من أسر الجسد وسلطان الحواس، والجهاد في سبيل البحث عن الحقيقة للوصول إلى التحقّق العرفاني أو كما يسميه الحكماء الهنود الوصول إلى(النرفانا) أو(التوحيد مع المطلق) أو(الفناء في الله) على حد تعبير الصوفيين.

---

[1] المصدر السابق - ج١ - ص ٣٩٥ - ٣٩٦

ففي حوار له مع مجلة القضايا المعاصرة عام ١٩٦٩ يجيب عن الأسئلة التالية:

س:هناك من يعتقد أن الدين، أي تفسير الإنسان للخلق والوجود يؤثر تأثيرا أساسيا على نوع المجتمع الذي ينشئه الإنسان ويرضى بالعيش فيه، أو كما يفكر الإنسان هكذا يكون، والعرب في نهضتهم أليس عليهم أن ينظروا في هذه الناحية؟

ج:بالطبع، لأن الدين هو معتقد فكري في النهاية، وهو محاولة لتفسير المجهول للأشياء وأحيانا الماهية أيضا، وكلما تطور الدين وتقلص مجال تفسيره للأشياء، فالدين، في النهاية، معتقد اجتماعي إنساني، بشري، ضروري في حياة الإنسان حتى يفسر المجهول.

فهناك أشياء كثيرة لا يمكننا أن نفسرها بواسطة العلم كالموت مثلا، أو كمصدر حركة الوجود، الدين ظاهرة اجتماعية تبقى مابقي الإنسان، إلا أنها تتطور بتطور الإنسان، ليس في الحياة جمود، كل شيء حركة، ربما الحركة هي الشيء الوحيد الموجود، كما يقول بعض العلماء، لأن الأديان تبقى في مستوى الفكر ولا تتعداه، فالاختيار الذي أعنيه يتعدى مستوى الفكر، أو يواجه العقل بغير ما يواجهه الفكر المتوجه إلى الخارج، ثم أن مقاييسه هي غير هذه المقاييس، أعطي مثلا على ذلك نظرية النسبية لاينشتاين، فهي تبدو للوهلة الأولى غير منطقية بموجب الفكر لأن أينشتاين أوجدها بنوع من الحدس الداخلي لحقيقة الأشياء أو لحقيقة تناقض الازدواجيات في الجدل التكويني، فقال عن الكون إنه لا محدود ولكنه متناه، لكننا حين نتأمل مليا أشياء كثيرة حتى في العلم نتعدى نطاق الفكر، فالاختبار الذي أعنيه كما قلت ينطلق من هذه الأشياء البسيطة التي أوجدها العلم، لأن هذه الأشياء ليست جديدة، فالأقدمون كانوا يقولون بها، لكن علينا أن نستخدم وسيلة أخرى للتقدم بالإنسان، وسيلة الاختيار الذاتي بواسطة العقل الراجح.

س:كنت أحب أن يكون اجتماعنا هذا في(المختارة)لأن المختارة جزء كبير من التاريخ اللبناني، وخصوصا تاريخ لبنان الحديث في المئتي سنة الأخيرة، فإلى أي حد أثرت المختارة وتؤثر في سياستك اللبنانية وفي اتجاهاتك على العموم؟

ج:كل فكرة بحاجة إلى قالب، طبعا، أثرت في البداية، منذ صغوري كنت أشعر بأن الإنسان يجب أن يتعدى جميع القوالب الفكرية الموضوعة، ومنها الدين والنظرات الاجتماعية الضيقة، للوصول إلى حقيقة ثابتة يمكن أن يرتكز إليها في وجوده، أو في حياته، فبدأت بالنظرية القائلة بأن الله إذا كان موجودا، فيجب أن نختبره كاختبار بعض العناصر في عملية كيميائية، وإلا فإننا نعبد صنما فكريا لا أكثر، ويقول جلال الدين الرومي: (الأصنام الفكرية هي أخطر بكثير من الأصنام المصنوعة من حديد وخشب، فحاولت تهديم هذه الأصنام تدريجيا في نفسي، ثم عندما تعرفت على أديان كثيرة من مسيحية وإسلامية ودرزية، تعلقت بها فترة، لكنني رأيت نفسي بحكم التيار الذي يدفعني في التفكير، الأخير في اختبار يمكن أن أمسكه كما يمسك الإنسان ذاته، رأيتني أتخطى هذه الأديان كلها، تعرفت على الهند فراعني فيها الأمر التالي: لا يطلب منك أن تؤمن إلا إذا رأيت ببصيرة أخيرة، وهكذا وجدت أن الاختبار محك التدين في النظريات الهندية والصينية كذلك، وقد تعرفت في الصين على نظريات(لاوتسه) وشيئا فشيئا أخذت هذه الرواسب الداخلية تتصفى مني، وحين اضطررت إلى العمل في السياسة، لم أكن عندئذ متحررا تماما بالمعنى الصحيح للكلمة. إذ يجب أن يركز الإنسان العمل السياسي على المرتكزات الاجتماعية المعطاة له مع محاولة تخطيها ما أمكن، ثم كان لي حظ أعتبره فوق كل الخطوط، وهو اجتماعي بحكيم من أكبر حكماء الهند مع فريق من إخواننا في ذلك الوقت، منهم الدكتور روجيه غوديل الذي أصبح معروفا اليوم في فرنسا، وغيره من كبار الأوربيين في بريطانيا وسويسرا

وهولندا وأمريكا الشمالية واللاتينية، تعرفت منه على الحقيقة الأخيرة للوجود وطريقة إعطاء الحقيقة، تماما كما لو كنا في حضرة سقراط أو كبار حكماء التاريخ، وبالطبع لم تجعلني هذه المعرفة أتخلص تماما من رواسبي الكثيفة، رواسب الأفكار والعادات القديمة، والتحرر الكامل و الرجوع إلى الأصالة، ولكن الإنسان بالمجاهدة وممارسة نوع من التخلي عن الأقنية الفكرية وعن العادات المتوارثة، يصل تدريجيا إلى وقت يشعر فيه على الأقل لفترة معينة، قد تمتد إلى الأزل، بأنه حر، هذه الحرية تتبع طبعا، من وعيه لذاته الحقيقية، فالإنسان الحقيقي في ذاتنا هو الذي نكتشفه عبر هذا الاختبار الطويل، فأنا اليوم متحرر في حياتي السياسية وفي كل شيء أكثر بكثير مما في الماضي، وإنني أشعر أن أفكاري، حتى التحررية منها، أخذت تسير وتوجه أناسا كثيرين، حتى المتدينين منهم، وتعطيهم نوعا من الخميرة الضرورية للإنسان حتى يحطم أصنامه الفكرية ليصل إلى ما يجب أن يصل إليه، وأشعر أن في العالم تغيرا كبيرا في هذا الاتجاه، إن في بلجيكا أو في فرنسا، أو في هولندا أو في بريطانيا أو في ألمانيا.

العالم كما يبدو. قادم على شيء جديد، على تفتيش جديد في أعماق الإنسان، هنالك موجة ضد كل طقس، ضد كل عقيدة، ضد كل عادة اجتماعية، بل ضد الموضة نفسها، إنها تتحدى كل شيء حتى تسقط الرواسب من الإنسان، فيصل إلى المستوى الإنساني، إلى هذا المفهوم اللاشخصي للحقيقة الأخيرة للوجود، أشعر أنني أؤثر في الناس، يأتي إلى كثيرون من المثقفين، حتى من الخوارنة، ليبحثوا معي في هذه القضايا،فالكنيسة نفسها تتبدل من الداخل كما قلت، فإن شاء الله تصل هذه الموجة الخيرة إلى الشرق، وقد بدأنا نشعر بها في لبنان، فكثيرون يأتون إلي للحوار الذي يسقط عنا الأغطية، فالمطلوب إسقاط الأغطية، كل الأغطية، فماذا يبقى عندئذ؟ هل يصبح الإنسان غير قومي أو غير مرتبط بشيء؟ كلا يظل يقوم

بواجبه، وإنما بشكل آخر، بشكل إنساني أكثر، ويشعر في داخله أنه متحرر من كل هذه الارتباطات، هل الإنسان الذي يأكل هو كله في الأكل؟ لا يمكن أن يكون ذلك، لكن هناك من يأكلون ويعتبرون الأكل لذة الحياة ويتوحدون مع الأكل، وهناك أناس يأكلون دون أن يتوحدوا مع الأكل، وهكذا بالنسبة إلى الجسد، فهناك من يتوحدون مع الجسد، وهناك من يشعرون رغم قيامهم بكل وظائف الجسد بأنهم أحرار من الجسد، ضيوف فقط داخل الجسد، وثمة أناس يتوحدون مع الفكر بواسطة العقائد الدينية والسياسية التي تتحول أيضا إلى أصنام سياسية ودينية، وهكذا يتوحدون مع الفكر فيصبح الفكر بالنسبة إليهم صنما، لكن هناك من يستطيع أن يفصل بين فكره وذاته الحقيقية، وهؤلاء يعتبرون الفكر محض وظيفة للتعاطي مع الخارج، لفهم الأشياء الخارجية، العلم نفسه يمكن أن يصبح صنما، يمكن أن يصبح أيضا وسيلة للتحرر، والأقدمون أدركوا أن المعرفة هي الوسيلة الأولى والأخيرة للتحرر قبل المحبة، لأن الإنسان إذا لم يعرف الشيء الذي يحبه فكيف يمكن له أن يحبه؟ يكون الحب عندئذ نوعا من الأنانية، نوعا من الإحسان على أمل المكافأة في الآخرة، لكن المحبة الحقيقية هي مجردة عن كل أنانية، فالأنانية هي آخر غطاء يسقط عن الإنسان فتسقط معه جميع الأغطية.

رحلات جنبلاط إلى الهند ولقاءاته بمعلمه شري أتمننداا[1]:

وهذه مقتطفات من لقاءاته وحواراته مع الحكماء الهنود تظهر بجلاء شوقه وتفانيه في البحث عن الحقيقة، وسعيه للحصول عليها ولو كانت في آخر الدنيا.

(1) د.قيس غوش، كمال جنبلاط واليوغا والحكمة الهندية ص ٢١٢.

رحلته الكبرى الأولى عام ١٩٥١:

كانت رحلاته إلى الهند شبيهة بالحج السنوي، وإن رحلته الكبرى الأولى إلى تلك البلاد كانت عام ١٩٥١ عن طريق البر عبر البلاد السورية والعراق وإيران وباكستان الأهوار، ودولي وكالكونا، ووصولا إلى ولاية تريفندروم(trivandrum)،وكان لهذه الرحلة غايتان: الأولى سياسية زار أثناءها مقر الحزب الاشتراكي الهندي وأعضاءه بدعوى من الحزب عينه، والثانية ذات مغزى روحي حيث واجه معلمه الروحي طالبا منه العلم(المضنون به على غير أهله)وذلك لقلة الراغبين فيه وانحسار عدد الساعين وراءه، وهذا العلم يوصف لديهم بأسمى مراتب المعرفة، لأنه (معرفة استشهاد الذات على الذات)وليس معرفة الذات.

وهذه مقتطفات مما دار بين جنبلاط وبين معلمه الحكيم الهندي شري أتمننندا

في تلك الرحلة إلى الهند:

- جنبلاط: هل يستطيع كل شخص أن يتحرر؟

- أتمننندا : إن كل شخص يستطيع أن يتحرر إذا كان حقا مخلصا وهو يريد التحرر.

- جنبلاط: يستفسر عما إذا كانت حالة التحرر لا تستقر للإنسان مع القيام بالعمل الاجتماعي والسياسي.

- أتمننندا : ينفي هذا التخيل، ويقول: بأن المتحرر يقوم بو'جباته كرب عائلة، كصاحب مهنة، كمواطن دولة أو قائد فيها.

وفي حديث آخر بين أتمننندا وتلميذه، دار الكلام حول(الأفكار وكيف أنها غير موجودة بذاتها..وأنها تستمد وجودها من(نور الوعي)وسببه النور الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يفنى ولا يزول، ومثال ذلك، ماء البحر وموج البحر، فالماء هو البحر، والموج شكل للماء و مظهر).

وفي حديث آخر بين المعلم وتلميذه دار الحوار حول(الطهارة)، فالمنعتق المتحرر هو الطاهر، والانعتاق هو الطهارة، لأن تلك ميزة(الأنا الجوهرية) وهنا يستفسر جنبلاط عن طهارة الجسد وتأثيرها في ترقي الإنسان الروحي، فيجيبه أتمنندا قائلاً:إن العلاقة الجنسية عند الزواج وسيلة للتحقق من(الأنا الجوهرية)، ومن يدرك هذا يكون الجنس عنده للترفع والتحرر..

وفيما يتعلق بالتحرر الروحي وعلاقته بالسعي لإصلاح المجتمع اقتصادياً وسياسياً يجيب أتمنندا موضحاً لجنبلاط:

(ينبغي أن يعمل الناس في ميادين متنوعة، إنما يشترط في ذلك أن يتم بروح التحرر والترفُّع عن النفع الشخصي الآني، وعليه نقوم بواجباتنا نحو العائلة والمواطنين والبلاد متجّردين حتى من النفع المعنوي، بمعنى أن يبقى العمل لأجل العمل، وليس من أجل ثمرته أو مردوده، عند القيام بأعمال مثل هذه، تتألق الروح، الأنا الجوهرية، فيتم للمرء التحرر وتصلح نفسه، ومن ثم يصطلح ما حوله.)

وفي حوار آخر تم بينه وبين المعلم في الرحلة نفسها في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٥١ حيث سأل جنبلاط معلمه عن حقيقة العواطف الثلاث:الغضب،الألم،الكره. فأجابه المعلم:(إن السعادة ليست عاطفة، بل هي"الأنا الجوهرية" وكل ما يصرف المرء عن الاستقرار فيها، يتسبب بإثارة العواطف، وهذه كلها تبدأ أو تزول، أما الأنا الجوهرية فتبقى وتدوم... العواطف من أعمال الفكر، تبدأ به، وتزول بزواله).

ثم يسأله جنبلاط عن الموت والشبه بينه وبين النوم العميق، فيجيبه: (الموت شبيه بالنوم العميق، والأنا الجوهرية وحدها تبقى في الحالتين، تدوم وتشع بمجدها الذاتي).

وجوابا على مسألة(أهمية الجسد وقيمة حفظه سليما قويا عن طريق التمارين الجسدية)، قال المعلم أتمنندا:(يسمح بالاستمرار شرط أن

لا يعير جنبلاط هذه التمارين اهتماما أكثر مما تستحق، وأن لا يحصر انتباهه في جسده، لأن عليه أن يتحرر من فكرة الجسد...)
وفي الحديث التاسع سنة ١٩٥١ الذي تَّم بين المعلم وتلميذه، دار الحوار فيه حول(الخير والشر في مفهوم الفيدنتا)أشار أتمننداإلى أن الأنا الجوهرية تتعدى الخير والشر، وأنهما ينحصران في نطاق العالم الظاهر، في نطاق الفكر، وأنهما مفهومان نسبيان متمازجان،(فلا عمل خير يكون خيراً محضاً ولا شراً يكون شراً محضاً، فقد يغلب في العمل الواحد الخير على الشر، وقد يكون العكس.
إلا أننا نستطيع القول إن الخير هو كل ما يحمل على تلاشي الأنا الظاهرة وعدم انتفاخه، وإن الشر هو كل ما يسبب هذا الانتفاخ، والمتحرر يتعدى الخير والشر، فلا تعود تؤثر فيه نتائج الأعمال، بحيث يبقى الشاهد عليها فقط لا أكثر).
ثم يضيف المعلم قائلا: إن المتحرر لا يستطيع إتيان عمل الشر، لأن الشر مصدره ومرجعه الأنا السطحية الظاهرة، والمتحرر بفعل تحرره قد تعرَّى من كل أنانية، لقد زالت عنه تماما، وبقي لا يستطيع إلا فعل الخير.
وفي حديث له مع المعلم تم في رحلة ثانية له إلى الهند علم ١٩٥٣ وكان موضوعه(الفرح) وكيف أنه هدوء للفكر وطمأنينة فيه، وليس شيئاً حسياً يتم الحصول عليه عن طريق اقتناء الأشياء والتمتع بها، وقد ورد في ذلك الحديث موضوع الحالات الثلاث ويقظة الوعي فيها، وأن هذه اليقظة دائمة ومستمرة.
ثم دار الحوار حول المعرفة(وأنها ملازمة لجميع نشاطات الإنسان، وحول الوعي، وكيف أن المعرفة والفرح والوعي هي ذات

الشيء)فالوعي انعتاق،والزهد لا يكون بترك الأشياء والتنازل عنها، إنما يكون باللاتعلق بالأشياء(١).

من أقوال جنبلاط في الحكمة:

- للحكيم ليس هناك موت، الموت ما هو سوى وهْم، وهُمّ يحقق نفسه في حالة ما، لنأخذ الروح مثلاً، ليس لها بداية أو نهايـــة، كل ما هو أبدي ليس له بداية أو نهاية.
- وإذا أراد الطالب أن يرتقي عقله وأن يصفو جنانه أكثر، وأن تدوم بهجته وتطول سعادته، فما عليـــه إلا بـــالتوحيد الحقيقـــي مسلكاً، أي بعرفان الحكمة.
- أكبر طموحي أن لا يكون لي أمنية، أي طموح، أتمنى حقـــاً أن لا تكون لي أمنية، وفي هذه اللحظة ربما أكون ثابتـــاً كليـــاً على هذه الحكمة، ونكون خرجنا من تأرجح أمواج الرغبات.
- لا توجد إلا حكمة واحدة هي معرفـــة العقـــل - أي جوهـــر الأشياء - الذي يقود الكل عبر الكل.

ومن أقواله أيضاً في:

الديمقراطية:

- الديمقراطية حكم الرأي السليم وتفاعل النخبة الصالحة مع النـــاس والاحتكام للقانون.
- الديمقراطية إذا اقتصرت على الشكل و المفهوم الســـطحي دون الجوهر تؤول إلى فوضى وتكون ضد التطور.
- الديمقراطية ليست تمثيل أفراد، بل تمثيل نشاطات الأفراد المهنية والاقتصادية والثقافية والمعنوية.

المعرفة:

- المعرفة هي أداة التطور وعامله المؤثر الأول.

---

(١)د.قيس غوش - كمال جنبلاط واليوغا والحكمة الهندية ص٢٠٢ - ٢٠٩
ود.خليل، كمال جنبلاط - الرحلات الكبرى إلى الهند ص ٣٥٥ - ٣٦١

- المعرفة العلمية الأخيرة ومعرفة العرفان هي واحدة وهي ذاتها في النهاية.
- إن العلم وليد العقل وإن العلم ليس له وطن.
- ينزع العلم اليوم لنوع من الروحانية الجديدة.
- إن مبادئ العلم التي تتلقونها ليست إلا سبيلا صغيرا لمعرفة أعلى وأرقى وأوسع.
- المعرفة هي مرآة النفس ومسلكها العفوي ودربها الطبيعي.
- الفرح هو في الانتصار على الجهل، لا في معرفة أشياء أكثر.
- المعرفة هي باب الحب.

في الجمال والحب:

- هل يعيش الإنسان إذا لم يتمتع بسحر هذا الوجود وبراءة الطبيعة على عفويتها.؟
- الحب يجذب الأشياء ويجعلها تتجمع وتتوحد، والكراهية تجعلها تتفكك وتزول..وكل شيء انجذاب ونفور.
- الفرح والسعادة لا ينفصلان عن الحب.
- الحب تقديس صور الجمال المطلق في أهله.
- الحب الحقيقي هو طريق وسبيل إلى الأحدية.

الأخلاق:

- يفترض أن يكون للفرد نظام للأخلاق والمناقبية في داخله وفي علاقاته مع الآخرين..فالنظامان -نظام المجتمع ونظام الأخلاق- متلازمان متصلان لا يقوم أحدهما بدون الآخر، وإلا سقط الفرد وفسد المجتمع، واضمحلت الحضارة، وتبعتها في اضمحلالها جميع مكاسبها المادية.
- أدب النفس يبدأ عندما نتخلى عن هذه الحشرية وعن هذا الملق وعن هذه الوقاحة.
- يجب أن تتوخى دائما الحقيقة فيما تقوله.

- تحرر من الإسراف ومن التجاوز ومن عبودية الشهوة أية كانت، فتتمتع بأفضل وأقوى موارد التمتع: الشعور بالسيادة الذاتية على جميع الأفكار والاشتهاءات..فلا يختل ميزان فكرك، ولا يضطرب اتزان مزاج جسدك.

- إذا تعودنا أن تكون أفكارنا خيّرة، جرت في ذهننا أقنية الخير، فنشعر بالخير ونفكر بالخير، ونفعل الخير..

الأدب الشعر:

- الأدب استثارة لهذه المعرفة الحقيقية الدائمة، وليس هو تغشية للواقع أو تخيلا أو خلقاً من العدم، أو إبداعاً من الخواء الفراغ أو تقليداً أجوف للحرف والخط الميت.

- فالأديب والشاعر والفنان لا يستطيع أن يتوغل في القمة إلا إذا تجرد وانسلخ عن نفسه، كما تتسلخ الحية عن قشرتها.

- الشعر أفضل الشعر، هو الذي يلقي نوراً على كينونة الحيلة، أي على الحقيقة وعلى الجمال.

أدب الحياة:

- الإنسان لا يتغير حقاً إلا إذا تبدل من الداخل.

- الإنسان لا ينفصل داخله عن خارجه، ولا ظاهره عن باطنه، فهو كل لا يتجزّأ.

- إن في راحة البال لسرا عجيبا يفعل في جميع أحاسيس الجسد وتلاوين الشعور وخطرات الفكر.

- ولد الإنسان ليكون متحديا دائماً - وفي السكون يبدأ بالانهيار - وكذلك في الحضارات.

الحرية:

- الحرية هي الوعي.

كيف يستطيع أن يحرر الآخرين وهو لا يدرك معنى الحرية؟

- الحرية جهاد، وهي الجهاد الأكبر في حياتنا.

- قضية الحرية، هي قضية الإنسان منذ أن وجد، تستقطبه ثم لا يلبث أن يستولي عليها، ثم يرهقها ويقيدها، أو يعبث بها أو لا يقدرها حق قدرها، أو يمارسها على غير هدى، ودون إطار من النظام المادي والحرية المعنوية والمسؤولية الاجتماعية، فترتد لتنتقم منه، ثم يعود فيندرج في مسالكها وأسبابها، ثم يؤوب إلى استئثاره وعبثه، ثم ترجع هي لتثأر باسم القيم الإنسانية الدائمة.

القومية العربية:

- ألم يحن للعرب أن يدركوا قوتهم الفعلية النامية الاقتصادية والمالية والسياسية المتطورة؟

- الوحدة والتخطيط والتنسيق وإنشاء المؤسسات المركزية ليست فقط طريق التحرير.. بل هي طريق البقاء والصمود لأجل ممارسة الدور العربي الكامل على الصعيد الدولي.

- يجب أن لا تكون القومية أداة انكماش أو عزلة، أو قطبا مثيرا دائرا على نفسه..بل وسيلة أخرى للالتقاء مع الآخرين، للانفتاح على ماهيتهم وهويتهم، للانسجام في حياتهم، للإسهام في عيش الجماعات كلها القاطنة فسحة هذه الأرض الصغيرة التي أضحت تضيق كل يوم بساكنيها.

المثقفون:

- كانت العقبة الكبرى التي اصطدمنا بها ولا نزال، أن معظم المثقفين في هذا البلد تعوزهم المسؤولية وتنقصهم إرادة العمل، وتستحوذ عليهم رغبة الكلام، وهم بحاجة إلى التحلي بالإخلاص وبالرسولية الحقيقية...

فهذه الأرستقراطية الجديدة، التي تبدو كسولة في كثرتها، هي عبء على الأمة وثقل على الأحزاب، لأن ليس لها أية فكرة عن وجودها وعن غاية عيشها، وعن أسباب تحركها وعن قدرتها في الفعل والتأثير، وهي تنتظر كالبرجوازية التقليدية يوم النصر القريب، أي يوم الفرج، دون أن تضع شيئا لتجعله في متناول اليد.

وفوق كل ذلك، تفتقد الإيمان وبساطته المضيئة في النفوس، فالنكرانية قد جزأت الإنسان المثقف وشتتت، معظم الأحيان، نزعاته وتوجهاته، فأصبح في موضع الحقد والانتقاد، لا في مقام التحليل المجرد وموضع الإبداع والتقدم والإنشاء، لم يستوعب في تحليله القديم ليفهمه، وينطلق من بعض مرتكزاته السليمة، ولم يستطع أن يتبين الصواب من الخطأ في الجديد القادم إليه، لكي يضع بالنسبة إليه وللآخرين، خطة في مواجهته وتفهمه وتحقيق صوابه، وبالحقيقة يجب أن نضعه على الأفراد والمثقفين.

مختارات من شعره:

من قصيدة له بعنوان(حكاية الحرف وتكوين الإبداع):

في الوعي بعثٌ من الأسحار في الحدق أحلامُها جنٌن من قيّومة العمق
يا موضع النورفي الأحداق كم رقصت فيك المرايا، وكم عانت من القلق
يا راكبا من عتاق الخيل أرفعها هلا لمحت خيول الفكر في الشفق؟

ويقول في مكان آخر:

أنت في صباح الجمال صلاة أنت في حنين الضلوع صفاء
يهرب الليل من خيام ضميري حين يرنو، إليك مني، الرجاء
والأساطير، في الحنايا ، تفنى من شميم العقول فيها ضياء
وحبيب العقول نور العشايا تصطلي فيه روحنا والسناء
يعبر الحلم فوق نوم البرايا وهو في الحلم ومضة واقتفاء

وقال في الموت:

أموت، ولا أموت، فلا أبالي فهذا العمر من نسج الخيال
هي الأيام تجري في دمانا أم الحق المكون ألف حال؟[1]

---

[1] نجيب البعيني – رجال من بلادي ص ٣٦٣ وما بعدها.

(المراجع)

الأسد حافظ	مجموعة خطب - الكتاب الثاني عشر مطابع الإدراة السياسية دمشق ١٩٨٣
الأطرش سلطان	المذكرات المخطوطة صياغة الأستاذ يوسف الدبيسي
الأشرفاني محمد	عمدة العارفين مخطوطة.
أرسلان شكيب	الروح الشقيق في الجزل الرقيق دمشق مطبعة ابن زيدون ١٩٢٥
الأنطاكي يحي بن سعيد	تاريخ يحي بن سعيد الأنطاكي تحقيق لويس شيخو المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٩
إسماعيل منير	مجموعة وثائق خاصة
إسماعيل محمود	الحركات الباطنية في الإسلام دار القلم بيروت ط١ ١٩٧٣
آلجندي أدهم	تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي مطبعة الاتحاد دمشق ١٩٦٠
ابن الأثير	الكامل في التاريخ بيروت دار صادر ١٩٦٥-١٩٦٧
ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد	زبدة الطلب من تاريخ حلب دمشق المعهد الفرنسي ١٩٥١-١٩٦٨
ابن القلانسي حمزة أبو يعلى	ذيل تاريخ دمشق بيروت نشر الآباء اليسوعيين ١٩٠٨
ابن يحيى صالح	تاريخ بيروت نشر الأب شيخو اليسوعي بيروت ١٩٢٧
د. أبو عباس صالح ود.سامي مكارم	تاريخ الموحدون الدروز السياسي في المشرق العربي ط٢ بيروت ١٩٨١ منشورات لمجلس البحوث الدرزي
ابن سباط	صدق الأخبار
ابن خلدون	تاريخ ابن خلدون ج٦
أبو عز الدين سليمان	ابراهيم باشا في سورية ١٩٢٩
سامي أبو شقرا	مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ عماطور ومكتبة ناصيف ١٩٧٩.
أبو عز الدين نجلاء	الدروز في التاريخ ط١ ١٩٨٥ بيروت.

أبو راشد حنا	جبل الدروز ط٢ ١٩٦١ بيروت.
أبو مصلح غالب	الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي - منشورات مكتبة العرفان /١٩٧٥/.
أبو ترابي جميل	شيوخنا الأعلام - مخطوط ١٩٩٢.

ب:

د. بعيني حسن	دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٦ المركز العربي للأبحاث والتوثيق - بيروت.
د. بعيني حسن	جبل العرب - صفحات من تاريخ الموحدين الدروز - دار النهار - ط١ ١٩٨٥ بيروت.
الباشا محمد خليل	التقمص وأسرار الحياة والموت ط ١ ١٩٨٢ - دار النهار - بيروت.
الباشا محمد خليل	معجم أعلام الدروز ج١+ج٢ ط١ ١٩٩٠ - الدار التقدمية - المختارة - لبنان.
بركهارت	رحلات في سورية والأرض المقدسة - ترجمة سلامة عبيد - مكتبة حرب.
بوجيبيه دي سان بيير	الدولة الدرزية ترجمة حافظ أبو مصلح ١٩٦٧.
البستاني إدوارد	الكتاب الذهبي لجيوش الشرق الأوسط ١٩١٨ - ١٩٣٦ - ترجمة.
البعيني نجيب	رجال من بلادي - دار الريحاني - بيروت ١٩٨٤.
بورون، ن	الدروز - ترجمة عادل تقي الدين - مطبعة القديس بولس - حريصا لبنان ١٩٣٣

ت:

تقي الدين زين الدين عبد الغفار	مجرى الزمان - مخطوطة.

ج:

د.حسين كامل	طائف الدروز - تاريخها وعقائدها - دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ط٢.
د.حسني فليب	لبنان في التاريخ - ترجمة الدكتور أنيس فريحة - بيروت: دار الثقافة ١٩٥٩.

خ:

د.خلة كامل محمود	فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩ - بيروت ١٩٧٤.

د:

الدبيسي يوسف	أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية ط١ - بيروت.

ر:

الريس منير	الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي - الثورة السورية، بيروت: دار الطليعة ١٩٦٩.

ز:

د.زهر الدين صالح	تاريخ المسلمين الموحدين الدروز - المركز العربي للأبحاث والتوثيق - بيروت ط١ ١٩٩١.
د.الزعبي محمد علي	الدروز ظاهرهم وباطنهم - مؤسسة مطابع معتوق ط٢ ١٩٧٢.

س:

سعيد أمين	الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن القاهرة.(بدون تاريخ).

ش:

الشدياق طنوس	أخبار الأعيان - منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٧٠

	بيروت.
الشهابي حيدر	الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان - القاهرة ١٩٠٠.
الشمعة هاني	مذكرات جندي في حرب تشرين.
شبيب سميح	حزب الاستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢ - ١٩٣٣ - مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٨١.

ص:

الصفدي أحمد محمد الخالدي	لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني ١٩٦٩.
الصليبي كمال	منطلق تاريخ لبنان - بيروت - منشورات كار فان ١٩٧٩.
الصليبي كمال	فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية.
الصغير سعيد	بنو معروف في التاريخ - منشورات مطابع زين الدين - لبنان ١٩٨٤.

ض:

ضاهر مسعود	تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ - ١٩٢٦ - بيروت ١٩٧٤.

ط:

الطاهر محمد علي	ذكرى الأمير شكيب أرسلان - الدار التقدمية ط١ بيروت ١٩٨٨.
طليع أمين	أصل الموحدين الدروز وأصولهم بيروت - دار الأندلس ١٩٦١.

ع:

عبيد سلامة	الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ - ١٩٢٧ علي ضوء وثائق لم تنشر بيروت: دار الغد: ١٩٧١.

ف:

فرنسيس سعيد	بنو معروف في ساحات المجد.
فروح عمر	عبقرية العرب ط٣.

ق:

قرألي بولس	فخر الدين المعني الثاني ودولــة توسـكانا ـ ١٥٩٠ ـ ١٦٣٥/حريصا ١٩٣٣/
القاسمي ظافر	وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى ـ دار الكتـاب الجديد ـ بيروت/١٩٦٥/.
قهوجي حبيب	العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨.

ك:

كرد علي محمد	خططا لشام ـ دمشق ١٩٢٥.

ل:

لوتسكي فلاديمير	الحرب الوطنية التحريرية في سـورية ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ ـ ترجمة محمد ديـــاب ـ دار الفــارابي ـ بــيروت ط ١٩٨٧.

م:

المولي سعود	الأمير شكيب أرسلان بنو معـــروف أهــل العروبــة والإسلام. دار العودة ـ بيروت ط١ ١٩٩٠.
د.محمود مصطفى	الله ـ دار العودة ـ بيروت ط١ ١٩٧٢.
المقريزي تقي الدين أحمد	اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ـ القــاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٤٨ ـ تحقيق جمال الدين الشيال.
مشاقة ميخائيل	منتخبات في الجواب على اقتراح الأحباب ـ بــيروت ـ نشر رستم وأبو شقرا. بيروت ـ مديرية الآثار ١٩٥٥.
المحبي محمد بــن معين بن فضل الله	خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر القــاهرة: المطبعة الوهابية ١٢٨٤هــ.
المعلــوف عيســى	تاريخ فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ـ جونيــه ـ

اسكندر	مطبعة الرسالة اللبنانية - ١٩٣٤.
الملحم إسماعيل ووهيب سراي الدين وهايل القنطار ورياض نعيم	سويداء سورية - دار علاء الدين - دمشق/١٩٩٥/.

ن:

النجار عبد الله	مذهب الموحدين الدروز - دار المعارف - بمصر ١٩٦٥.
نصر صالحة	الضابط الطيار كمال نصر مناضلا وشهيدا - مطابع ألف باء الأديب - دمشق ١٩٨٣.
نويهض عجاج	التنوحي والشيخ الفاضل - بيروت - دار الصحافة - ط ١٩٦٣
نويهض عجاج	أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان - لحم والمردة - بيروت - دار الصحافة ١٩٦٢

هـ:

هشي سليم	الإسماعليون عبر التاريخ - بيروت ١٩٦٩.
هشي سليم حسن	تاريخ الأمراء الشهابين - بيروت ١٩٧١

كتب مقدسة:

-القرآن الكريم
-الكتاب المقدس

دوريات ووثائق:

-مجلة الضحى اللبنانية
-جريدة السفير اللبنانية
-جريدة تشرين السورية
-أوراق لبنانية
-السجل الأرسلاني، وتعليق الأمير شـــكيب عليـــه، مطبعة ابن زيدون
دمشق ١٩٣٥.

الفهرس

من إصدارات دار علاء الدين للنشر

• آرام دمشق واسرائيل

.... فراس السواح

• بدايات الحضارة

.... عبد الحكيم ذنون

• جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة

.... فراس السواح

• الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم

.... فراس السواح

• دين الإنسان

.... فراس السواح

• الديانة الفرعونية

.... واليس بدج

• لغز عشتار

.... فراس السواح

• مغامرة العقل الأولى

.... فراس السواح

• الاسطورة والمعنى

.... فراس السواح

• تشريعات بابلية

.... عبد الحكيم ذنون

• تاريخ القانون في العراق

.... عبد الحكيم ذنون

• سويداء سورية موسوعة شاملة عن جبل العرب

.... مجموعة من المؤلفين

• شريعة حمورابي

.... ت . أسامة سراس

• طقوس الجنس المقدس

.... إينانا ودموزي

• الجنس في العالم القديم

.... بول فريشاور

• المراحل التاريخية لتطور النظام الاداري في سورية

..................................د.دنحو داوود

• البلدان النامية ـ مشكلات العلاقات الاقتصادية

...... ا . س بورتيانيكوف ـ ت. د. ماجد علاء الدين

• الحسين بن منصور الحلاج

.... سمير السعيدي

• صفحات من تاريخ فن الرقص

.... فائق شعبان

• المسرح السياسي في سورية

.... د. غسان غنيم

• تدمر وروما

.... محفوظ أيوب

• أسرار المدافن المصرية

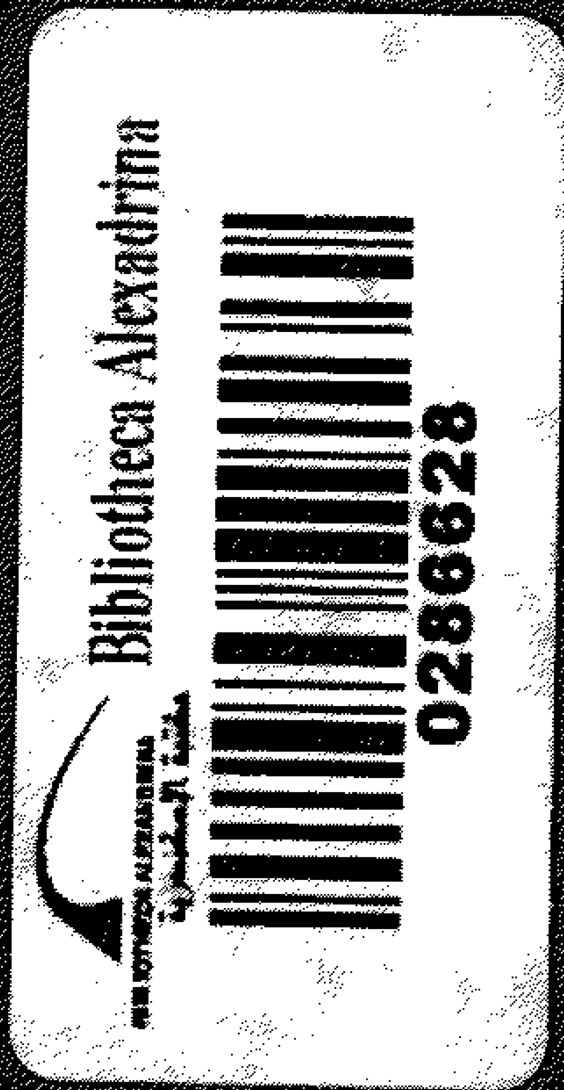
.... أجاثا كريستي

• الرواية التونسية حتى عام ١٩٨٥

.... ك . ك . عثمانوف

• ما الأدب المقارن

.... ت . غسان السيد


Bibliotheca Alexadrina
0286628